أجاثا كريستي

الشبح الرهيب

الكوني

روايات الهلال



روائع القصص العالمي

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٦٤ * ابريل ١٩٥٤ * شعبان ١٣٧٣

No. 64 * April 1954

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٧٠ مليما ـ فى الأقطار العربيـة عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ٩٠ قرشا سوريا ـ فى لبنان ٩٠ قرشا لبنانيا ـ فى الأردن ٩٠ فلسا ـ فى العراق ٩٠ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٧٠ قرشا صاغا ـ فى سوريا ولبنان (بالطائرة بواسطة شركة فرج الله فى بيروت) ٩٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا ـ فى المملكة العربيـة السعودية والعراق والأردن ٩٠ قرشا صاغا ـ فى الامريكتين ٤ ١/٢ دولارات ـ فى سائر أنحاء العالم ١٢٢ قرشا صاغا أو ٢٥ شلنا

طريقة الدفع

فى مصر والسودان : نقدا أو بموجب اذونات أو حوالات بريدية او شيكات ـ **فى خارج القطر المصرى :** بموجب حوالة مصرفية على أحد بنوك القاهرة أو حوالة نقدية (Money Order)أو الى أحد وكلائنا اذا كان هناك وكيل . ولا يمكن قبـول أذونات البريد أو أوراق البنكنوت

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك ـ القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

روايات الهلال



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

الشبح الرهيب

تأليف

الروائية العالمية

أجاثا كريستي

شخصيات الرواية

الدكتور جيلز رايلى : طبيب جراح بمستشفى بلدة الحسينية . .

ستيلا رايلى : ابنة الطبيب ، فتاة عصرية مدللة

ايمى ليثران : ممرضة متمرنة .. وهى التى تقوم بسرد حوادث الرواية

الدكتور ليدنر : رئيس البعثة الأمريكية للحفائر الأثرية بمنطقة تل العرمجة . .

السيدة ليدنر : زوجته .. فيما بين الثلاثين والأربعين من العمر..

الآنسة جونسون : فتاة عانس فى نحو الخمسين من عمرها .. عضو بالبعثة

المستر ميركادو : الكيميائى بالبعثة .. فى نحو الخامسة والأربعين ...

السيدة ميركادو : زوجة المستر ميركادو .. سيدة سوقية فى الخامسة والعشرين ..

الأب ليفينى : راهب خبير فى المخطوطات الأثرية فى نحو الخمسين من العمر ..

رينشارد كارى : رسام بالبعثة ، فى نحو الأربعين من العمر .. يمتاز بالجمال الباهر..

دافيد ايموت : عضو بالبعثة فى نحو الثلاثين من العمر : هادىء ، رزين ، صموت ..

بيل كولمان : عضو بالبعثة : فى نحو الثلاثين من العمر : مراح ، ثرثار، خفيف الظل

كارل ريتر : مصور بالبعثة : فى نحو السابعة والعشرين : خجول هادىء الطباع . .

الميجور كيلسى : أحد ضباط بعثة الطيران بالعراق ..

السيدة كيلسى : زوجة الميجر كيلسى

الكابتن ميتلاند : مدير البوليس ببلدة الحسينية ..

المسيو هيركول بوارو : المحقق الجنائى الفرنسى المشهور

الدكتور ثارير : أحد المشتغلين بعلم الآثار.

تعريف

بقلم الدكتور جيلز رايلى

شاعت مؤلفة هذه الرواية أجاثا كريستي أن تضعها على لسان المرضة ايمي ليثران احدى شخصياتها وقد بدأتها بهذا التعريف الذى جعلته بقلم الدكتور جيلز رايلى الطبيب وأحد شخصيات الرواية ايضا

وقعت أحداث هذه القصة منذ أربع سنوات ونيف وقد رأيت أن أنشرها كاملة ، صريحة ، كى أضع حداً للشائعات والأقاويل التى تزعم أن بعض الأدلة الهامة أخفيت عمداً لافلات الجناة من العقاب. ومما يؤسف له أن هذه الأباطيل وجدت طريقها إلى الصحافة الأمريكية . . .

لم أرد أن يكتب القصة أحد من أعضاء البعثة الأمريكية للآثار بالعراق، وذلك لكيلا يقال إنه يمالىء هذا أو ذاك من زملائه . وآثرت أن تنشر بقلم الآنسة إيمى ليثران الممرضة بمستشفى بلدة الحسينية ، إذ هى أصلح من يقوم بكتابتها ، لما عرفت به من الأخلاق العالية ، والشخصية الممتازة ، والذكاء اللامع ، وقوة الملاحظة ، فضلا عن معرفتها التامة بأحوال البعثة وإن لم تكن عضواً فيها

ولم يكن من السهل إقناع الآنسة ليثران بانجاز هذه المهمة ، والواقع أنى بذلت فى سبيل ذلك جهوداً متواصلة مضنية . بل إن الآنسة بعد أن أتمت تسجيل أحداث القصة ، عادت فقررت ألا تسلمها إلى ، وكان هذا لتحرجها من اطلاعى على عبارات صريحة كتبتها عن ابنتى (شيلا) . ولشعورها بأن أسلوبها فى الكتابة ليس كما ينبغى ، وبأن صفحات القصة زاخرة بالأخطاء اللغوية والفنية .. على أنى استطعت أخيراً أن أقنعها بأن ما ذكرته عن ابنتى

لن يسوءنى بحال ، لأننا نعيش فى عصر ينتقد فيه الأبناء آباءهم فى الصحف ، فلا باس اذن من أن يقرأ الآباء ما يوجه إلى الأبناء من نقد . أما الأسلوب فقد تبينت أنه كما ينبغى وزيادة ، فهو يمتاز بالقوة ، والوضوح . . ولهذا لم أتناول عبارة واحدة فى القصة بالتبديل أو التغيير ، وكل ما فعلته أنى أضفت إليها هذا التمهيد ، ليعرف القراء مدى صلة الآنسة ليثران بأحداث القصة وأبطالها . وقد استغنت على كتابة هذا التمهيد برسالة قدمتها إلى إحدى صديقاتها

تمهيد

فى فندق « دجلة بالاس » ـ ببغداد ـ كانت إحدى الممرضات تخط بقلمها على الورق رسالة ختمتها بالعبارات التالية :

« ... حسناً ، يا عزيزتى ، أعتقد أن هذا هو كل ما لدى من أخبار ، وإنه لمن الممتع حقاً أن أرى جانباً من هـذا العالم الواسع ، على أنى أفضل الاقامة بوطنى دائماً ، وليست بغداد فى الوقت الحاضر ـ كما تتخيلين ـ قطعة من ألف ليلة وليلة ، وصحيح أنها تقع على نهر يكسبها غير قليل من التنزهات ، ولكن قلب المدينة مزدحم بالمتاجر والأسواق ، وقد صحبنى الميجور كيلسى فى جولة خلالها حيث كاد رأسى يتصدع من دوى المطارق فى سوق النحاسين ...

« أكتب إليك فيما بعد بما يتم فى شأن العمل الذى حدثنى عنه الدكتور جيلز رايلى . وكل ما أعلمه الآن عن هذا العمل أن سيداً أمريكياً يقيم ببغداد سيحضر بعد ظهر اليوم لمقابلتى ، فى شأن يتعلق بزوجته التى تعانى ـ كما يقول الدكتور رايلى ـ حالة عصبية خاصة ، أرجو ألا تكون حالة عقلية وهذا السيد الأمريكى يدعى الدكتور ليدنر وهو عالم أثرى يقوم ببعض الحفائر فى صحراء العراق لحساب أحد المتاحف الأمريكية . وحسبك هذا الآن يا عزيزتى .

دمت للمخلصة لك دائماً « ايمى ليثران »

ثم طوت الرسالة ووضعتها فى ظرف ، كتبت عليه إسم المرسل إليه وعنوانها : « الأخت كيرشو .. مستشفى سانت كريستوفر . لندن » . وفيما

هى تضع الغطاء على قلمها ، أقبل أحد غلمان الفندق وقال لها :

— إن سيداً يريد أن يراك .. إنه الدكتور ليدنر !

ودخل الدكتور بعد قليل ، فاذا هو رجل متوسط الطول ، منحدر الكتفين ، بنى اللحية ، تطل من عينيه سمات الوداعة ، والشعور بالاجهاد

وأدرك هو منذ النظرة الأولى إلى الآنسة إيمى ليثران،أنها خير من تصلح للمهمة التى يريدها ، فقد رأى أمامه فتاة ناضجة ، فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، تبدو على حظ عظيم من الاتزان والثقة فى النفس . ولها وجه وادع مرح ، وعيناها زرقاوان ، وشعر كستنائى لامع . فقال لنفسه : « نعم!.. هذه الممرضة هى خير من يصلح للعناية بزوجتى ! »



أوهام وشائعات

قالت الآنسة ايمى ليثران :

لست أزعم أننى أديبة ، أو أن لى أدنى خبرة بالكتابة والتأليف . . وما كنت لأكتب حوادث هذه القصة لولا الالحاح المتواصل من الدكتور رايلى فى أن أقوم بهذه المهمة . . وعذرى أن كل من يعرفون الدكتور رايلى كما أعرفه ، لايسعهم أن يرفضوا له أى طلب ؟

ولقد حاولت كثيراً أن يعفينى الدكتور من هذه المهمة ، وأكدت له أننى لا أحسن فن الكتابة إطلاقا ، ولكنه أصر كل الاصرار على طلبه وقال لى :

— حاولى أن تكتبى القصة كما تكتبين خواطرك فى مفكرة ، فلست أريد منك أكثر من هذا . ؟

ثم استطرد الدكتور رايلى فقال لى :

— إن الأمر يستلزم تسجيل ماحدث ب نل « العرجمة » بأسلوب واضح صريح ، بعيد من التلاعب بالكلمات أو المحسنات اللفظية .. ولم أشأ أن أعهد فى كتابة القصة إلى أحد الأشخاص الذين شملتهم تلك الأحداث ، تجنباً لما قد يتهم به من التحيز لهذا ، أو التحامل على ذاك من زملائه . وكذلك لم أشأ أن أتولى بنفسى كتابة القصة ، لأنى ـ وإن كنت ممن شملتهم أحداثها ـ لم أعش فى صميم هذه الأحداث بل كنت أعيش على هامشها !

على أنى أمعنت فى التمنع والمعارضة ، وقلت للدكتور :

— إننى مثلك فى هذا تماماً ، فقد عشت على هامش تلك الأحداث لا فى صميمها !

فقال لى : « نعم هذا صحيح ؟.. ولكنك تمتازين بأنك بقيت على مسرح تلك الأحداث منذ بدايتها حتى نهايتها ! »

التى تنتابها ، ولذلك تتنقل حالتهـا من سيء إلى أسوأ ، ويزداد قلق زوجها عليها ، فى الوقت الذى يضطلع فيه بتبعـات ومسئوليات كثيرة متشعبة . . والمعروف أنه يحبها أشد الحب ، ولا يطيق أن يراها مضطربة الأعصاب . . وقد كاشفنى برغبته فى أن تتولى العناية بها ورعايتها خبيرة بفن التمريض للسهر على راحتها وتهدئتها »

ولما سألت الدكتور رايلى عن رأى السيدة ليدنر نفسها فى حالتها ، أجاب قائلا فى صوت هادىء :

— إن السيدة ليدنر لطيفة جداً ! .. وإذا كان المعروف عنها أنها لاتستقر على رأى معين فترة طويلة ، فانى أعتقد أنهـا ترحب بأن تكون موضع رعاية ممرضة خبيرة .. م هى ــ لهذه المناسبة ــ كذابة كبيرة ، ومجموعة من المشاعر المتناقضة ، ولـكن الواضح أن زوجها يصدق تماما أنها شديدة الرعب والفزع من أشياء غامضة !

فسألته : « هل حدثتك هى نفسها عن حالتها ؟ »

فأجاب بقوله : « إنها لم تستشرنى ! . . وأعتقد أنهـا لاتميل إلى كثيراً لأسباب عدة .. على أن زوجها أكد لى رغبته فى استخدام ممرضة خبيرةللعناية بها .. فما رأيك ؟ »

وقبل أن أجيب عن سؤاله مضى فى حديثه قائلا :

— ألاترغبين فى مشاهدة لون من ألوان الحياة الريفية الشرقية قبل أن تعودى إلى لندن ..؟ إن البعثة ستفرغ من أعمالها بعد شهرين ، ولا شك أن مشاهدة أعمال الحفريات لاتخلو من متعة وتثقيف !

وفـكرت هنيهة فى الأمر ، ثم قلت للدكتور رايلى :

— حسناً ! . إننى أقبل هذا العرض !

فبدا الاغتباط فى وجهه وعقب على ذلك قائلا :

— إن الدكتور ليدنر فى بغـداد الآن ، وسأتصل به وأرسله إليك ليتفق معك !



وجاء الدكتور ليدنر إلى الفندق لمقـابلتى بعد ظهر ذلك اليوم نفسه .

فوجدته يناهز الخمسين من عمره ، فى هيئتــه وملامح وجهه ماينم عن التردد والاضطراب ، كما ينم فى الوقت ذاته عن الوداعة والشفقة وبراءة الطفولة !.

وكان واضحاً من حديثه أنه شديد الحب لزوجته ، ولــكنه كان غامضاً فى حديثه عن حالتها الصحية ، وقال لى وهو يعبث بلحيته بطريقة عصبية :

— إن زوجتى فى الواقع تعانى حالة اضطراب عصبى شديد.. وإنى لشديد القلق عليها !

فسألته : « هل حالتها الصحية العامة جيدة ؟ »

فأجاب قائلا : « أعتقد هذا ! . . إنها لاتشكو أى مرض باطنى . . وكل مافى الأمر أنها تتوهم رؤية أشياء ! »

ولما سألته أن يذكر لى أمثلة من تلك الأشياء التى تتوهم زوجته رؤيتها ، حاول التخلص من الاجابة عن هــذا السؤال ، ثم اكتفى بأن غمغم قائلا فى اضطراب :

— الواقع أنها تعانى حالة عصبية لاأساس لها ! . نعم .. ليس هناك أساس لمخاوفها !

فعدت أسأله عن نوع هذه المخاوف ، ولــكنه هز رأسه فى أسف ، وقال :

— لاشىء !.. إنه خوف عصبى .. نتيجة لاضطراب الأعصاب كما تعلمين!

وأيقنت أن حالة السيدة ليدنر ، لابد أن تكون راجعــة إلى إدمانها على المخدرات ، وأن زوجها لايعرف هذه الحقيقة ، ولذلك يبدو حائراً قلقاً إزاء الاضطرابات والنوبات العصبية المفاجئة التى تعترى زوجته ولايدرى لها سببا !

ثم سألته أخيراً عن رأى زوجته نفسهــا فى أن تتولى رعايتها والسهر على راحتها خبيرة فى التمريض ، فأشرق وجهه وأجاب قائلا :

— ان لويز شديدة الترحيب بالفكرة ! . وقد شكرتنى عليهــا ، مؤكدة أنها ستكون أكثر أمناً بوجودك معها !

ثم أردف الدكتور ليدنر قائلا فى لهجة تنم عن البساطة والبراءة :

— إنى واثق بأنك ستحبينها فوراً ! . . انها جذابة جــداً ! » وأعتقد أنها ستشعر بأنك ستضفين على حياتهــا جواً من الأمن والهدوء .. فالحق أن هذا هو ماشعرت به أنا نفسى منذ رأيتك الآن ! وأرجو أن تسمحى لى بهذا

القول، فان من كانت مثالك صحة بدن ورجاحة عقل ، لجديرة حقاً بهذه الثقة !



وتم الاتفاق على أن أذهب إلى تل « العرجمة » فى الأسبوع التالى..وكانت السيدة كيلسى قد استقرت بمنزل فى ضاحية العلوية ، وقد شعرت بالسرور وأنا أعاونها على إعداد المنزل لاقامتها . وفى خلال هذه الفترة تناول الحديث ـ مرة أو مرتين ـ بعثة ليدنر وما يقال عن حالة السيدة ليدنر العصبية ، وحضر هذا الحديث صديق للسيدة كيلسى هو ضابط فى السلاح الجوى برتبة قائد جناح ، فقال معقباً بعد أن لوى شفتيه :

ـ أهذه آخر « تقاليع » لويز الجميلة . . ؟

ثم التفت إلى وأردف قائلا فى ابتسام :

ـ لقد تعودنا يا آنسة ليثران أن ندعوا السيدة ليدنر « لويز الجميلة » !

فقلت له : « إذن هى جميلة جداً ... ! »

فلوى شفتيه مرة أخرى ، وقال فى لهجة تنم عن السخرية اللاذعة :

ـ إنها هى التى تحب أن ندعوها كذلك .. لأنها تعتقد أنها جميلة جداً !

فقالت له السيدة كيلسى وهى توجه اليه نظرة عتاب :

ـ لاتكن ظالما ياجون ! . . انك تعرف أنها جميلة حقاً ، وأن جمالها يفتن كثيراً من الرجال والشبان !

فقال الضابط الجوى : « قد تكون لويز فى جملتها جذابة فاتنة .. أما من حيث التفصيلات فالأمر مختلف .. فاسنانها ـ مثلا ـ فيها بعض الطول !.و.»

فضحكت السيدة كيلسى وقالت له : « دعك من هذا ياجون ! . . انك أنت نفسك قد غرقت ذات يوم فى حبها إلى أذنيك !.. هل تستطيع أن تنكر ذلك ؟! »

فاحمرت وجنتا الضابط الشاب ، ثم قال فى خجل !

ـ نعم لست أستطيع أن أنكر ذلك ! . ان لويز لها طريقة فذة للسيطرة على القلوب ، فلا عجب إذا كان زوجها يقدس الأرض التى تخطو عليها . . ولاعجب فى أن يقدسها أعضاء البعثة جميعا.. فان لهم كل العذر فى ذلك !

وسألته : « كم عدد أعضاء هـذه البعثة ؟ » . فأجاب على الفور « انهم

سبعة أو ثمانية يمثلون مهناً وأجناساً مختلفة ، فبينهم مهندس معمارى انجليزى ، وفتاة انجليزية اسمها الآنسة جونسون ، وراهب فرنسى الأصل نشأ فى قرطاجنة وهو متخصص فى المخطوطات الأثرية ، وبينهم أيضاً رجل أمريكى قصير بدين يشتغل بالتصوير الفوتوغرافى ، ومستر (ميركادو) وزوجته . . . ولا أدرى جنسيتهما ، لكنى أعلم أن هذه الزوجة الشابة أعنى السيدة ميركادو خبيثة الطباع كالحية ... شديدة الكراهية للويز الجميلة .. وهناك شابان آخران من البعثة أعضاء .. وهكذا ترين أنها تتألف من مجموعة عجيبة . . لكن أفرادها جميعاً على حظ عظيم من الظرف والذكاء !

ثم التفت الضابط الجوى الشاب إلى أحد الجالسين وسأله : «أليس كذلك يا ميجور بينمان »

وكان هذا ضابطاً كهلا ، يبدو شارد الفكر ، وقد جلس طول الوقت يدير نظارته بين أصابعه ثم أجاب قائلا :

— نعم يا جون !. إن أعضاء البعثة ظرفاء حقاً !.. ولكن ميركادو على شىء من الغموض !

وهنا قالت له السيدة كيلسى وهى تبتسم : « أنت على حق فى هذا . ان ميركادو له لحية تلفت النظر بشذوذها ! »

واستطرد الميجور بينمان فقال : « من العجيب أن الشاب الأمريكى عضو البعثة يبدو ميالا إلى الصمت والاتزان ، على عكس زميله الشاب الانجليزى ، إذ يبدو كثير الثرثرة ، وهذا على خلاف القاعدة المعروفة عن الأمريكان والانجليز !.. أما الدكتور ليدنر نفسه فهو رجل وادع متواضع محبوب من الجميع !

وسكت الميجور بينمان هنيهة . ثم واصل الكلام فقال : « نعم إنهم جميعاً ظرفاء !.. ولكنى شعرت حين قمت بزيارتهم آخر مرة بأن الأحوال هناك ليست كما ينبغى !.. وقد أكون واهماً فى شعورى هذا ، ولكنى واثق بأن كل واحد من أعضاء البعثة لم يكن طبيعياً فى أحاديثه وتصرفاته ، كما خيل إلى أن جواً من التوتر العصبى كان يخيم عليهم جميعاً ! . . والواقع أننى لا أستطيع أن أعبر عن شعورى كما ينبغى . . ولكن يمكنكم أن تدركوا ما أعنى من أن

كل واحد منهم كان يعامل زملاءه فى كثير من المجاملة والتحفظ ! »

وعاد الميجور كيلسى إلى الكلام فقال : « يبدو أن البعثة فى هذا الموسم انضم إليها أعضاء جدد »

فقال الضابط الجوى الشاب وهو يحصى عددهم على أصابعه : « نعم هناك عدد من الأعضاء الجدد : منهم الشاب كولمان ، وكذلك ريتر »

فقال الميجور كيلسى : « لقد كنت أعتقد أنهم يعيشون فى تلى العرجة كأفراد أسرة سعيدة ، وكنت أنظر فى إعجاب لا يخلو من العجب الى استمرار توطد العلاقات الودية بينهم ، فى حين أعتقد أن اجتماعهم فى مكان واحد لفترة طويلة ، كان خليقاً ـ كما تقول الآنسة ليثران ـ بأن يثير أعصابهم ويؤثر فى هذه العلاقات ! »

فقلت له : « إن التجارب أثبتت صحة تلك النظرية ، وقد كانت الخلافات فى كثير من المستشفيات التى عملت فيها تنشأ بين الممرضات لأتفه الأسباب !

فقال الميجور بينمان : « أعتقد أن هناك شيئاً آخر يسود أعضاء البعثة، غير ذلك التوتر العصبى الذى ينشأ عادة من اجتماع بعض الناس فى مكان معين فترة طويلة .. والواقع أن الدكتور ليدنر رئيس البعثة رجل مهذب لبق ، يعرف كيف يشيع المودة والاخاء بين مرءوسيه ، ولكنى ما زلت على يقين من صحة ما شعرت به حين قمت بزيارة البعثة آخر مرة ، وإن لم أعرف الأسباب بعد ! »

وهنا ضحكت السيدة كيلسى وقالت له : « إن السبب واضح لا يحتاج إلى تفسير ! »

ولما سألها عما تعنيه ، أجابت قائلة : « لا شك أن السيدة ليدنر هى السبب الأهم فى تبدل الأحوال بين أعضاء البعثة ! »

وتصدى زوجها للرد على وجهة نظرها هذه فقال لها : « كلا . . لا يا مارى !.. إن السيدة ليدنر سيدة لطيفة جداً .. ليست من النوع الذى يحب المشاكل والخصومات ! »

فقالت كالمعتذرة : إننى لا أعنى إلا أن السيدة ليدنر تشعر بالملل فى حياتها الموحشة بين الحفائر ، فهى ليست عالمة أثرية كزوجها كما هو معروف ؟ ولا شك أن إحساسها بالملل يدفعها إلى ابتكار ألوان من التسلية والترفيه . .

ولعلها رأت أن خير وسيلة إلى ذلك هى إثارة المشاكل والخصومات بين أعضاء البعثة ! »

فقال لها زوجها : « لاشك أنك غير واثقة من صحة الرأى أو الاستنتاج! »

فقالت السيدة كيلسى : « الواقع أن هذا الرأى ليس غير استنتاج كما تقول ، إن لويز الجميلة تشبه فى غموضها لوحة (الجيوكاندا) .. ولا شك أنها لاتقصد الاضرار بأحد ، وكل ماتريده أن تتسلى برؤية مايحدث بعد ذلك ! »

فقال زوجها فى إصرار وتأكيد : « ليس هناك أدنى شك فى أن السيدة ليدنر شديدة الحب والوفاء لزوجها ! »

— فقالت له زوجته : « إننى معك فى هذا ، ولم أقصد قط أن أنتقص من أخلاقها فى هذه الناحية ، أو أزعم أن لها علاقات غير بريئة بأحد !. وإنما أقول : إنها تهوى إغراء الرجال والشبان بقصد التسلية واللهو لاغير ، لكى تطرد عن نفسها ماتشعر به فى وحدتها من السآمة والملل ! »

فابتسم الميجور كيلسى وقال لها فى لهجة ساخرة : « هكذا هو رأى المرأة فى المرأة دائماً ! »

وعقبت السيدة كيلسى على ذلك قائلة : « مهما يكن رأى المرأة فى بنات جنسها ، فانها ولا شك أقدر على فهم مشاعرهن من الرجال . . ولذلك قلما تخطىء امرأة فى رأيها عن زميلاتها ! »

فقال الميجور بيمان : « إذا صح رأى السيدة كيلسى فى لويز الجميله ، فهذا يؤيد ما أعتقده من أن التوتر العصبى المنتشر بين أعضاء البعثة ليس سببه الوحيد هو وجود سيدة جميلة ما كرة بين عدد من الرجال والشبان فى مكان غير مأهول وإنما الأمر — فى رأيى — أخطر وأجل ، أعنى أنهم يعيشون فى جو نفسى يشبه الهدوء الذى يسبق العاصفة .. ويخيل إلى أن هذه العاصفة توشك أن تثور ! »

فابتسمت السيدة كيلسى وقالت له : « مهلا ياميجور !. ولتكن متفائلا ، فان هذا التشاؤم قد يفزع الآنسة ليثران .. ولا سيما أنها ذاهبة إلى مقر البعثة للاقامة هناك بعد ثلاثة أيام ! »

وهنا قلت لها ضاحكة « ليس هناك فى هــــذه المسألة مايثير فزعى والحمد لله ! »

على أني برغم هـذا ـ أخذت أفكر طويلا فى هذه الأحاديث كما شرعت أربط بينها وبين حالة السيدة ليدنر العصبية التى تجعلها تتوهم رؤية أشياء تفزعها، وساءلت نفسى : هل حالة التوتر العصبي الشائعة بين أعضاء البعثة راجعة إلى اضطراب أعصاب السيدة ليدنر ؟.. أم أن هذا التوتر العصبي الشائع هو السبب المباشر لما تعانيه السيدة من مخاوف وأوهام ؟

ولم يكن هناك سبيل إلى معرفة الاجابة عن هذا التساؤل إلا بعد أن أتسلم عملى وأتولى رعاية السيدة ليدنر والعناية بها !



فى الطريق اليها

غادرت بغداد بعد ثلاثة أيام . فشعرت بالأسى لفراق السيدة كيلسى وطفلها الوليد . . وصحبنى الميجور كيلسى الى المحطة حيث ركبتُ القطار الى (كركوك) على أن أصل اليها فى اليوم التالى ، وقضيت ليلتى فى غرفة النوم بالقطار مؤرقة حيناً ، مضطربة النوم أحياناً ، ولكنى انتعشت قليلا فى صباح اليوم التالى حين أبصرت من نافذة القطار المناظر التى يمر بها . . ثم بدأت أفكر فى هؤلاء الناس الذين سأعيش معهم بضعة أسابيع ، وأخذت أترقب ساعة وصولى اليهم وأنا أشعر بأشتات مختلفة من المشاعر

وكان المتفق عليه أن ينتظرنى شخص معين فى محطة كركوك . . فلما هبطت إلى الرصيف ، أخذت أتلفت حولى حتى أقبل نحوى شاب يفيض وجهه المستدير بالحيوية ، وقال لى وهو يبتسم فى مرح :

ــ ألست الآنسة ايمى ليثران .. أعنى الممرضة القديرة الخبيرة .. لاشك أنك هى .. حسناً جداً يا آنسة !.. إننىأدعى كولمان .. وقدأرسلنى الدكتور ليدنر لاستقبالك .. ولا شك أنك متعبة بعدهذه الرحلة الطويلة .. ولكنك وصلت بالسلامة وهذا هوالمهم .. هل تناولت طعام الافطار ؟ أهذه حقائبك ؟! إنها قليلة العدد متواضعة كما يبدو !.. معذرة يا آنسة فان السيدة ليدنر لديها مجموعة كبيرة من الحقائب الفاخرة المختلفة ، وهى كلها تزخر بأغلى الأشياء وأروعها . . إننى حقاً أسرفت فى الحديث والثرثرة ، فمعذرة مرة أخرى . . والآن هيا إلى هذه السيارة العتيقة

وقد أدهشتنى ثرثرته حقاً ، لكنها لم تغضبنى ، بل كانت على عكس ذلك موضع اغتباطى وتسليتى ! .

وكانت هناك ، خارج المحطة ــ سيارة من طراز « ستيشن واجون » ،

فمضيت اليها مع مستر كولمان حيث ساعدنى فى ركوبها ، ثم راح يثرثر بلغو الحديث خلال الطريق الوعر حتى وصلنا إلى مرساة للقوارب البخارية . . فعبرنا باحداها النهر ، والسيارة معنا ، ثم استأنفنا الرحلة بالسيارة إلى بلدة (الحسينية) حيث بلغناها بعد أربع ساعات !

وبدت البلدة لى ، ونحن نقترب منها كبيرة ، جميلة ، بمنازلها البيضاء ، ومآذنها الساطعة ، وكأنها صورة من قصة خيالية ... ولكنها لم تبد على مثل هذا الجمال حين دخلناها بعد أن عبرنا اليها قنطرة نهرية !



ومضى بى مستر كولمان إلى منزل الدكتور رايلى حيث كان ينتظرنا لتناول طعام الغداء . وكان الدكتور رايلى لطيفاً ـ كعادته ـ فى استقبالنا ، وكان بيته نظيفاً مرتباً ، كل شىء فيه فى موضعه المناسب ، وبعد أن استحممت وبدلت ملابسى ، شعرت بانتعاش كبير ، ثم تناولنا الغداء بعد أن اعتذر الدكتور رايلى عن غياب ابنته شيلا التى تأخرت عن موعد عودتها

ولما أقبلت الفتاة ، قدمها إلى ، فتصافحنا ، وتبادلنا بضع كلمات للمجاملة ، ثم إذا هى تلقى بقبعتها وتومىء برأسها إلى مستر كولمان وتقول له :

ــ ما هى آخر الأخبار يابيل ؟

وفيما هو يحدثها عن الحفلة الراقصة المزمع إقامتها بالنادى ، أخذت أتأملها . . وأعترف بأنى لم أشعر بالميل نحوها منذ اللحظة الأولى ، فقد بدت لى «باردة» فى تصرفاتها أكثر مما ينبغى ، كما لمحت فى نظراتها وأحاديثها غير قليل من غرور الشباب وأمارات الأنانية وحب الذات !... ولكنها برغم هذا كله كانت جميلة ، سوداء الشعر ، زرقاء العينين ، شاحبة البشرة ، فيما عدا شفتيها إذ أسرفت فى طلائها باللون الأحمر !

وكان واضحاً أن مستر كولمان غارق إلى أذنيه فى حبها .. فقد كان فى حديثه معها يشبه كلباً كبيراً يهز ذيله لكى يرضى صاحبه ..!

وبعد الفراغ من الطعام ، ذهب الدكتور رايلى إلى المستشفى ، ومضى مستر كولمان إلى قلب المدينة لأداء بعض المهام ، وهنا قالت لى شيلا :

— ن مستر كولمان سيعود بعد ساعة ليمضى بك إلى تل العرجة .. وهل تفضلين انتظاره هنا أم تحبين أن تصحبيني فى جولة إلى المدينة ؟

فسألتها : « هل فيها مايستحق المشاهدة ؟ ! »

فأجابت بقولها : « هناك بعض الأماكن التاريخية . . ولكنها لاتستحق المشاهدة .. ولذلك أقترح أن نمضى إلى النادى ! »

ومضينا إلى النادى المشرف على النهر ، حيث استمتعت بتمضية بعض الوقت فى الراحة والاستجمام وقراءة الصحف والمجلات الانجليزية . . فلما عدنا إلى البيت ، لم يكن مستر كولمان قد عاد ، فجلست أتبادل الحديث مع شيلا . . وقالت لى بصوتها الخالى من حرارة المودة والتعاطف : « هل سبق أن رأيت السيدة ليدنر ؟! »

فأجبتها قائلة : « لم أرها بعد ، ولكنى رأيت زوجها ! »

فقالت : « لست أدرى ماذا يكون رأيك عنها حين ترينها ! » . ثم أردفت قائلة :

— إن الدكتور ليدنر رجل لطيف ، محبوب من الجميع .. وإنى أحبه وأحترمه وأقدره . .

فأدركت من عبارتها هذه أنها لاتحب زوجته ، قلت لها بعد فترة من الصمت :

— إن ما أعرفه عن السيدة ليدنر أنها جميلة لطيفة محبوبة ، وأنها تعانى حالة عصبية تجعلها فى حاجة إلى رعاية خاصة . . ولا شك أن والدك أخبرك بهذا كله !

فأرسلت ضحكة قصيرة قاسية وقالت :

— يا إلهى !.. أليس يكفيها أنها موضع رعاية تسعة رجال ؟!

فقلت معقبة على ملاحظتها : « هؤلاء ليس لديهم وقت لرعايتها ، فكل منهم مشغول بعمله! »

فقالت : « نعم .. ان لكل منهم عمله المنوط به .. ولكن اهتمام كل منهم بلويز الجميلة يفوق اهتمامه بعمله !.. وهى نفسها حريصة على أن تبقى دائماً مناط اهتمامهم جميعاً ! »

فقلت لنفسي : « لاشك أن هـــذه الفتاة تكره السيدة ليدنر » . بينما استطردت هي فقالت :

— لست أدري ماذا تبغي لويز الجميلة من استخدام ممرضة خاصة للسهر على راحتها والعناية بها ؟. إنها — في رأيي — لاتطيق أن يضع أحـــد مقياس الحرارة في فمها ، ولا أن يقيس نبضها ، بل لاشك في أنها لاتطيق أن يشعرها أحد بأن صحتها ليست كما ينبغي !

وأعترف بأن حـديثها هذا أثار فضولي ، فقلت لها كي أسـتزيدها من الحديث عن السيدة ليدنر : « إذن . . هي في حالة صحية طيبة ؟ ! »

فقالت : « نعم .. إنها على أتم ما تكون صحة .. لـكنها تتظاهر بالتوعك وتصطنع المرض ، وترسم بالقلم خطوطا زرقاء تحت عينيها لتبقى دائماً موضع اهتمام الجميع وعنايتهم ، ولـكي ترضي رغبتها في أن يقال عنها : إنها متوعكة اليوم ، أو إنها لم تنعم الليلة بنوم مريح ولهذا تبدو تحت عينيها خطوط زرقاء نتيجة للأرق والاجهاد ! »

ولقد أدركت أن حديث الفتاة في عمومه لايخلو من الحقيقة .. وكنت في خلال تجاربي في مهنة التمريض ، قد رأيت سيدات من هذا القبيل لاتحلو الحياة لاحداهن إلا إذا احتشد حولها أكبر عدد ممكن من الأقارب والأصـدقاء والمعارف لرعايتها والعناية بها واسباغ العطف عليها .. فاذا أكد لها أحـــد الأطباء أن صحتها جيدة ، أبت أن تصدق ذلك ، وأعلنت سخطها عليه بطريقة لاتدع سبيلا إلى الشك في أنه عجز عن تشخيص مرضها المزعوم !

والواقع أن أمثال هؤلاء السيدات هن حقاً مريضات ، ولـكن مرضهن نفسي لاجسمي . وعلى هـذا قدرت أن من المحتمل أن تكون حالة السيدة ليدنر من نوع المرض النفسي ، وليس عجيباً أن يكون زوجها أول من يخدع في حقيقة أمرها ، فهـذا دائما شأن الأزواج مع زوجاتهم المحبوبات ، على أن هـذا كله لايتفق مع ما ذكره لي عن المخـاوف التي تتوهمها وتثير الفزع في نفسها !

ووجدت نفسي أقول للفتاة متسائلة :

— لعل السيدة ليدنر مرهفة الأعصاب أكثر مما يجب . . ومن ثم فهي

تشعر بخوف عصبي لوجودها فى بلد غريب ، وفى مكان غير مأهول ..!

فقالت على الفور : « ليس هناك مايدعو إلى الخوف ! .. انها تعيش بين عشرة رجال عـدا الحراس المـكلفين بحراسة الآثار . . وهى ليست مرهفة الأعصاب أكثر من ... »

وسكتت شيلا فجأة ، فلم تتم عبارتها ، وبدا فى وجهها كأن خاطراً مفاجئاً طرأ على ذهنها ، وأكد هذا أنها أطرقت حيناً تفكر ، ثم رفعت رأسها وقالت « لقد تذكرت أمراً ! »

ولما تساءلت عما يكون هذا الأمر الذى تذكرته ، أجابت قائلة :

— كنت أول أمس فى نزهة على صهوة الجواد ، وكان الضابط الجوى جيرنيس على جواده بجانبي ، وتابعنا السير حتى بلغنا منطقة الحفائر ، ثم اجتزنا الباب العام المفضى إلى الفناء الـكبير الذى يتوسط مقر البعثة ، ولم يكن الغلام الذى يعلن حضور الزائرين موجوداً فى تلك اللحظة ، ومن هنـا لم يشعر بدخولنا أحد .. وكانت السيدة ليدنر جالسة فى إحدى الشرفات مشغولة بكتابة رسالة ، ويبدو أنها لم تشعر بدخولنا حتى سقط خيال جيرنيس على الجـدار ، ففزعت وندت عن شفتيها صيحة خافتة .. ثم اعتذرت لنا بأنها حسبتنا غرباء. وقد أدهشني فزعها وما عللته به !

وسكتت شيلا هنيهة رحت خلالها أفكر فى هذا الأمر ، ثم قالت فجأة :

— إننى لا أدرى ماذا دهاهم فى هذه السنة ؟! . إنهم جميعاً فى حالة توتر عصبي عجيب مريب ! . فالآنسة (جونسون) تبدو مقطبة الجبين صامتة دائماً لاتكاد تفتح فمها بكلمة !. وكذلك شأن (دافيد) فهو لايكاد يتحدث إلا لأمر مهم ، أما (بيل) فهو لايكف عن الحديث كعادته ، ولـكن ثرثرته ـ كمايبدو لى ـ تزيد فى توتر أعصاب زملائه ! . ولايشك من ينظر إلى (كارى) فى أنه يتوقع كارثة قريبة .. وهكذا كل واحد منهم ينظر إلى الآخر كأنه.. كأنه لا أدرى ماذا أقول .. ولـكن الأمر يدعو إلى العجب ! .

وعجبت بدورى لأن يتفق شخصان مختلفان تمـاما ـ مثل شيلا والميجور بينمان ـ فى مشاعرهم نحو الجو الذى يعيش فيه أعضاء بعثة الحفائر ...

وفى تلك اللحظة أقبل مستر كولمان هاتفاً بصوته المرح :

ـــ هاللو .. هاللو .. لا يوجد فى الدنيا كلها من يحسن الشراء والمساومة مثلى ! . عسى أن تكونى ياعزيزتى شيلا قد أطلعت الآنسة ليثران على مواطن الجمال فى المدينة !

فقالت له شيلا فى برود : « إنها لم تبد اهتماما كبيراً لرؤية الأماكن التاريخية »

فقال الشاب فى حماسة : « إن لها عذرها !. فالأماكن التاريخية فى هذه المدينة لاتستحق المشاهدة ! »

فبدا فى وجهها الامتعاض وقالت له فى تأنيب ملحوظ : « كيف يصدر هذا القول منك أنت الذى تشتغل بعلم الآثار ؟! »

فقال الشاب فى لهجة ساخرة : « إننى عالم أثرى برغم أنفى ! . . فهكذا شاء الوصى على أن أكون ! »

فقالت الفتاة ساخرة : « لاشك أنك ذو نفع كبير للبعثة .. فلولاك ماأتيح لها النجاح ! »

فقال لها وهو يبتسم مداعباً : « لقد ذكرت عين الصواب يا عزيزتى !. فى مقدورى أن أقف الساعات الطوال على قمة إحدى الحفائر وأصيح فى العمال قائلا : هيا !.. حتى لا يتوانوا أو يكسلوا . . كما أن فى مقدورى أن أنقل الرسوم الأثرية على الورق .. فقد كان تقليد الخط هوايتى أثناء الدراسة، وكان من الممكن أن أصبح مزوراً مشهوراً !.. ولعلى أصبح كذلك فالفرصة لم تفلت بعد !.. فإذا حدث يوماً أن رأيتنى أستقل سيارة خاصة من أحدث طراز ، فاعلمى أنى اشتغلت بتزييف النقود وتزوير التوقيعات على الشيكات ! »

وتلقت شيلا هذه الدعابات اللطيفة فى برود ، ثم قالت له : « يحسن أن تصطحب الآنسة ليثران إلى منطقة الحفائر ، بدلا من الامعان فى هذا اللغو »

وبعد أن صافحنا شيلا وغادرنا المنزل ، قال لى الشاب : « أليست جميلة جذابة هذه الفتاة ؟. ولكنها مدللة أكثر مما ينبغى ! »

وغادرنا المدينة فى السيارة ، ومضينا فى طريق زراعى وعر زاخر بالحفر والفجوات ، وتقوم مزارع الحنطة على جانبيه . . وبعد مسيرة نصف ساعة ،

أشار مستر كولمان بيده إلى تل يشرف على ضفة النهر قائلا : « هذا هو تل (العرجة) .. »

ونظرت إلى حيث أشار ، فرأيت على جوانب التل شخوصاً سوداء تتحرك كالنمل ، فأدركت أنهم العمال المواطنون . وما كادوا يلمحون السيارة القادمة نحوهم حتى هرعوا إلى استقبالنا ، ثم نادى مستر كولمان كبيرهم وقال له : «لقد حان موعد انتهاء العمل اليوم ! »

وكان مستقر البعثة ـ أو منزلها ـ يقع على مسافة غير بعيدة وراء النهر ، واجتازت السيارة بنا الباب العام إلى فناء واسع يتوسط المنزل .. وكان مؤلفاً من أربعة أضلاع تحيط بالفناء الواسع ، فى كل ضلع مجموعة من الغرفات

وكانت جميع الأبواب والنوافذ تشرف على الفناء الواسع ، وكذلك الابواب والنوافذ فى غرفات الضلع الجنوبى منه الذى تقع فيه غرفة السيدة ليدنر ، ولكن هناك فى غرفات هذا الضلع نوافذ خلفية تطل على المزارع الواقعة وراء المنزل . . ولهذه النوافذ قضبان حديدية . . لها أهمية كبيرة فى سياق القصة !

ومضى مستر كولمان إلى الدهليز الكبير ذى الاعمدة ، الواقع فى وسط الضلع الجنوبى لهذا المنزل ، ثم فتح باباً جانبياً فيه ، فإذا هناك عدد من الرجال والسيدات يجلسون حول مائدة مستطيلة للشاى ، فهتف بهم فى صوته المرح : « هاللو .. آلو .. آلو هذه هى ملاك الرحمة الآنسة إيمى ليثران ! »

ونهضت لتحيتى السيدة التى كانت تجلس فى رأس المائدة ...

وهكذا رأيت السيدة ليدنر لأول مرة !



السيدة ليدنر

لا أجد مندوحة من الاعتراف بأن الدهشة كانت أول إحساس خامرنى عند رؤيتى للسيدة ليدنر !.. فالمألوف أن يتخيل الانسان صورة معينة للشخص الذى يسمع به قبل أن يراه .. ومن هنا كنت أتخيل السيدة ليدنر ـ طبقاً لما سمعت عنها ـ سيدة مكتئبة الوجه، شديدة الضيق بما حولها، متوترة الاعصاب ، حائرة النظرات !.. كما كنت أتوقع أن أراها على شىء من السوقية والابتذال!

ولكنها لم تكن ألبتة كما تخيلت أو توقعت !

كانت بيضاء شقراء كسكان أوربا الشمالية ، وإن لم تكن من أصل سويدى كزوجها ، وكانت فيما بين الثلاثين والاربعين من عمرها ، وفى وجهها غضون خفيفة قد تكون من الاجهاد العصبي أو السن ، وفى شعرها الناعم آثار من الشيب المبكر .. أما عيناها الواسعتان فتمتازان بلونهما البنفسجى الاخاذ، وأما جسمها فرقيق نحيل كالطيف !

والى جانب أمارات الاعياء الشديد التى بدت عليها ، كانت تبدو عليها أيضاً مظاهر الحيوية الدافقة !.. وقد يبدو فى هذا الوصف تناقض ممجوج .. ولكن هكذا كان شعورى وأنا أراها لاول مرة !

أما مظهرها العام فكان يدل على أنها سيدة بيت بأدق ما فى هذه الكلمة من معنى ، أى أبعد ما تكون عن السوقية أو الابتذال !

وبسطت السيدة ليدنر يدها الى باسمة ، وقالت فى صوت هادىء ولهجة أمريكية ناعمة

— إنى سعيدة بحضورك يا عزيزتى !. هل تفضلين بشرب قدح من الشاى معنا .. أو تفضلين الذهاب إلى غرفتك أولا ؟! »

فلما أعربت عن رغبتى فى شرب قدح من الشاى ، شرعت تقدمنى إلى

الجالسين حول المائدة : الآنسة جونسون ، ومستر ريتر ، والسيدة ميركادو ، ومستر ايموت ، والاب ليفيني ثم قالت لى : « تفضلى بالجلوس بين الأب ليفيني والآنسة جونسون . . وسيحضر زوجى بعدقليل! »

ثم أخذت الآنسة جونسون تحدثنى ، وتسألنى عن رحلتى وما لقيت فيها وما إلى هذا من شؤون الحديث . . وقد أحببتها لانها ذكرتنى برئيسة سابقة كانت شفقتها وطيبة قلبها ورقة عواطفها، تدفعنا ـ نحن المرضات ـ إلى التفانى فى العمل إرضاء لها !..

وكانت الآنسة جونسون هذه تبدو فى حوالى الخمسين من عمرها ، مترجلة فى مظهرها ، وشعرها قصير وخطه الشيب بكثرة . . أما صوتها فكان لطيفاً عميقاً عذب الرنين . . وأما وجهها فأقرب إلى الدمامة منه إلى الجمال

أما الأب ليفيني الراهب ، فكان منظره يثير فى النفس مزيجاً من الرهبة والخوف ، فهو طويل القامة نحيل الجسم ، كث اللحية أسودها . . يضع على عينيه نظارة للقراءة ، ويرتدى مسوح الرهبان الفرنسيين . . ولقد دهشت لهذا لانى كنت أحسب دائماً أن الرهبان يعتزلون الحياة داخل الاديرة ، فلا يشاركون بنصيب فى معترك الحياة خارج أسوار الدير !

وكانت السيدة ليدنر تتحدث إليه بالفرنسية غالباً ، ولكنه كان يتحدث الى بلغة انجليزية سليمة .. وقد لاحظت أن له نظرات سريعة خاصة ينتقل بها من وجه إلى وجه !

وفى الجانب المقابل من المائدة ، كان يجلس مستر ريتر الشاب الاشقر الممتلىء الجسم ، بنظارته وشعره المرسل المتموج وعينيه المستديرتين الزرقاوين . . وأعتقد أنه كان جميلا فى طفولته وإن لم يكن كذلك فى شبابه . . والواقع أنه بدا لى أشبه بالخنزير الصغير البدين !

وكان إلى جانبه مستر إيموت الامريكى الجنسية مثله ، وقد بدا جذاباً حين يبتسم ، حليق الرأس ، مرح الملامح ، قليل الكلام..ثم تليه السيدة ميركادو.. لـكنى لم أستطع أن أتأملها بإمعان، لانى كلما ألتفت إليها ، رأيتها تحدق فى وجهى بنظرات حادة نهمة تثير فى النفس التقزز ، والنفور ، وتنم عن أخلاق سوقية غير مهذبة !

وكانت شابة فى نحو الخامسة والعشرين من العمر . . ملوحة البشرة ، مسرفة فى التجمل إلى حد الابتذال ، ترتدى ملابس صارخة الالوان ، كما تلون أظافرها بالاحمر الصارخ . . أما وجهها فصغير ، وعيناها واسعتان ، وشفتاها رقيقتان مزمومتان !

وفيما نحن نرتشف أقداح الشاى ، ونأكل الحلوى والفطائر ، دخل مستر كولمان ، أو بمعنى أصح اقتحم الغرفة بروحه المرحة ، واتخذ مجلسه إلى المائدة ثم شرع فى الثرثرة بلغو الحديث كعادته ، مما جعل السيدة ليدنر تزفر قليلا ، وتتراخى فى مقعدها وترسل إليه نظرات تنم عن الملل والاجهاد . . لكنه لم يكن يحفل بنظراتها التى ترجوه يكف عن الثرثرة ، ولا بانصراف السيدة ميركادو عنه ، كلما وجه الحديث إليها . . إذ كانت مشغولة بالنظر إلى !

وحين أوشكنا أن نفرغ من شرب الشاى ، أقبل الدكتور ليدنر ومعه مستر ميركادو ، فوجه الاول إلينا التحية بطريقته المهذبة ، ثم أسرع ينظر الى وجه زوجته فى قلق ، ثم ارتسم على وجهه الارتياح حين رآها فى حالة طيبة ، واتخذ مجلسه إلى المائدة .. وكذلك جلس مستر ميركادو فى المقعد الخالى بجانب السيدة ليدنر . . وكان رجلا طويلا ، نحيلا ، مكتئب الوجه ، ذا لحية خفيفة مشعثة ، ونظرات قلقة حائرة ، فى نحو الخامسة والاربعين من عمره

ولقد سررت لحضوره ، لأن زوجته كفت عن التحديق فى وجهى ، وانتقلت بنظراتها الحادة النهمة اليه !

ولم يبق حول المائدة غير مقعد واحد خال . . وما لبث أن فتح الباب ، وأقبل صاحبه .. ريتشارد كارى . وكان أجمل رجل رأيته فى حياتى !. ومع ذلك كان فى جماله شىء يثير النفور !.. وقد يكون فى هذا القول بعض التناقض.. ولكن هكذا كان شعورى وأنا أتأمله .. فقد كان رأسه المستدير وإهاب بشرته المشدود حول الجبهة مما يذكر الانسان بمنظر الجمجمة البشرية .. ومهما يكن من أمره ، فقد كان وجهه يشبه تمثالا جميلا من البرونز .. وكانت عيناه الزرقاوان اللامعتان ، تتناسبان مع لون بشرته الملوح بشمس الشرق ، وكان طويلا مسرفا فى الطول ، أما عمره فأقل من أربعين عاما . وقدمه الدكتور ليدنر إلى بقوله :

— مستر كارى .. مهندسنا المعمارى !

وتمتم الرجل بكلمات مجاملة فى صوت رقيق ، ثم اتخذ مجلسه فى المقعد الخالى بجانب السيدة ميركادو

ثم قالت له السيدة ليدنر : « أخشى يامستر كارى أن يكون الشاى قد برد بعض الشىء ! »

فقال معتذراً : « لا عليك ياسيدتى !.. فأنا اللوم لتأخرى عن الموعد .. كنت مشغولا بترميم تلك الجدران .. وقد رأيت أن أفرغ منها قبل أن أحضر »

وقالت السيدة ميركادو : « أتريد قليلا من المربى يامستر كارى ؟ ! »

ودفع مستر ريتراليه برقائق الحلوى . وعندئذ تذكرت ماقاله الميجور بينمان عن هؤلاء القوم من أنهم يتعاملون فيما بينهم كما يتعامل الغرباء لا الأصدقاء



وبعد الفراغ من الشاى ، صحبتنى السيدة ليدنر إلى الغرفة التى خصصت لى حيث أعربت لى عن أملها فى أن أجدها مريحة ، وفى أن أجد كل ما أحتاج اليه خلال إقامتى

وكانت الغرفة جميلة مرتبة ، بسيطة الأثاث ، مكونة من سرير ، وخزانة للثياب ، ومنضدة ، ومقعد ، وحوض للاغتسال

وقالت لى السيدة ليدنر : « سوف يحضر اليك بعض الخدم ماء دافئاً فى صباح كل يوم ، وقبيل طعام الغداء .. وقبل طعام العشاء .. وإذا احتجت إلى مزيد من الماء الدافىء فى أى وقت آخر ، فاخرجى إلى الفناء وصفقى بيديك ، فاذا حضر الغلام ، قولى له (جيب ميه) .. فهل يمكن أن تستوعبى هذه الكلمة العربية بسهولة ؟

فأومأت برأسى وأنا أكرر النطق بالكلمة العربية حتى حفظتها ، فابتسمت السيدة ليدنر مغتبطة وقالت وهى تحرك المصبنة عن موضعها فوق الحوض فى شرود :

— أرجو أن تكونى سعيدة بيننا ، وألا يخامرك الشعور بالملل !

فقلت لها مؤكدة : « اطمئنى ياسيدتى !. إنى قلما أشعر بالملل .. فالحياه أقصر من أن يفسدها مثل هذا الشعور ! »

ولم تجب هي بشيء !. وبقيت في شرودها تعبث بالمصبنـة الموضوعة على الحوض !

وفجأة ركزت نظرات عينيها البنفسجيتين على وجهي ، وسألتني :

ماذا قال لك زوجي الدكتور ليدنر عن حالتي ياعزيزتي ؟

ولم أفاجأ بهذا السؤال . . فقد كنت ــ بحكم عملي ــ أتوقعه وأستعد له ولأمثاله .. فاجبتها في هدوء :

ــ لم يقل شيئاً كثيراً !.. وكل مافهمته أنك تشعرين بالملل وبعض التعب ، وأنك في حاجة إلى فتاة مثلي تعنى بك وتخفف متاعبك !

فأطرقت هنيهـة كأنما تفكر في الأمر ، ثم قالت : « نعم .. أعتقد أن وجودك بجانبي سيبث في نفسي الشعور بالاطمئنان والارتياح »

فقلت لها : « وأنا أرجو أن تسمحي لي بمساعدتك في الأعمال المنزلية .. فإنني لا أطيق حياة الكسل ! »

فابتسمت وتمتمت : « شكراً ياعزيزتي ! »

وشد ماكانت دهشتي إذ انتقلت السيدة ليدنر فجأة إلى حيث جلست على حافة الفراش ، ثم أخذت تستجوبني في لهفة ودقة عن تفصيلات في حياتي الخاصة ، لم أكن أتوقع أن تعرض لها بوصفها سيدة كاملة التهذيب !

وقد سألتني عن مدة دراستي ومراني ومكانهما ، وعن السبب الذي دفعني للسفر إلى العراق ، والأسباب التي جعلت الدكتور رايلي يرشحني للعمل عندها ، وهل سبق لي السفر إلى أمريكا ؟.. وأسئلة كثيرة من هذا القبيل !

وتبدلت حالتها فجأة ــ مرة أخرى ــ فابتسمت في عطف ، وقالت لي بصوت عذب رقيق مفعم بالود والاخلاص : « أؤكد لك مرة أخرى أنني سعيدة بحضورك ! »

ثم نهضت وأردفت قائلة : « أتودين أن نصعد إلى السطح حيث نرقب الشمس وهي تغرب ..! ليس أجمل من منظر الغروب في الشرق ! »

فأومأت برأسي موافقة .. وفيما نحن نغادر الغرفة ، سألتني فجأة :

ــ هل كان عدد المسافرين كبيراً في القطار الذي أقلك من بغـداد ؟ . وهل كان فيهم رجال يلفتون النظر ؟

فقلت لها : « كل ما أتذكره الآن انى رأيت رجلين فرنسيين فى مركبة الطعام ، وثلاثة رجال آخرين كانوا يتحدثون عن خطوط أنابيب البترول ! »

فأطرقت السيدة ليدنر بعد أن تنهدت فى ارتيـاح ، وبقيت صامتة حتى بلغنا السطح المستوى الذى يدور فوق الغرفات جميعـاً ويشرف على المزارع الممتدة وراء المنزل من جهة ، وعلى مسا كن العمال والحراس من جهة أخرى. وقد وجدنا السيدة ميركادو هناك جالسة فوق الحاجز الصخرى الذى يدور حول السطح ، كما وجدنا الدكتور ليدنر منهمكا فى فحص مجموعة من الأوانى الفخـارية المكسرة ، وقد تناثرت حوله قطع مختلفة من الأدوات الأثرية كالفؤوس المصنوعة من الصخر ، والمدفآت الحجرية ، وأحجار الرص، وعدد كبير من القطع الخزفية المحطمة عليها نقوش مختلفة !

وهتفت السيدة ميركادو حين رأتنا : « أقبلا هنا .. أنظرا ما أروع منظر الغروب من هذا المكان ! »

وكان المنظر جميـلا حقاً ، إذ بدت بلدة الحسينية من بعيد وكأنها لوحة فنية ساحرة ، وبدا نهر دجـلة بشاطئيه الواسعتين وكأنه قطعة من أحلام الشرق !

ثم قالت لى السيدة ميركادو فى لهجة خبيثـة : « إننى أرجو أن توفقى فى عملك يا آنسة ليثران ! . . لقد حاولنا كثيراً أن نقنع عزيزتنا لويز بعرض نفسها على أحد الأطباء .. ولـكنها كانت تصر على الرفض .. ويبدو أن رفضها كان يرجع إلى اضطراب أعصابها .. أليس كذلك يا عزيزتى لويز ..؟!»

تمالت لها السيدة ليدنر وهى تتمالك نفسها فى جهد :« يبدو أن اضطراب أعصابى أثر فى حالتك النفسية كثيراً !.. وعلى كل حال يحسن أن نتحدث الآن فى موضوع آخر ! »

وأدركت حينئذ أن السيدة ليدنر من نوع النساء اللائى يثرن عداء غيرهن لهن فى سهولة ! . فقد كان صوتها مفعما بالخشونة والجفاء ، مما جعل السيدة ميركادو تحمر وجنتاها وتتمتم بكلمات غامضة تخفى بها خجلها واضطرابها !

ونهضت السيدة ليدنر على أثر ذلك وسارت إلى حيث كان يجلس زوجها

فى الجانب الآخر من السطح . . ويبدو أنه لم يشعر باقترابهـا منه حتى وقفت بجانبه ، وعندئذ رفع وجهه اليهـا وقد ارتسمت على ملامحه أمارات الحب واللهفة . . فأومأت اليه باسمة ، ثم تناولت يده ، وسارا معاً إلى السلم حيث هبطا إلى الفناء !

ورأيت أن أنتهز هذه الفرصة فأعرف من السيدة ميركادو ـ ذات النفس الخبيثة الماكرة ـ ما يمكن معرفته عن السيدة ليدنر ، لكى أستطيع تحديد الوسيلة التى أتبعها فى العناية بها . فقلت أمهد الطريق لمحدثتى :

ـــ الواضح أن السيدة ليدنر لم تكن فى حالة طبيعية خلال الفترة الأخيرة!

فأرسلت المرأة ضحكة جافة ساخرة وقالت : « حالة طبيعية ؟!.. لقد كادت تقتلنا فزعاً ، إذ زعمت مرة أنها سمعت طرقات على نافذة غرفتها فى الليل ، كما زعمت أنها رأت ذراعاً مقطوعة اليد تمتد اليها فى الظلام ، وحينما هرع زوجها اليها عقب الصرخة الفزعة التى أطلقتها ، لم يجد أى أثر لما زعمته ، لكنه مع هذا أخذ يهتف بها قائلا : «لاتخافى ياعزيزتى .. لاتخافى .. ها أنذا بجانبك!»

والواقع أنه زادها فزعاً بعبارته هذه .. «ولعلك تعلمين ياعزيزتى أن بعض الرجال يشجعون زوجاتهم على التمادى فى مثل هذه الأوهام والهواجس ! . » هذه الأوهام يجب ألا يشجع أحد عليها ..

فقلت لها : « لعل بعضهم كان يحاول مداعبتها فى سخف ! »

فقالت فى تأكيد : « كلا !.. لقد صرخت ذات يوم أيضاً ، زاعمة أنها رأت وجهاً مشوهاً أصفر يبدو خارج النافذة ، فلما هرعنا اليها ، لم نجد أى أحد !.. وفى يوم آخر ، فزعت أشـد الفزع إذ سمعت دوى ثلاث رصاصات انطلقت بعيداً جداً من المنزل . . وهـذا يعنى أن الأمر لا يمكن أن يكون من قبيل المزاح الثقيل . . وإنما هى أوهام وهواجس منشؤها أعصاب متهافتـة مريضة ! »

وفكرت قليلا فى هذا الأمر ، فرأيت أنه طبيعى جداً أن يفزع شخص مرهف الأعصاب حين يسمع دوى طلقات نارية من بعيـد أو من قريب ، ولكنى لم أجد تعليلا مقبولا لمسألة الذراع المقطوعة ، والوجه المشوه الأصفر ، ثم قلت لنفسى : إن الأمر لا يعدو أحد احتمالين : فإما أن تكون السيدة ليدنر



وقال المسيو ليدنر : « لا تخافى يا عزيزتى . . لا تخافى . . ها أنذا بجانبك »

قد اصطنعت هذه المزاعم ، مثلها فى ذلك مثل الطفلة تلجأ إلى الـكذب والمبالغة لتلفت الأنظار اليها وتثير الاهتمام بها ، وإما أن يكون هناك من يريد استغلال أعصابها المرهفة ليداعبها بتلك الطريقة الثقيلة التى تنم عن عقليـة صبيانية ، وليس من المستبعد أن يكون المستر كولمان هو ذلك المداعب الثقيل !

وأفقت من تفكيرى على صوت السيدة ميركادو وهى تقول باسمة فى غموض:

— إنها سيدة جميلة فاتنة كبطلات القصص الخيالية .. أعنى أنها من النوع الذى تحدث له الأحداث !

فسألتها : « هل وقعت لها حادثة من هذا القبيل ؟ »

فقالت : « ان زوجها الأول مات فى الحرب ، ولم تكن يومئذ قد جاوزت العشرين من عمرها !..

أليس فى هذا مايشبه الأحداث التى نطالعها فى القصص ؟ ! »

فقلت لها : « لست أرى فى هذا أكثر من حادث عادى كثيراً مايقع مثله لزوجات الجنود فى الحروب ! »

وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله ، فاقترحت على السيدة ميركادو أن نهبط من السطح ، فوافقت قائلة : « هل تحبين أن تشاهدى المعمل ؟ إن زوجى يعمل هناك ! »

فأومأت برأسى موافقة ، وهبطت معها إلى الفناء ، حيث مضينا إلى المعمل. وهناك أطلعتنى على بعض الأجهزة ، وعلى بعض التحف النحاسية التى تعالج فيه ، كما رأيت بعض قطع العظام المغلفة بالشمع .. ولما لم يكن مستر جوزيف ميركادو موجوداً ، فقد تساءلت زوجته قائلة : « ترى أين ذهب جوزيف ؟ ! »

ثم مضت بى إلى غرفة الرسم لتبحث عنه فيها ، وهناك وجدنا مستر كارى مكباً على عمله ، ورد على تحيتنا من غير أن يرفع رأسه ، وكان وجهه ينم عن قلق شديد

ووجدنا المستر ميركادو فى غرفة الجلوس ، وكان منهمكا فى الحديث إلى السيدة ليدنر عن بعض الوسائل المستحدثة لتمييز الآثار الزائفة من الحقيقية . وكانت السيدة ليدنر جالسة على مقعد عادى ، تشتغل بتطريز قطعة نسيج،وقد بدت لى فى جلستها كأنها مخلوق سماوي من فرط رقتها ونحول جسمها وسمات

الوداعة المرتسمة على وجهها . . وقالت السيدة ميركادو لزوجها بصوت مرتفع حاد :

— أهذا أنت ياجوزيف ؟ . كنت أحسب أنى سأجدك فى المعمل !

فوثب واقفاً فى اضطراب وارتباك ، وكأنما أفسدت زوجته ـ بدخولها المفاجىء ـ الجو الساحر الذى كان يعيش فيه .. وأخيراً غمغم متلعثما :

— يجب أن أذهب الآن !. لقد كنت أقول .. كنت أريد ...

وتوقف عن إتمام عبارته ، واستدار متجهاً إلى الباب ، بينما قالت له السيدة ليدنر بصوتها الناعم الرقيق :

— لابأس !.. فى فرصة أخرى تستطيع أن تتم حديث ذلك الاكتشاف !

ثم رفعت عينيها الينا ، وابتسمت فى عذوبة ، ثم استأنفت عملها فى قطعة النسيج !

وساد الصمت فترة ، ثم قالت لى وهى تشير إلى خزانة كتب :

— فى هذه الخزانة مجموعة مختارة من الكتب . . يمكنك يا آنسة ليثران أن تطلعى على مايعجبك منها !

ومضيت أنا إلى خزانة الكتب ، بينما بقيت السيدة ميركادو واقفة فى مكانها ، ثم استدارت فجأة وغادرتها ! .. على أنى رأيت وجهها وهى تمر بى ، فراعنى ما ارتسم عليه من أمارات الحقد والغضب !



تناولنا العشاء فى تلك الليلة . . وكان عشاء طيباً ، ثم أخذ كل منا يمضى إلى غرفته الخاصة ، وكنت مجهدة متعبة فى حاجة ملحة إلى النوم والراحة ، وصحبنى الدكتور ليدنر إلى غرفتى ليطمئن بنفسه على توافر أسباب راحتى شد على يدى بحرارة ومودة وقال لى :

— لقد أحبتك لويز يا آنسة ليثران منذ اللحظة الاولى . . وإنى لسعيد لهذا ، وأعتقد أن كل شىء سينتهى الى الخير والنجاح !

وكان حقاً يبدو كطفل سعيد وهو يتحدث فى حماسة واغتباط . والواقع أنى شعرت بأن السيدة ليدنر أحبتنى منذ اللحظة الاولى ، وقد أثلج هذا الشعور صدرى وأرضانى ، ولكنى لم أكن متفائلة مثله .. إذ كنت أرى أن

حالة زوجته أخطر مما يظن ، وأن هناك شيئاً خطيراً غامضاً لا أدرى كنهه يرفرف فى جو المكان كأجنحة سوداء مسحورة توحى بالانقباض وتزيد فى توتر الاعصاب . وفى الوقت نفسه كنت أشعر بأن السيدة ليدنر هى المركز الذى يدور حوله ذلك الشىء الخطير الغامض !

وأعددت نفسى للنوم ، وكان الفراش مريحاً ، ولكن نومى نفسه لم يكن مريحاً .. فقد أخذت مختلف الأحلام تنوشنى : فأنا حينا أرى وجه مستر كارى الجميل وقد تحول — فعلا — إلى جمجمة بشرية بين يدى السيدة ليدنر .. وحيناً آراه كأنه فارس من فرسان العصور الوسطى ، يخوض المعارك فى بحار من الدم ، وقد أردف خلفه على جواده السيدة ليدنر !.. ولم يكن يخالجنى شك فى ان هذا كله أضغاث أحلام !



صرخة في الظلام

يحسن أن أوضح هنا أني لن أتناول في قصتي هذه وصف البيئة التي أعيش فيها .. فأنا لا أعرف كثيراً أو قليلا في علم الآثار ، ولا أحب هـذا العبث برفات الموتى المدفونين تحت الثرى مهما يكن السبب !.. وقد صرح لي مستر كاري يوماً بأن المواهب الأثرية تنقصني .. وأعتقد أنه على حق في هذا !

على أنني في صباح الليلة الأولى من وصولي الى « تل العرجة » . لم يكد مستر كاري يسألني : « ألا تحبين أن تشاهدي القصر الأثري الذي كشفت البعثة عنه ؟ » . حتى سارعت إلى الموافقة مدفوعة بحب الفضول والرغبة في الوقوف على نوع القصور التي شيدت قبل ثلاثة آلاف من السنين ، وهل هي حقاً تشبه في روعتها ما رأيته في السينما عن روعة آثار الملك المصري الشاب القديم توت عنخ آمون ..؟!

وكانت صـدمة لآمالي وتخيلاتي أني رأيت « القصر » الذي حدثني عنه مستر كاري ، ليس أكثر من جدران قذرة من الطين لا يتجاوز ارتفاعها قدمين !.. ولـكن مستر كاري كان يرى هذه الجدران وكأنها قصر فخم يموج بالحياة والأحياء !.. وأخذ يشير لي في اغتباط كبير الى بعض المواضع داخل هذه الجدران وهو يقول : « هنا كان البهو الملـكي الرائع !.. وهنا كانت قاعة العرش العظيمة .. أما هذه الجدران المتقاطعة فهي جدران الجناح الملـكي ! »

ولم أستطع ـ تأدباً ـ أن أسأله كيف عرف هذه الحقائق ـ في حين أني لا أرى ـ في الواقع ـ غير خرائب وجدران من الطين . . فلا أعمدة من المرمر ولا سقف من الذهب أو الفضة ، ولا أبهاء ذات ألوان مثيرة .. ولا أي منظر جميل على الاطلاق !

وأخيراً . . عهد المستر كاري إلى الأب (ليفيني) في أن يطلعني على بقية

الحفائر . . وأعترف بأنى كنت لا أزال أشعر بالخوف والرهبة من هذا الراهب الأجنبي العجيب .. وقد زاد فى رهبتى منه أنه صارم الملامح ، عميق الصوت ، حاد النظرات .. والواقع أنه عاملنى معاملة رحيمة ، وقد تبينت أنه ــ مثلى ــ ليس شديد الحماسة للحفائر الأثرية ، وأن كل عنايته موجهة الى المخطوطات الأثرية ، سواء كانت جلوداً أم أوراق بردى أم قطعاً من الفخار

ثم ركز الراهب نظراته على وجهى وسألنى فجأة : « مارأيك فى الحالة .. أترينها طبيعة زاخرة بالغموض والشذوذ ؟!.. »

فقلت بعد أن فكرت هنيهة : « ان الحالة من الناحية المادية طيبة مريحة . أما من الناحية المعنوية فهى غير طبيعية .. بل تثير القلق بطريقة غامضة ! »

فأومأ برأسه موافقا وقال : « نعم أناأيضاً أشعر بالقلق لسبب غامض !.. ويخيل إلى أن شيئاً ما سيحدث . . وأن الدكتور ليدنر نفسه ليس فى حالة طبيعية .. فمن الواضح أنه شديد القلق أيضاً ! »

فقلت له معقبة على ذلك : « إن صحة زوجته هى السبب بطبيعة الحال ! »

فهز رأسه مرة أخرى وقال وقد مط شفتيه : « ربما ! . . ولكن هناك شيئاً آخر . . شيئاً لا أستطيع التعبير عنه . . إنه قريب من الشعور بالخوف وعدم الاطمئنان ! »

وقطع حديثنا فى هذا الموضوع ، أن أقبل الدكتور ليدنر فانضم الينا ، وشرع بدوره يطلعنى على بعض الآثار المكتشفة كالعقود والحلى النحاسية ، وكان منظر العمال مثيراً وهم فى ملابسهم البسيطة ، وعمائمهم الملتفة حول رؤوسهم وآذانهم ، وكان غناؤهم عجيباً ، لم أسمع مثله من قبل !



وبعد فترة من التجول بين الحفائر ، قال الدكتور ليدنر :

ــ لقد حان موعد شاى الضحى ، ويحسن أن نعود إلى المنزل الآن !

ولما عدنا إلى المنزل كانت السيدة ليدنر قد استيقظت ، وبدت أحسن حالا منها فى اليوم السابق ..

وفى خلال تناول الشاى أخبرها زوجها بآخر المكتشفات فى الحفائر ذلك اليوم ، ثم عاد إلى العمل بعد الفراغ من تناول الشاى !

وسألتنى السيدة ليدنر : « هل لك فى مشاهدة مجموعة التحف والآثار التى عثروا عليها فى الموسم الحالى ؟ »

فأعربت لها عن موافقتى ، ثم مضيت معها إلى غرفة حفظ الآثار . . وهناك رأيت مجموعة كبيرة من المواد ، أكثرها أوان فخارية محطمة ،أو كانت محطمة ثم أعيد تركيب أجزائها وإلصاقها . . وكانت كلها ـ فى رأيى ـ تشبه الأخلاط والنفايات التى لا يعيرها أحد اهتماما !

وتساءلت وأنا أنظر إلى هذه الأوانى : « أهى ثمينة إلى حد هذه العناية الكبيرة بها ؟! »

فابتسمت السيدة ليدنر وقالت لى : « لاتدعى إيريك يسمع هذا القول عنك .. إن هذه الأوانى أثيرة لديه ، عزيزة عليه ، وإنه لشديد الاحتفال بها. فان بعضها يرجع فى القدم إلى سبعة آلاف سنة ! »

وبعد أن شرحت لى بإيجاز كيف عثروا عليها ، أردفت قائلة : « سوف أطلعك على أشياء تستحق المشاهدة ! »

ثم تناولت من فوق رف هناك صندوقاً أخرجت منه خنجراً جميلا من الذهب الخالص ، ذا مقبض مرصع بالزمرد ، فلما أعربت عن دهشتى وسرورى ضحكت وقالت :

ــ نعم .. كل إنسان يسر لرؤية الذهب .. فيما عدا زوجى !

فسألتها : « لماذا لا يحب الذهب . . ؟ »

فأجابت على الفور : « لأن الذهب يكلفنا نفقات باهظة ! . ان إيريك يدفع إلى العمال سبائك ذهبية تعادل فى وزنها مانعثر عليه من تحف ذهبية ! وهذا هو التقليد المتبع . . وذلك لكى نمنع العمال من سرقة التحف الذهبية التى يعثرون عليها .. فانهم لا يفكرون الآن فى سرقتها ماداموا سيظفرون بقدر وزنها ذهباً .. وهكذا نحتفظ بهذه التحف التى تفوق قيمتها التاريخية ، قيمتها المادية ! »

ثم تناولت صحفة عليها كأس شراب من الذهب الخالص وقد نقش على جانب منه رأس كبش .. فلما عبرت عن إعجابى بجماله ، قالت لى :

ــ إنه جميل الصنع حقا ! . وقد عثرنا عليه فى مقبرة أمير . . والواقع

أننا اكتشفنا قبوراً ملكية كثيرة ، ولكن محتوياتها نهبت فى عصور سابقة ولا شك فى أن هذا الكأس أجمل ماعثرنا عليه فى هذا الموسم !

وفجأة قطبت السيدة ليدنر جبينها ، وأدنت الكأس من عينها ، وأخذت تفحصه بظفرها فى رفق ، ثم قالت وهى تعيده إلى موضعه :

— عجباً ! . . إن عليه آثاراً من الشمع . . لاشك أن بعضهم كان هنا حاملا شمعة مضاءة !

وبعد أن أطلعتنى على بعض التماثيل الحجرية الصغيرة غير المتقنة ، عدت معها إلى الدهليز المسقوف حيث وجدنا السيدة ميركادو مشغولة بصقل أظافرها وتلوينها ، وكانت بين الحين والآخر ترفع يدها وتتأمل بإعجاب منظر أظافرها ذات اللون الأحمر الصارخ ! . وكانت السيدة ليدنر قد أحضرت معها من غرفة الآثار ، صحنا خزفياً محطم الاجزاء ، فأخذت تعلمنى كيف نعيد تركيب أجزائه بعضها إلى بعض ، وماهى غير فترة وجيزة حتى تعلمت هذه الطريقة ، وظفرت باعجاب السيدة ليدنر !

وقالت السيدة مير كادو أخيراً : « إنكم جميعاً مشغولون بالاعمال ! . . وإن انشغالكم يجعلنى أشعر بكسلى الطبيعى الشديد ! »

فقالت لها السيدة ليدنر فى غير اهتمام : « إن كسلك لايضير أحداً على كل حال ! »

وبعد أن تناولنا الغداء فى الساعة الثانية عشرة ، أخذ مستر ميركادو والدكتور ليدنر فى تنظيف بعض الآنية الفخارية مما علق بها من أخلاط . . وكانا يستخدمان حامض الكلوردريك فى التنظيف .. أما مستر كولمان ومستر كارى فعادا إلى عملهما فى الحفائر . . بينما مضى مستر ريتر إلى عمله فى غرفة التصوير الشمسى

وقال الدكتور ليدنر لزوجته : « ماذا تنوين أن تفعلى الآن يا لويز . . أقترح أن تستريحى فى غرفتك بعض الوقت »

وأدركت من ذلك أن من عادة السيدة ليدنر قضاء فترة من الراحة بعد الظهيرة ، ثم تحققت ذلك حين سمعتها تجيب قائلة : « أستريح نحو ساعة كالمعتاد ، وربما أمضى بعد ذلك فى جولة قصيرة خلال المزارع »

فسألها زوجها : ستكون الآنسة ليثران معك طبعاً .. أليس كذلك ؟! »

فقلت له على الفور : « نعم .. ولا شك ! »

ولكن السيدة ليدنر عقبت على ذلك قائلة فى لهجة تنم عن الاصرار والعناد : « ليس هناك ما يدعو إلى إجهاد الآنسة ليثران باصطحابها معى فى كل مكان ! »

قلت : « إننى أحب أن أمضى معك ، وليس فى الأمر أى إجهاد ! »

فقالت فى صوت حاسم قاطع : « أفضل ألا تصحبينى ! .. إننى من حين لآخر أحب أن أخلو إلى نفسى ! »

ولم أشأ أن ألح ، فمضيت إلى غرفتى لأنام بعض الوقت ، وأنا أعجب من إصرار السيدة ليدنر على الخروج وحدها إلى المزارع ، فى الوقت الذى تعانى فيه تلك الأوهام والمخاوف العصبية !



وحينما غادرت غرفتى حوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، لم أجد فى الفناء أحداً إلا غلاماً يغسل الآنية فى وعاء نحاسى كبير ، وبجانبه مستر إيموت يجففها ويرتبها .. وفيما أنا أمضى نحوهما ، رأيت السيدة ليدنر مقبلة من ناحية الباب العام ، وكانت تبدو فى حالة نفسية رائعة ، وعيناها تتألقان بالرضى والغبطة !. ثم خرج الدكتور ليدنر من المعمل واتجه اليها وراح يطلعهـا على صحن كبير مثبت على جانبيه قرنا ثور ، قائلا لها :

— لقد حالفنا الحظ فى هذا الموسم .. ولكنى شديد الأسف لأن الأب ليفينى لم يعثر على كفايته من المخطوطات !

فقالت السيدة ليدنر فى صوت جاف : « الواضح أنه لم يفرغ بعد من فحص المخطوطات القليلة التى عثرتم عليها ، وقد يكون خبيراً عالمياً فى المخطوطات ، ولكنه برغم هـذا خبير أيضاً فى الكسل ! .. إنه يقضى فترة مابعد الظهر إلى الغروب فى النوم ! »

فقال الدكتور ليدنر : « الواقع إننا حرمنا من خدمات الدكتور بيرد .. إن الأب ليفينى ــ كما يبدو لى ــ غير بارع فى شئون المخطوطات الأثرية . .

فان ترجمتـه لبعض المخطوطات الحجرية تبدو محجية .. ولـكن لعلى أكون مخطئاً ! »

وبعد تناول الشاى سألتنى السيدة ليدنر : « هل لديك مانع من الخروج معى فى جولة على ضفة النهر ؟ » . قبلت هـــذه الدعوة فوراً ، إذ أدركت ما أرادته بها السيدة ليدنر ، وهو أن تزيل من نفسى أثر موقفها حين رفضت أن أصحبها فى جولتها الأولى بين المزارع !

وكانت الأمسية جميلة ، وكذلك كان الطريق الذى يمر بين مزارع الشعير حيناً ، وبين أشجار الفاكهة المثمرة المزهرة حيناً آخر .. وأخيراً وصلنا الى ضفة نهر دجلة . . وكان « تل العرجمة » يقع الى يسارنا مباشرة حيث العمال يرددون أغانيهم العجيبة الرتيبة . وكانت الى يميننا ــ على بعد يسير ــ ساقية ترسل فى الجو أنينها ، وفى القنوات دموعها . . وكان صوتها فى بادىء الامر يثير أعصابى ، ولـكنى تعودته فى النهاية وأحببته . أما فيما وراء الساقية ، فكانت تقع القرية التى يقيم بها عمال الحفائر ..

وقالت السيدة ليدنر فى ابتهاج : « إنه مكان جميل .. أليس كذلك ؟! »

فقلت لها : « نعم هو مكان هادىء مريح . . وإنى لأشعر وأنا فيه كأنى فى عالم آخر بعيد عن عالمنا الغربى كل البعد ! . »

فقالت : « بعيد عن عالمنا الغربى ؟!.. نعم ان الانسان يشعر فيه ــ على الأقل ــ بالأمن والاطمئنان ! »

ولم يسعنى إلا أن أنظر إليها فى دهشة ، فقد كانت عبارتها الأخيرة هذه تتناقض مع ما سمعته عن شعورها بالخوف من وجودها فى هذا المكان !..وقد بدت لى وأنا أنظر إليها وكأنها تحدث نفسها بهذه العبارة من غير أن تدرك ما تنطوى عليه من معان !

وفيما نحن نأخذ طريقنا الى المنزل بعد ذلك ، وقفت السيدة ليدنر فجأة وأمسكت ذراعى فى عنف قائلة لى فى صوت هامس مرتجف :

ـــ من هذا يا إيمى ..!؟ وماذا يفعل ؟!

ولما نظرت إلى حيث أشارت ، رأيت فى الممر القريب من منزل البعثة ، رجلا فى ملابس أفرنجية ، واقفاً على أطراف أصابعه ، يحاول اختلاس النظر

من إحدى النوافد . . وفيما نحن نرقبه ، أخذ يتلفت حوله ، فلما رآنا غادر مكانه أمام النافذة ، واتجه في طريقه إلينا . . فازداد ضغط السيدة ليدنر على ذراعي ، وهمست في خوف :

— إيمى .. إيمى . !

فقلت أهدىء روعها : « لا تراعي يا عزيزتي لا شيء ! »

واقترب الرجل منا ، ثم اجتاز طريقنا ، وكان رجلا عراقياً في ملابس أفرنجية .. فلما أدركت السيدة ليدنر هذه الحقيقة عنه،تنهدت مرتاحة، وقالت وقد زايلها الخوف : الحمد لله !.. إنه رجل عراقي لا أكثر !. »

ولما استأنفنا السير ، نظرت الى النوافذ حين اقتربنا منها ، فرأيتها ذات قضبان حديدية ، كما لاحظت أنها أعلى من أن يستطيع أحد النظر منها الى الداخل .. ذلك أن الارض كانت في هذا الجانب من المنزل أكثر انخفاضاً منها في الفناء الداخلي . . ولذلك قلت لا شك أنه عابر سبيل ، فضولي لا أكثر !

فأومأت السيدة ليدنر موافقة وقالت : « نعم .. ولكنني ظننت... »

ثم أمسكت فجأة عن اتمام عبارتها ، فقلت لنفسي : « ترى ماذا ظنت ؟.. هذا ما أريد أن أعرف ! »

على أني عرفت شيئاً واضحاً وهو أن السيدة ليدنر لا تخشى أوهاماً خيالية تجسمها أعصاب مريضة ، وإنما تخشى مخلوقاً بشرياً من لحم ودم !



كان هناك حقاً شيء غامض رهيب يخيم على جو الحياة في منزل البعثة ، وكان التوتر العصبي الشديد شائعاً بين أفراد البعثة جميعاً .. حتى الشاب المرح كولمان .. فقد قال ذات يوم بلهجته المرحة لمستر إيموت :

— لست أدري ماذا دهى أصحابنا هؤلاء !.. إن الكآبة تشيع بينهم حتى أصبحت الحياة معهم لاتطاق !

وأتيح لي أن أتبادل مع الآنسة جونسون حديثاً أوضح لي بعض الغموض، وكنت قد شعرت نحوها بالميل والمودة وأعتقد أنها كانت تبادلني هذا الشعور وهي - في رأيي - فتاة قديرة بارعة ذكية ، تحب الدكتور ليدنر كما يحب الانسان بطلا عظيم الشأن . . وقد ذكرت لي - أثناء هذا الحديث - قصة

حياته منذ عهد الشباب ، وكانت تحفظ عن ظهر قلب جميع أبحاثه الاثرية ، وتواريخ حفائره ، ونتائج كل منها !.. بل كانت تحفظ عبارات كاملة من كل محاضرة ألقاها عن الآثار والحفائر ، وكان مما ذكرته لى عنه لهـذه المناسبة أنه أبعد مايكون عن الغرور ، فقلت لها :

— نعم ياعزيزتى !.. إن الرجل العظيم حقاً لايدع للغرور سبيلا إلى نفسه!

فواصلت كلامها قائلة : « إنه عدا ذلك كان دائما ميالا للبهجة والمرح .. ولست أنسى السعادة الغامرة التى كنا نعيش فيها فى المواسم الماضية .. وكذلك مستر ريتشارد كارى لاينسى أفاويق هذه السعادة .. فانه صديق حميم للدكتور ليدنر منذ عشرة أعوام .. وقد عمل معه فى فلسطين قبل أن يبدأ العمل هنا .. أما أنا فقد اتصلت بهما منذ سبع سنوات

ثم سكت هنيهة فانتهزت أنا هذة الفرصة وقلت : « ما أجمل مستر كارى هذا .. ؟ »

فقالت الآنسة جونسون فى غير اكتراث : « نعم .. إنه جميل جداً .. كرجل ! »

فقلت لها معقبة : « لـكنه مكتئب أيضاً إلى حد ما .. أليس كذلك ؟ »

فقالت : « إنه لم يكن كذلك .. وقد استولت عليه هذه الكآبة منذ ... »

ثم أمسكت عن الحديث فجأة ، فقلت أغريها بالـكلام : « منذ متى ؟ »

فهزت الآنسة جونسون كتفيها وقالت : « لقد تغير الآن كل شىء .. وكل انسان ! »

ولبثت أنا صامتة أنتظر استطرادها فى الحديث ، فأرسلت هى ضحكة خفيفة جافة ، ثم قالت :

— أخشى أن أكون فتاة عجوزاً ثرثارة تحشر أنفها فيما لا يعنيها .. ومع ذلك لا أجد بأساً من القول بأن الزوجة التى لا تهتم بعلم الآثار، ما كان يجوز لها أن تصحب زوجها إلى أماكن حفرياته !.. إن وجودها فى مكان لا يتفق ومزاجها ، يؤدى عادة إلى اضطراب العمل !

فقلت لها فى مكر : « أتعنين السيدة ميركادو !؟ »

فلوحت الآنسة جونسون بيدها فى ازدراء وقالت : « لا .! .. بل أعنى

السيدة ليدنر .. إنها سيدة فاتنة حقاً وللدكتور ليدنر كل العذر فى افتتانه بها .. ولكن هذا لا يمنع من القول بأنها لا تصلح للحياة فى مكان كهذا .. إن وجودها يشيع الاضطراب فى كل شىء ! »

وهكذا أدركت أن الآنسة جونسون تتفق مع السيدة كيلسى فى أن السيدة ليدنر هى السبب المباشر لهذا الجو المضطرب الذى يخيم على أعضاء البعثة !

ولكنى بقيت أسائل نفسى حائرة عن السبب فيما تعانيه السيدة ليدنر من خوف عصبي !.. ثم عادت الآنسة جونسون إلى الكلام فقالت فى شىء من الحماسة :

— إنها تثير القلق فى نفسه . . أعنى فى نفس زوجها ! وإنى أحبه وأغار عليه كما يحب الكلب سيده ويغار عليه !.. ولهذا لا أطيق أن أراه مجهداً مضطرباً شديد القلق !.. يجب أن يكون تفكيره مركزاً لصالح العمل، وليس مشتتاً بسبب أوهام زوجته الحمقاء !. كان الواجب عليها أن تبقى فى أمريكا ما دامت حالتها العصبية لا تسمح لها بالحياة فى أماكن بعيدة غريبة .. نعم .. إننى لا أطيق هؤلاء الناس الذين يذهبون باختيارهم للحياة فى مكان معين ، ثم لا يكفون عن الشكوى من وجودهم فى هذا المكان !.

وتوقفت الآنسة جونسون عن الحديث ، وكأنما خشيت أن تكون قد تفوهت بأكثر مما ينبغى عن السيدة ليدنر ، واستدركت قائلة :

— إننى فى الواقع شديدة الاعجاب بها .. فهى سيدة لطيفة مهذبة !

ثم انتهى حديثنا عند هذا الحد !.

وكنت أعرف من تجاريب الحياة أن الغيرة هى الشعور الأساسى الذى يسيطر على النفوس حين تجمع الاقدار بين لفيف من النساء فى مكان واحد لمدة طويلة .. وكان واضحاً من حديث الآنسة جونسون أنها تكره زوجة رئيسها وتغار منها ، أما السيدة ميركادو فكانت بجانب غيرتها من لويز الجميلة ــ كما تسميها ــ شديدة الحقد عليها !

وكذلك كانت (شيلا) ابنة الدكتور رايلى ، فقد أدركت من حديثها عن السيدة ليدنر أنها لا تحبها . . وكانت قد حضرت إلى الحفائر بضع مرات فى الاسبوع الاول : مرة فى سيارة .. ومرتين على جواد يصحبها شاب على جواد

آخر وقد أدركت من بعض تصرفاتها أنها شديدة الاعجاب بذلك الشاب الصموت الرزين (دافيد ايموت) . . إذ كانت تكثر معه الحديث كلما التقيا فى منطقة الحفائر .. وأعتقد أيضاً أنه يبادلها الميل والاعجاب !

وقد ألمت السيدة ليدنر أثناء الغداء ذات يوم إلى هذا الميل المتبادل بين الشاب والفتاة ، إذ قالت له ضاحكة : « مسكين أنت يا دافيد !.. إن (شيلا) تحاول اصطيادك وتطاردك حتى فى الحفائر ! »

ولم يجب دافيد إيموت .. وإنما اضطربت وجنتاه بالحمرة ، ورفع عينيه ونظر فى عينى السيدة ليدنر فى شيء من التحدى الصامت .. بينما ابتسمت هى فى شحوب ، ثم تحولت بنظراتها بعيداً !.. وفى الوقت نفسه سمعت الاب (ليفينى) يغمغم بكلمات غامضة !

وبعد ظهر ذلك اليوم ، قال لى مستر كولمان المراح :

— الواقع أننى لم أكن أحب السيدة ليدنر فى أول الأمر . ولا سيما أنها تعودت أن تحرمنى وتخجلنى كلما اشتركت فى سماع حديث لى !.. ولكنى بدأت الآن أفهمها !.. إنها من ألطف السيدات اللائى عرفتهن .. وإذا كانت فى حديثها اليوم عن (شيلا) قد طعنتها فى الصميم .. فلا شك فى أن الذنب ليس ذنبها ، فقد كانت الفتاة هى البادئة بالعدوان إذ عاملت السيدة ليدنر بخشونة.. إنك لم تعرفى (شيلا) على حقيقتها بعد !. إنها فتاة غير مهذبة ، سريعة الغضب، دموية المزاج !

وكنت أعرف أن الدكتور رايلى قد دلل فتاته أكثر مما ينبغى ، ومن هنا لم أعجب من حديث كولمان عنها .. أما هو فاستطرد قائلا :

— من الطبيعى أن نلتمس لها العذر عما ترتكبه من أخطاء ! . . فهى مازالت فى طور الشباب والنزق ، ومثلها لا يوافقها العيش فى مكان بعيد كهذا ولكن ماعذرها فى أن تعامل السيدة ليدنر هذه المعاملة الشاذة القاسية ؟ . هل تظنها مازالت غريرة ؟ .. أم تظن أنها عجوز شمطاء فتعاملها كأنما تعامل جدة لها ؟ ! .. ان السيدة ليدنر ليست طفلة ولا عجوزاً ، بل هى سيدة كاملة جميلة .. جميلة كحوريات ألف ليلة وليلة بل جميلة إلى حد يجعلها تفتن العابد

إذا شاءت !..أما (شيلا) فانها لا تستطيع أن تفتن جحشا ، وإن استطاعت أن تسلط عليه لسانها !



وقد لاحظت فى خلال هذا الاسبوع الاول أمرين لهما دلالتهما فى سياق القصة :

وكان الامر الاول أنى ذهبت إلى المعمل لاحصل على قليل من مادة (الاسيتون) الحمضية كى أزيل بها ما علق بأصابعى أثناء اشتراكى فى تركيب أجزاء بعض الاوانى الاثرية . . وكان مستر ميركادو جالساً وحده فى ركن هناك ، وقد وقد وضع رأسه بين يديه، فخيل إلى أنه نائم، ومضيت إلى زجاجة (الاسيتون) حيث حملتها معى إلى المنزل . وشد ما كانت دهشتى فى مساء اليوم نفسه ، إذ سألتنى زوجته فجأة : « هل أخذت زجاجة (الاسيتون)من المعمل ؟ » . ولما أجبت بالايجاب قالت لى فى غضب ظاهر :

— إنك تعرفين تماما أن فى غرفة الآثار زجاجة أسيتون صغيرة مخصصة لتنظيف الاصابع بعد العمل ..!

ولم أكن أعرف أن هناك زجاجة أخرى غير التى أخذتها ، فلما أخبرتها بذلك لم تصدقنى ، وأمعنت فى غضبها قائلة : « بل أعتقد أنك تعرفين !..إننى أعرف حقيقتكن أيتها المرضات . . إنكن مشغوفات بالتجسس على أسرار الناس !»

فنظرت اليها فى دهشة ، ثم قلت لها بكبرياء : « لست أفهم ماذا تعنين ياسيدتى ؟... أنى لأبعد الناس عن التجسس على أسرار غيرى ! »

فحدجتنى بنظرة مسترية واستطردت تقول : « إذن .. ماالذى حدا بك إلى المجىء إلى هنا ؟ .. إننى أعرف لماذا جئت إلى هذا المكان .. نعم أناأعرف كل شىء »

وخطر لى أنها مخمورة ، وكان فى هيئتها وحركاتها ما يرجح ذلك ، فما وسعنى إلا أن تركتها وكلى اشمئزاز واستنكار !

أما الامر الثانى فلم يكن ذا أهمية كبيرة فى ظاهره . . فقد كنت ذات يوم فى الفناء ، وفى يدى قطعة من الخبز أحاول تقديمها لكلب صغير ، ولم يطمئن

الكلب إلى ، فانطلق يعدو خارج الباب العام ، وفيما أنا أحاول اللحاق به كدت أصطدم بالاب ليفيني وهو واقف بالباب من الخارج ، فاعتذرت اليه والدهشة تكاد تعقد لسانى ، إذ فوجئت برؤيته يتحدث هناك مع ذلك الرجل العراقى ذى البزة الافرنجية الذى رأيته أنا والسيدة ليدنر يحاول اختلاس النظر من إحدى النوافذ الخلفية للمنزل !

وقبل الراهب اعتذارى مبتسما فى تلطف ، ثم ودع محدثه متعجلا ، وعاد معى إلى الفناء وهو يقول :

— الحقيقة أنى شديد الخجل من نفسى ! . . فأنا برغم خبرتى باللغات الشرقية ، لا أكاد أستطيع الحديث مع العمال هنا بلغتهم الدارجة . . إنه أمر يدعو إلى الاسف حقا أليس كذلك ؟ . . وقد حاولت أن أجرب حظى فى التحدث باللغة العراقية الدارجة مع هذا الرجل الحضرى ، ولكن حظى معه لم يكن أحسن من حظى مع العمال ! . إن الدكتور ليدنر كان على حق حين صرح لى بأن لغتى العربية ضعيفة جدا !

ولم أجد ما أعقب به على حديث الاب ليفينى ، فاكتفيت بأن أومأت برأسى دلالة على الاقتناع ، ثم بقيت بعد افتراقنا مشغولة بالتفكير فى أمر هذه المصادفة التى جعلت الراهب العجيب يختبر معلوماته فى اللغة العربية مع ذلك الرجل بالذات !

وفى تلك الليلة نفسها وقع ما أثار فزعنا ! . . ففى حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، استيقظت فى فراشى فجأة إذ شعرت بحركة فى غرفتى ، وما فتحت عينى حتى رأيت السيدة ليدنر أمام سريرى وسمعتها تنادينى فى خوف ولهفة ! . وكان وجهها يبدوا شاحباً مفزعا فى ضوء الشمعة الموضوعة فى قنديل على منضدة بجانب الفراش ، وتبينت أنها فى ثوب نومها الازرق الطويل . . ثم قالت لى فى صوت متقطع مرتعب :

— يوجد شخص غريب فى الغرفة المجاورة لغرفتى !. لقد شعرت بوجوده وتحققت هذا بعد استيقاظى من سماع وقع قدميه وحركة يده وهو يحاول نبش الجدار الفاصل بين الغرفتين !

ولم يسعنى إلا أن قفزت من الفراش ، وقلت لاهدىء روعها :

لاتخافى ياعزيزتى !. إننى معك .. لاتخافى أى شىء !

فهمست قائلة : « هيا نوقظ إيريك ! »

فأومأت برأسى موافقة ، ثم هرعنا إلى غرفة الدكتور ليدنر حيث طرقت بابها فى رفق ، وبعد لحظات كان الدكتور معنا ، وكانت السيدة ليدنر جالسة على فراش تلهث من فرط الرعب وهى تردد قولها :

— لقد سمعته !. سمعته يعبث بالجدار .. فى غرفة الآثار !

فهتف زوجها متسائلا فى دهشة : « فى غرفة الآثار ؟! »

ثم انطلق يعدو نحو تلك الغرفة . . وقد عجبت فى نفسى من اختلاف أثر الحادث فى نفس كل من الزوجين . . فقد كانت السيدة ليدنر شديدة الخوف على نفسها ، بينما كان زوجها شديد الخوف على قطع الآثار الغالية ..

ونهضت السيدة ليدنر أخيراً ، وقالت لى وقد تمالكت نفسها إلى حدما :

— هيا بنا إلى هناك يا عزيزتى

وهناك فى غرفة الآثار وجدنا الدكتور ليدنر يتحدث مع الأب ليفينى .. وقد ذكر هذا الاخير أنه سمع صوتاً أثار ريبته ، فغادر غرفته ليتحرى الامر ، ولما شاهد غرفة الآثار مضاءة عاد إلى غرفته حيث لبس حذاءه وألقى رداء على كتفيه ، ثم قصد إلى غرفة الآثار وهو يمسك مشعلا ، فلما بلغها ، وجدها مغلقة كالعادة ، ولم يجد بها أحداً .. وفيما هو يطمئن على التحف الموجودة بها ، لحق به الدكتور ليدنر

وقرر الرجلان أنه من المحتمل أن يكون الصوت الذى سمعته السيدة ليدنر هو صوت الاب ليفينى حين أخذ يفحص الصناديق والاوانى للتأكد من عدم فقد شىء منها .. ولكن الاب ليفينى كان واثقاً من أنه سمع وقع أقدام خارج نافذة غرفته ، ومن أنه رأى غرفة الآثار مضاءة حينما غادر غرفته أول مرة !

أما بقية أعضاء البعثة فقرروا أنهم لم يروا أو يسمعوا أى شىء من ذلك القبيل !

وأياً ما كان هذا الحادث ، فان أهميته عندى تتركز فى أن السيدة ليدنر أفضت إلى بعده بذات نفسها !

العدو المجهول

فرغنا من وجبة الغذاء فى اليوم التالى ، فمضت السيدة ليدنر إلى غرفتها لتستريح ـ كعادتها ـ بعض الوقت ، وذهبت معها لاهيىء لها الفراش والوسائد والكتب التى ستقرأ فيها

وبعد أن انتهيت من هذه المهمة هممت بمغادرة الغرفة ، ولكن السيدة ليدنر استبقتنى قائلة :

ــ انتظرى يا إيمى .. أريد أن أتحدث اليك !

ثم طلبت منى أن أغلق باب الغرفة ، فأجبت طلبها ، وبقيت أنتظر ماستقوله . بينما راحت هى تذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وقد بدا فى وضوح أنها ترتب فى ذهنها ماتريد أن تخبرنى به . ولم أشأ أن أستعجل حديثها ، فلبثت صامتة أغالب شدة قلق وفضولى إلى أن وقفت هى فجأة ، والتفتت إلى قائلة : « اجلسى هنا ! »

ولما جلست بجانب المنضدة حيث أشارت ، بدأت حديثها فقالت : « لقد قررت أن أخبرك بكل شيء ! . نعم . . يجب أن أفضى بذات نفسى إلى أحد قبل أن أجن ! »

فقلت لها : « لاشك فى أن الافضاء بذات النفس مما يهدىء الاعصاب ! »

فتنهدت السيدة ليدنر ، ثم ركزت نظراتها فى وجهى وسألتنى :

ــ ألا تعرفين سر مخاوفى ؟ ! . . أعنى . ألم تدركى بعد ما الذى يخيفنى ! »

فأجبت قائلة فى هدوء : « الواقع يا سيدتى أن كل ما أدركته هو أنك تخافين من رجل .. رجل معين على ما أظن !. »

فقالت لى فى مرارة : « لم أقصد الشخص الذى أخافه ، بل أسألك عن الشىء الذى يخيفنى ! »

ولما أجبت بأنى لا أعرف هذا الشىء . استطردت السيدة ليدنر فقالت :

— إننى أخاف من القتل !.. نعم أخاف أن يقتلنى أحد !

وتمالكت نفسى حتى لا أزيد فى اضطرابها العصبى ، فقد كانت فى تلك اللحظة توشك أن تنهار من فرط الاهتياج والخوف ، ثم قلت لها فى هدوء : « أهكذا الامر ؟ ! »

وأخذت هى تضحك ضحكا عصبياً متصلا جعل الدموع تنحدر غزيرة على وجنتيها ، ثم قالت فى صوت متقطع خافت : « يبدو أنك لاتهتمين كثيراً لهذا الامر الخطير ! »

فقلت لها فى صوت حاد : « كلا ! . بل هو يهمنى كل الاهتمام ، ويجب أن تثقى بذلك كل الثقة ! »

ثم دفعت بها إلى المقعد ، ومضيت إلى الحوض حيث أحضرت قطعة من الاسفنج المبلل ، وشرعت أمسح وجهها ويديها فى رفق وأنا أقول لها : « أخبرينى ياعزيزتى بما تريدين فى هدوء واتزان ! »

وسكتت هى قليلا ريثما تمالكت نفسها بعد الجهد الذى بذلته فى ضحكها العصبى ، ثم قالت لى فى صوت رقيق عميق : « إنك جوهرة ثمينة ياعزيزتى إيمى ! . . إنك تشعريننى بأنى طفلة فى السادسة من عمرى . . حسنا يا عزيزتى ! وسأخبرك بكل شىء !.. »

ثم أخذت تتحدث فى بطء وهدوء قائلة :

— فى العشرين من عمرى ، تزوجت شاباً فى مثل سنى ، وكان ذلك فى عام ١٩١٨

فقلت لها : « إننى أعرف هـذا ، وقد أخبرتنى السيدة ميركادو أنه قتل فى الحرب ! »

فهزت رأسها واستطردت تقول : « هذا هوماتعرفه هى ويعرفه الجميع.. أما الحقيقة فهى تختلف كثيراً . . لقد كنت يومذاك فتاة متعصبة لوطنى إلى أقصى حد .. ثم علمت ـ مصادفة ـ بعد زواجى ببضعة أشهر أن زوجى الشاب

يشتغل بالتجسس لحساب ألمانيا ، وأن المعلومات التي أرسلها إلى ألمانيا كانت السبب المباشر في إغراق سفينة حربية وطنية كانت تحمل مئات من الضباط والجنود !.. ولست أدرى ماذا كانت تفعل أية زوجة أخرى لو أنها كانت في موضعي .. أما أنا فقد ذهبت إلى أبي الذي كان عضواً في مجلس إدارة الحرب وأخبرته بالأمر .. وهكذا مات فردريك ـ زوجي ـ ولكنه لم يمت في الحرب كما يظن الناس ، وإنما أعدم رمياً بالرصاص بوصفه جاسوساً للأعداء ! »

ولم يسعني إلا أن هتفت قائلة : « يا للهول ! » بينما واصلت السيدة ليدنر حديثها أو اعترافها فقالت :

— نعم يا للهول ! . . لقد كان فردريك ـ زوجي الأول ـ شاباً رقيقاً جذاباً ، وكان شغوفاً بي ، متفانياً في حبي ، ومع ذلك لم أتردد في تسليمه إلى الجلاد . . ولعلي أكون مخطئة !

فقلت لأهون عليها ما تعانيه من مرارة الذكرى ولاعج الحزن :

— من العسير على أي إنسان أن يحكم لك أو عليك في هذه الحالة ! . . وأنا نفسي لست أدرى ماذا كان يجب أن تفعلي !

فهزت رأسها وهي تتنهد ، ثم قالت : « إن ما أذكره لك الآن لا يعلم به أحد خارج نطاق مجلس الحرب ، فقد أذيع حينذاك أن زوجي مات في ميدان القتال ، وهكذا أصبحت موضع العطف من الجميع بوصفي أرملة جندي بطل ! »

وكان صوتها ـ وهي تنطق بالكلمات الأخيرة مفعماً بالمرارة والألم ، على أنها تمالكت السيطرة على نبراته ، واستطردت تقول :

— كان الشبان الذين طلبوا يدي للزواج بعد ذلك كثيرين ، ولكني أصررت على الرفض بعد هذه الصدمة في زواجي الأول .. وكنت أشعر بأني لن أستطيع الثقة بأحد بعد الذي حدث !

فأومأت برأسي موافقة وقلت لها : « إنني أفهم مشاعرك حق الفهم ! »

فلمعت عيناها ببريق الشكر والارتياح واستطردت تقول :

— ثم أحببت شاباً معيناً ، وشرعت أفكر في الزواج منه !.. وفي أثناء ذلك فوجئت بأن تلقيت رسالة بغير توقيع ولكنها بخط فردريك زوجي الأول نفسه ، يهددني فيها بالقتل إذا تزوجت أحداً غيره !

وتملكتني الدهشة ، ثم استطعت فى جهد شديد أن أهتف متسائلة : « كيف هذا ؟.. ألم يعدم فردريك زوجك الأول رمياً بالرصاص ؟! »

فقالت السيدة ليدنر : « نعم يا عزيزتى !.. وهذا ما جعلنى أظن حين تسلمت رسالته أنى حالمة أو أنى فقدت عقلى ، وأخيراً ذهبت بها إلى أبى ، فأخبرنى بالحقيقة !.. أخبرنى بأن زوجى الأول فردريك لم يعدم رمياً بالرصاص ، وإنما استطاع الفرار من السجن قبيل تنفيذ الحكم ، لكن فراره لم ينفعه . . فقد مات مقتولا بعد أسابيع من فراره ـ فى حادثة قطار .. ووجدت جثته ممزقة مشوهة بين جثث ضحايا الحادث .. وقد أخفى أبى هذه الحقيقة عنى ، على أساس أن فردريك مات وانتهى أمره بالنسبة لى .. على أنه لم يجد مندوحة من كشف هذه الحقيقة لى حين أطلعته على الخطاب ! »

وبعد فترة من الصمت ، استطردت السيدة ليدنر فقالت :

ــ إن هذا الخطاب فتح أمامى آفاقاً جديدة من الظنون والأوهام !.. فأخذت أفكر ملياً فى الأمر ، وكلما أمعنت فى التفكير ازدادت هواجسى وقويت شكوكى فى وفاة زوجى الأول ، وفى الوقت ذاته أخذ أبى يواصل التحريات هنا وهناك فى حيطة وحذر ، وقد دلت التحريات كلها على أن جثة فردريك كانت بين الجثث التى دفنت بعد حادث القطار ، وعلى أن الخطاب الغفل من التوقيع ليس إلا دعابة سمجة

وسادت فترة صمت أخرى ، ثم استأنفت السيدة ليدنر حديثها قائلة :

ــ تكرر حادث هذا الخطاب بعد ذلك مرات ، فكنت كلما توطدت أسباب المودة بينى وبين أحد الشبان ، وفكرت فى الزواج به ، أفاجأ بخطاب تهديد بالقتل ، لا يشتمل على توقيع ، ولكنه مكتوب بخط يشبه خط فردريك ، وكان من العسير على أن أجزم بأن الخط له أو لغيره لأنى لم أحتفظ بأية رسالة منه بعد تلك النهاية المؤلمة لزواجنا ، فلم أكن أعتمد إلا على ذاكرتى فى المقارنة بين الخطين !

وهنا سألتها : « ألم تكن فى هذه الخطابات بعض العبارات المعينة أو التعبيرات المألوفة التى ترجح كفة اليقين على الشك فى أن هذه الخطابات من فردريك ؟ »

فأجابت على الفور قائلة : « لا ..! ولو أن هذه الخطابات حوت بعض العبارات الخاصة التي كنا نتبادلها لأيقنت من وجوده على قيد الحياة »

فقلت لها بعد تفكير هنيهة : « إذا أخذنا بالظاهر فان هـذه الخطابات ليست من زوجك الأول ، لـكن .. هل كان يوجد شخص آخر يسعى إلى عرقلة زواجك ؟ »

فقالت : «هذا محتمل .. فقد كان لفردريك شقيق أصغر .. غلام كان فى العاشرة أو الثانيـة عشرة من عمره حين تم زواجنا .. وكان هـذا الشقيق الأصغر ، واسمه ويليام ، يحب أخاه فردريك أشد الحب .. ولست أدرى ماذا صنعت به الأيام بعد مأساة أخيه . ومن المحتمل أن يكون بعد أن كبر قد علم بحقيقة مصرع أخيه ، فعدنى مسئولة عنه وقرر لذلك أن يعاقبنى بالحرمان من الزواج مدى الحياة ! »

فقلت لها : « هذا احتمال معقول ! .. والمعروف أن لبعض الغلمان تصرفات عجيبة حين يصدمون فى مشاعرهم ..! »

فقالت : « نعم يا عزيزتى إعى ، لا يبعد أن يكون هذا الغلام قد كرس حياته للانتقام منى ! »

ثم عادت السيدة ليدنر إلى ما كنا فيه من حديث فقالت :

— لم يبق من قصتى غير شىء يسير !.. فقد التقيت بالدكتور ايريك ليدنر منذ ثلاثة أعوام ، وكنت قد عقدت العزم على عدم الزواج ، ولـكن إيريك استطاع أن يقنعنى بالزواج منه ، وأعترف أنى بادلته الحب، ولولا هذا لما تيسر له إقناعى .. ومع ذلك أخذت أنتظر ــ حتى ساعة الزفاف ــ وصول خطاب التهديد التقليدى . . فلما لم يصل الخطاب ، أدركت أن كاتبه ــ أياً كان ــ إما أن يكون قد مات ، وإما أن يكون قد مل تلك الدعابة الرهيبة .. على أنى بعد أن تم الزواج تلقيت هذه الرسالة !

ثم تناولت حافظة رسائل كانت موضوعة على المنضدة ، وأخرجت من بينها رسالة قدمتها لى لاقرأها . وكان لون مدادها قد تغيرقليلا ، وخطها أقرب الى خط سيدة منه الى خط رجل .. وقرأت فيها ما يلى :

« لقد عصيت أمرى .. فلا نجاة لك .. كان يجب أن تبقى زوجة فردريك بوسنر فقط .. لقد آن أن تموتى ! »

وقالت السيدة ليدنر : « لقد أفزعتنى هذه الرسالة . . ولكن ليس إلى حد كبير .. ذلك لان وجود ايريك إلى جانبي خفف من شعورى بالفزع ، ولكنى بعد شهر من زواجنا، تلقيت هذه الرسالة الثانية ! »

ثم ناولتنى هذه الرسالة فقرأت فيها بالخط نفسه : « إننى أعد وسائلى .. يجب أن تموتى .. لماذا عصيت أمرى ..؟! »

وسألتها : « هل يعرف الدكتور ليدنر هذا كله ؟ »

فأجابت قائلة : « نعم !. إنه يعرف أننى مهددة بالقتل ، وقد أطلعته على الخطابين بعد أن تلقيت الاخير منهما ، ومن رأيه أن الامر كله لا يزيد على دعابة ثقيلة ، وان كان يرى أيضاً احتمال وجود شخص يريد ابتزاز المال منى بهذه الطريقة .. أى بالادعاء بأن زوجى الأول لم يزل على قيد الحياة ! »

وسكتت السيدة ليدنر قليلا ، ثم استطردت قائلة : « بعد أيام قليلة من وصول الخطاب الثانى ، نجوت أنا وزوجى من الموت بأعجوبة !. فقد تبين أن شخصاً مجهولا عبث بصمام غاز الاستصباح فى مسكننا أثناء نومنا . . ولولا أنى استيقظت مصادفة ـ لحسن الحظ ـ وشممت رائحة الغاز لقضى علينا أثناء النوم.. وعندئذ أخبرت زوجى بالأمر كله ، وصرحت له بيقينى من أن هذا المجهول ـ أيا كان ـ يهدف حقاً إلى قتلى .. والواقع أنى منذ ذلك الحين بدأت أعتقد أن هـــذا الشخص المجهول هو فردريك زوجى الأول نفسه ، فأنا أعلم أنه برغم مظاهر الرقة التى كانت تبدو عليه ـ جرىء جسور إلى أبعد حد ! »

وسكتت السيدة ليدنر فترة أخرى ، ريثما استجمعت بعض قواها ، ثم قالت: « إن إيريك كان أقل فزعا منى ، وقد أراد أن يبلغ الأمر إلى رجال البوليس ولكنى عارضت طبعاً .. وأخيراً استقر الرأى على أن أصحبه إلى هنا ، وعلى ألا أعود إلى أمريكا فى الصيف ، وإنما أمضى إلى فرنسا حيناً ، ثم إلى انجلترا حيناً .. وتحسنت الأحوال بعد أن نفذنا هذا القرار ، وشعرت بأن كل شىء على مايرام ، ولا سيما بعــد أن جعلنا نصف الكرة الأرضية بيننا وبين ذلك العدو المجهول ... ولكن حدث فجأة ، منذ ثلاثة أسابيع أن تلقيت رسالة

عليها طابع بريد عراقى ، فلما فضضتها فوجئت بأنها بذلك الخط نفسه الذى كتبت به الرسالتان السابقتان ، وكان فيها مايلى :

« لقد حسبت أن فى وسعك النجاة ، لكنك مخطئة .. محال أن تعيشى بعد خيانتك لى ... لقد قلت لك هذا دائماً .. ولهذا فان الموت آتيك بأسرع مما تتوقعين ! »

ثم أردفت السيدة ليدنر قائلة وهى تقدم إلى رسالة أخرى :

منذ أسبوع فقط وجدت هذه الرسالة هنا على هذه المنضدة . . ولم يكن يكن عليها أى طابع بريدى !

وكانت الرسالة تحمل عبارة واحدة هى : « لقد وصلت . . »

وبقيت السيدة ليدنر تحدق فى وجهى وأنا أتأمل تلك العبارة ثم قالت :

أرأيت ؟! إنه سيقتلنى !.. قد يكون هو فردريك .. وقد يكون ويليام أخاه .. وسواء كان هذا أم ذاك ، فانه سيقتلنى !

ولما تهدج صوتها من فرط الفزع ، أمسكت بمعصمها قائلة :

تمالكى نفسك ياعزيزتى !.. إننا جميعاً حولك .. حراس عليك !

ثم قمت واتجهت إلى حيث حوض الاغتسال ، فأحضرت من هناك زجاجة الدواء المهدىء للأعصاب ، وأسقيتها جرعة كبيرة منه ، ثم قلت لها حين رأيت الدماء تتصاعد إلى وجهها : « أشعرت بالتحسن ؟ »

فقالت : « نعم ، أنا أحسن حالا الآن !. ولكن هل أدركت ياعزيزتى سر اضطرابى وتوتر أعصابى . . وهل تذكرين ما اعترانى من الخوف حين رأيت ذلك الرجل العراقى يختلس النظر إلى غرفتى من نافذتها الخلفية ؟. لقد ظننت أنه هو العدو المجهول !. بل حتى أنت ياعزيزتى ايمى . . كنت أشك فى أمرك يوم حضرت الينا ، إذ كنت أخشى أن تكونى رجلا متنكرا فى ملابس ممرضة ! »

وكان تأثرى شديداً وأنا أسمع هذه العبارات ، بينما مضت السيدة ليدنر فقالت :

— إنه خاطر عجيب ولا شك ، ولكن اعذرينى ياعزيزتى ، فمن أين لى أن أتحقق أنك لست شريكة لذلك العدو المجهول !

وعندئذ طرأ على ذهنى خاطر جعلنى أقول لها : « لاشك أنك تعرفين زوجك الأول حين ترينه !؟ »

فقالت لى : « لست واثقة من ذلك !.. فقد مضى على زواجى منه خمس عشرة سنة .. ومن يدرى فلعله إن كان حياً قد تغيرت هيئته كثيراً عن ذى قبل ! »

ثم ارتعدت فى عنف وقالت : « ولكنى رأيت ذات ليلة .. رأيت وجهه الميت الأصفر الرهيب .. فقد سمعت طرقات خفيفة على مصراع النافذة الزجاجى فلما التفت نحوها رأيت وجهه الأصفر ملتصقاً بالزجاج من الخارج . . كان ينظر إلى بعيون جوفاء رهيبة .. فصرخت مرتعبة .. وبقيت أصرخ حتى حضر الجميع وأكدوا لى أنى واهمة ، وأنه لا يوجد أحد مطلقاً خارج النافذة ! »

وهنا تذكرت ما قالته لى السيدة ميركادو عن هذا الأمر ، وقلت : « أأنت واثقة أن الأمر لم يكن حلماً ؟! »

فقالت : « أنا على يقين تام من أننى لم أكن حالمة أو واهمة ! »

فقلت لها « كثيراً ما يرى الإنسان ، فى مثل هذه الظروف ، أحلاماً رهيبة تبدو من فرط رهبتها كأنها حقائق ، فيختلط عليه الأمر ، ثم يوقن فى النهاية أن ما رآه ليس حلماً وذلك بسبب اضطراب أعصابه وتركيز فكره فى موضوع معين »

ثم أخذت أهدىء روعها وأعصابها مؤكدة لها أن من المستحيل على أى شخص أجنبى أن يظهر فى هذه المنطقة من غير أن يراه أحد أعضاء البعثة أو العمال أو الحراس . .

وبعد أن غادرت غرفتها مطمئنة إلى عودة الهدوء والسكينة إلى نفسها مضيت للبحث عن الدكتور ليدنر ، فلما لقيته أخبرته بما كان بينى وبين زوجته من حديث ، فقال لى فى هدوء :

— إننى سعيد لحديثها معك ، فقد كنت شديد القلق عليها . وأنا واثق بأن الوهم وحده هو الذى خيل اليها سماع تلك الطرقات على النافذة ، ورؤية الوجه الأصفر خلف زجاجها . فمثل هذا يحدث عادة لذوى الأمراض

النفسية . . والواقع أنى لم أكن أدرى ماذا أفعل لطرد هذه الأوهام عنها . . لـكن ما رأيك أنت فى الأمر كله يا آنسة ؟

فقلت له « من المحتمل أن تكون كل هذه الخطابات دعابة ثقيلة قاسية ! »

فقال : « نعم هذا محتمل ! . . ولـكن لويز تكاد تفقد عقلها لهذا السبب . . إنى لا أدرى ماذا يجب أن نفعل »

ولم أدر كيف أجيب عن هذا السؤال ، ثم لاح لى أن وراء تلك الحوادث امرأة . . ولا سيما أن الخط الذى كتبت به تلك الرسائل يشبه خط النساء . وقفزت إلى ذهنى صورة السيدة ميركادو ؟ ولـكنى سرعان ما قلت لنفسى : « إن هذا احتمال غير بعيد ، ولـكن لنفرض أنها عرفت الحقيقة عن الزوج الأول للسيدة ليدنر ، فهل تجرؤ على أن تشفى غليلها منها بهذه الطريقة الرهيبة ؟ ! »

ورأيت ألا أفضى بهذه الخواطر إلى الدكتور ليدنر ، وا كتفيت بأن قلت له فى تفاؤل :

— مهما يكن من أمر ، فيجب ألا نيأس ! . . إن السيدة ليدنر الآن أحسن حالا ، بعد أن فضت بذات نفسها إلىّ ، ومن المحتمل أن تزداد حالتها تحسناً . ذلك أن كتمان الأسرار وكبت المشاعر مما يرهق الأعصاب

فقال الدكتور ليدنر : « من أجل ذلك أنا سعيد جداً لأنها أخبرتك بما يصطرع فى نفسها ، فهذه دلالة طيبة تنم على أنها تحبك وتثق فيك . . وقد أ كدت أفقد عقلى من فرط القلق عليها والحيرة فما يجب أن نفعل ! »

وخطر ببالى أن أطلب اليه إبلاغ الأمر إلى السلطات المحلية ، ولـكنى عرفت فما بعد أنى أحسنت لأنى لم أطلب إليه هذا . . فقد حدث فى اليوم التالى أن كان مستر كولمان يستعد للذهاب إلى بلدة الحسينية ليحضر معه أجور العمال ، ويمضى فى الوقت نفسه برسائلنا وخطاباتنا ليلحق بها الطائرة فى موعد سفرها . . وكان فى الليلة السابقة يعدها ويفرزها ويجعلها فى رزم ويضع حولها أربطة من المطاط . . وفجأة هتف قائلا : « ما هذا . . ؟ ! »

ثم بسط يده برسالة وأردف باسماً : « إنها رسالة لويز العزيزة . . لقد

كتبت العنوان خطأ ولا شك . . كتبت « شارع ٤٢ باريس » ولا يوجد في باريس شوارع بالأرقام كما هو الشأن في نيويورك . . أرجو أن تأخذي الخطاب يا آنسة ليثران إليها . . فقد ذهبت الآن إلى غرفتها ! »

وتناولت الخطاب منه ، وهرعت به إلى السيدة ليدنر لتصلح كتابة العنوان ، وكانت تلك أول مرة أرى فيها خطها في الكتابة . . وقد حاولت أن أتذكر أين رأيت مثل هذا الخط من قبل . . فقد خيل لي أنه ليس غريباً عليّ !

وفي منتصف الليل ، وأنا بين اليقظة والوسن ، تذكرت فجأة أين رأيت هذا الخط من قبل . !

لقد كان يشبه — إلى حد كبير — الخط المكتوبة به رسائل التهديد . . !

وبدأت تلتمع في ذهني أفكار جديدة عديدة . وساءلت نفسي :

— ترى هل كانت السيدة ليدنر تكتب هذه الخطابات التهديدية وترسلها إلى نفسها . وهل كان زوجها يشك في هذا الأمر ؟ !



جريمة غامضة

كانت السيدة ليدنر قد حدثتنى بقصتها فى يوم الجمعة،وفى صباح اليوم التالى كان جو الحياة فى منزل البعثة مشحوناً بالشعور بأن كارثة توشك أن تقع

ولم يدهشنى أن السيدة ليدنر بدت نافرة منى راغبة عن التحدث إلى على انفراد .. ذلك أن التجارب علمتنى أن كثيراً من السيدات يندفعن إلى الافضاء بذوات نفوسهن للممرضات فى ساعة الضعف، ثم يشعرن فيما بعد بالقلق والندم على ذلك الاعتراف . . ولهذا حرصت على تجنب أى إشارة أوتلميح الى حديثها معى واعتبرت الأمر كأنه شىء طبيعى لا يحتاج إلى تعليق !

وكان مستر كولمان قد استقل سيارة نقل ومضى بها فى الصباح إلى بلدة الحسينية ، حاملا رسائل أعضاء البعثة ليلحق بالطائرة ، ثم يعود بعد الظهر حاملا الأجور والمرتبات من مصرف البلدة . وكنت قد أدركت من حديثه أنه قد يتناول الغداء هناك مع شيلا رايلى

وقد جرت العادة بأن يسير العمل فى بطء وتراخ بعد قبض المرتبات،وهو يبدأ فى الثالثة بعد الظهر عادة ، فلما انتهينا من تناول الغداء، أخذ الغلام عبدالله ـ المعين لغسل الأوانى الأثرية ـ يردد أغنياته الرتيبة كعادته وهو واقف وسط الفناء ، بينما جلس مستر إيموت والدكتور ليدنر يعدان بعض الأوانى للتنظيف ريثما يعود مستر كولمان بالمرتبات .. أما مستر كارى ، فذهب إلى منطقة الحفائر ليشرف على العمال ..

ولما مضت السيدة ليدنر إلى غرفتها لتستريح كعادتها بعد الغداء ، صحبتها لاعداد أسباب راحتها ، ثم مضيت إلى غرفتى وشرعت أتسلى بقراءة كتاب ، لأنى لم أشعر بالرغبة فى النوم . وكانت الساعة حينذاك حوالى الأولى ، فشغلت بقراءة قصة طويلة عنوانها « جريمة فى المصح » . وقد أدركت برغم جمال

القصة أن المؤلف لم يكن خبيراً بالحياة فى المصحات ، وخطر ببالى أن أكتب إليه لأصحح له بعض أخطاء فنية فيها . وحينما وضعت القصة جانباً ، وقد تبينت أن القاتلة هى الخادم ذات الشعر الأحمر برغم أنها أبعد أشخاص الرواية من الاتهام ، أخذتنى الدهشة إذ نظرت فى ساعة يدى ، فاذا بى قد أمضيت فى القراءة حوالى ساعتين !

ونهضت من فراشى ، وبعد أن سويت ملابسى ، غادرت الغرفة إلى الغداء حيث كان الغلام عبد الله ما زال يردد أغنياته الرتيبة الحزينة وهو يغسل الأوانى ، وكان دافيد إيموت واقفاً بجانبه يجفف الأوانى بعد غسلها ويرتبها ويضع المكسور منها فى صندوق ، تمهيداً لاعادة تركيبها .. وفيما أنا أمضى إليهما ، رأيت الدكتور ليدنر يهبط إلى الفناء من السلم المؤدى إلى السطح ، فلما رآنى قال لى وهو يفرك يديه فى ابتهاج :

— إن الجو لطيف اليوم .. أليس كذلك ..؟ لقد نظمت أكوام الآثار والحجارة الموضوعة فوق السقف . . وكانت لويز تشكو أخيراً من كثرتها وتعذر السير هناك بسبب ذلك . وسأذهب اليها لأخبرها بما فعلت لأجلها . . فلا شك أنها ستبتهج !

ثم مضى إلى غرفة زوجته ، حيث طرق بابها ، ثم دخل ، لكنه سرعان ماخرج منها بعد حوالى دقيقة ، واتفق أن وقعت عيناى على وجهه وهو يغادر الغرفة ، فرأت ابتهاجه قد استحال كآبة رهيبة ، وأنه يترنح فى مشيته كمن أسرف فى الشراب . وما رآنى بالقرب منه حتى هتف بى فى صوت مرتجف: « يا آنسة ليثران .. يا آنسة ليثران ! »

وأدركت فوراً أن حدثاً رهيباً قد وقع ، فانطلقت اليه وأنا أتوقع أن يسقط مغشياً عليه ، بينما أخذ هو يردد فى هلع واضطراب :

— زوجتى !.. زوجتى !.. يا إله السماء .!

وانطلقت إلى غرفة السيدة ليدنر ، وقلبى تتلاحق دقاته ، وهناك وجدتها ممدة على الأرض بجانب الفراش !.. وما كدت أفحصها حتى تبينت أنها جثة هامدة فارقتها الروح منذ أكثر من ساعة !.. وكان سبب الموت واضحاً . . ضربة شديدة على مقدمة الرأس فوق الجانب الأيمن من الجبين .. ويبدو أنها

نهضت من الفراش ، ثم أصيبت بهذة الضربة وهى واقفة بجانبه !

وحرصت على أن أترك الجثة وكل شيء فى الغرفة كما هو ، طبقاً لما يجب فى مثل هــذه الحال ، ثم تلفت حولى لعلى أهتدى إلى دليل ينم عن شــخصية القاتل ، فبدا لى أن كل شيء فى موضعه ، وكانت النوافذ مغلقة من الداخل بالرتاج ، وليس بالغرفة مكان يصلح لاختفاء القاتل .. ومعنى هذا أنه ارتكب جريمته ، وغادر الغرفة ، وأغلق الباب وراءه منذ فترة غير قصيرة !

وغادرت الغرفة وأغلقت بابها . . . وكان الدكتور ليدنر قد وقع فى شبه إغماء ، وبجانبه دافيد إيموت يحاول العناية به ، فلما رآنى نظر إلى بوجه شاحب مستفسراً ، فأخبرته فى كلمات قلائل بما حدث !

وكان الشاب ــ كما توقعت دائماً ــ رزيناً متزناً ، جديراً بالاعتماد عليه فى مثل هذه المواقف الحرجة ، فقد بدا هادئاً ، ثابت الأعصاب، لا ينم عن اهتياج نفسه إلا اتساع عينيه وهو ينصت إلى حديثى .. ثم قال بعد التفكير هنيهة :

ــ يجب إبلاغ الأمر إلى البوليس فى أسرع وقت ممكن ، ومن المنتظر أن يحضر بيل « كولمان » فى أية لحظة الآن .. ولــكن .. ماذا نفعل مع الدكتور ليدنر ؟!

فقلت له : « يحسن أن نحمله إلى غرفته »

فأومأ برأسه موافقاً وقال : « يحسن أيضاً أن نغلق باب غرفة السيدة ليدنر بالمفتاح ! »

وبعد أن أغلق الباب بالمفتاح ، سلمه إلىَّ قائلا : « يحسن أن تحتفظى به معك حتى يحضر المحققون »

واشتركنا معاً فى حمل الدكتور ليدنر إلى غرفته ووضعه على الفراش ، ثم مضى مستر ايموت ليأتى بقليل من الــكونياك ، فلما عاد كانت الآنسة جونسون معه ، وكانت أمارات القلق واضحة على وجهها رغم هدوئها الظاهرى ، فتركتُ لها أمر العناية بالدكتور ليدنر ، وعدت إلى فناء الدار

وكان مشهداً مؤثراً حقاً ، أن أقبل مستر كولمان فى هذه اللحظة قادماً من بلدة الحسينية فى سيارة النقل ، وما هبط منها واجتاز الباب العام حتى صاح بصوته المرح المعهود :



وانطلقت الآنسة ليثران الى غرفة السيدة ليدنر، وهناك وجدتها ممددة على الأرض جثة هامدة

— هاللو . . آللو . . آللو . . هـذه هى المرتبات . . لم أقع ـ لحسن الحظ ـ فى أيدى قطاع الطريق . . ولو أنى . . . .

وأمسك عن الثرثرة فجأة ، ثم تساءل فى شىء من الجد :

— ماذا حدث يا رفاق ؟ . ماذا دها كم جميعاً ؟ . إنكم فى فزع رهيب !

ثم أخذ ينقل نظراته فى الوجوه الواجمة أمامه ، وقد بلغت دهشته أشدها ، وقال له مستر إيموت أخيراً فى هدوء وإيجاز :

— لقد ماتت السيدة ليدنر ! . . ماتت مقتولة !

فأطلق الشاب صيحة فزع وأسى ، وجحظت عيناه ، وأخذ يغمغم :

— ماذا ؟ ! لويز العزيزة ماتت ، لا شك أنها دعابة ثقيلة . !

وفى اللحظة نفسها فوجئنا بصيحة رهيبة أخرى من خلفنا ، ثم تبين لنا أنها صادرة من السيدة ميركادو !.. وواصلت هذه صيحاتها المرعبة متسائلة :

— ماذا ؟.. أماتت السيدة ليدنر مقتولة ؟ !

وإذ تحققت صحة هـذا النبأ ، عادت تقول فى صوت لاهث متقطع :

« كلا !.. كلا !.. إننى لا أصدق . . لعلها انتحرت ؟! »

فقلت لها فى جفاء : « إن المنتحرين لا يضربون رؤوسهم بشىء صلب .. إن فى الأمر جريمة قتل يا سيدتى ! »

فتهالكت جالسة على صندوق مقلوب ، وتمتمت : « لكن هذا فظيع !. فظيع جداً . ! »

وساءلت نفسى : « أتراها تظن أننا فى حاجة إلى أن تخبرنا بفظاعة هذا الأمر ؟ ! أم تراها شعرت بالندم على ما كانت تحمله من حقد وكراهية للقتيل ؟! » . وبعد فترة صمت قصيرة عادت السيدة ميركادو تتساءل : « ماذا يجب أن نفعل الآن ؟ ! »

وكان بيل كولمان ما زال واقفاً فى مكانه وقد عقدت المفاجأة لسانه فقال له مستر إيموت :

— يحسن أن تعود إلى الحسينية بأسرع ما تستطيع الآن يا بيل . إننى لاأعرف كثيراً عن الاجراءات الرسمية التى تتبع فى مثل هذه الحالة .. ويحسن أن تتصل بالكابتن ميتلاند رئيس البوليس هناك . . بل يحسن أن تتصل

أولا بالدكتور رايلي . . فإنه يعرف ماذا يجب أن نفعل في هذا الأمر !

فأومأ مستر كولمان برأسه موافقاً ، ولم يطق بأية كلمة ، بل مضى مطرقاً ساهما وقد زايلته كل أمارات المرح والخفة . ثم استقل سيارة النقل من جديد ، وانطلق بها في الطريق إلى بلدة الحسينية !

وعاد مستر إيموت يقول في شيء من التردد « أعتقد أن واجبنا الآن أن نحاول البحث عن القاتل ! »

ثم رفع صوته منادياً ابراهيم ـ أحد خادمي المنزل ـ فلما أقبل هذا ، راح يتبادل معه الحديث باللغة العربية . . وكان الغلام يحاول أن يؤكد إنكاره لشيء ما . . وأخيراً قال إيموت في حيرة :

ـ إن الغلام يؤكد أنه لم ير أي شخص غريب بعد ظهر اليوم ، فلعل القاتل قد تسلل إلى هنا من غير أن يراه أحد !

فقالت السيدة ميركادو : « هذا لا شك فيه ! . . لقد تسلل في غفلة من الخدم ! »

فقال إيموت بصوت مفعم بالشك : « نعم يا سيدتي ! » . ثم التفت إلى عبد الله ـ غاسل الأواني ـ وألقى عليه سؤالا ، أجاب عنه الغلام في حماسة وتأكيد ، وهنا بدت أمارات الحيرة والارتباك في وجه مستر إيموت وقال « هذا أمر عجيب ! »



إنني أسجل هنا ـ بقدر الامكان ـ ما أراه وأسمعه ، وأشعر به ، متجاوزة عن توافه الأمور التي لا علاقة لها بالقصة ، ولهذا لن أسهب في وصف ما حدث خلال الساعتين التاليتين لاكتشاف الجريمة .. فقد حضر خلالها الكابتن ميتلاند مدير البوليس والدكتور رايلي ، وكانت الحالة مضطربة أشد الاضطراب خلال هاتين الساعتين وما حدث فيهما من الاجراءات والأسئلة المعتادة !

وفي رأيي أن الحالة بدأت تستقر بعض الاستقرار ، حوالي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم ، ففي هذه الساعة صحبني الدكتور رايلي إلى مكتب الدكتور ليدنر ، حيث أغلق الباب ، وجلس على مقعد الدكتور ليدنر . ثم أشار لي أن أجلس قبالته ، وقال لي :

— الآن نستطيع أن نتحدث فى هدوء عن هذا الحادث الرهيب

ولما أعربت له عن استعدادى لمعاونته فى إخلاص . تناول مفكرته وقلمه الحبر . وقال لى

— أريد أن أتأكد من بعض المعلومات التى تهمنى كطبيب . وكصديق للدكتور ليدنر . . فما هو الوقت الذى اكتشف فيه الدكتور ليدنر جثة زوجته ؟!

فقلت له : « أعتقد أن هذا حدث فى الثالثة إلا ربعاً »

فسألنى : « كيف عرفت هذا الوقت بالتحديد ؟! »

فأجبته بأنى نظرت فى ساعة يدى حين غادرت غرفتى إلى الفناء .. وكانت الساعة حينئذ الثالثة إلا عشرين دقيقة ... وبعد خمس دقائق تقريباً اكتشف الدكتور ليدنر جثة زوجته !

فقال لى : « حسناً يا آنسة ... دعينى أنظر إلى ساعتك هنيهة »

فقدمت الساعة إليه حيث فحصها فى دقة ثم قال : « إنها مضبوطة تماماً !.. وما دمنا قد استطعنا تحديد الوقت . . هل لى أن أعرف رأيك عن المدة التى انقضت على وفاتها ؟ »

فقلت له : « لا شك يا سيدى أنك أخبر بهذه الناحية منى ! »

فقال : « لكنى أريد أن أعرف تقديرك بجانب تقديرى »

فقلت له : « أعتقد أن الوفاة حدثت قبل ساعة — على الأقل — من اكتشاف الدكتور ليدنر للجثة »

فأومأ برأسه موافقاً وقال : « حسناً !. إننى فحصت الجثة فى الرابعة والنصف بعد الظهر ، وأعتقد أن الوفاة حدثت فيما بين الساعة الأولى والربع والساعة الثانية إلا ربعاً .. وهذا يتفق مع تقديرك ! »

ثم توقف عن الحديث . وراح ينقر بأصابعه على المنضدة مفكراً .. ثم قال : « إنها لمسألة شاذة حقاً !.. ألم تسمعى شيئاً خلال الفترة التى كنت فيها تستريحين فى غرفتك ؟ »

فأجبت قائلة : « لم أسمع شيئاً خلال هذه الفترة الا غناء الغلام غاسل الأوانى يختلط به صوت مستر إيموت والدكتور ليدنر وهما يتحدثان فوق السطح »

فقطب الدكتور رايلي جبينه مفكراً .. وفي تلك اللحظة فتح الباب ودخل الدكتور ليدنر يصحبه رجل قصير ماكر النظرات هو الكابتن ميتلاند، فنهض الدكتور رايلي ، وأجلس الدكتور ليدنر في مقعده قائلا :

— إجلس يا رجل ! . لقد كنا في حاجة إليك . . إن هذه المسألة فيها غرابة وشذوذ !

فأومأ الدكتور ليدنر برأسه موافقاً ، وقال وهو ينظر إلى :

— نعم ياسيدي ، إنني أعرف هذا.. كما أن الآنسة ليثران تعرفه أيضاً فقد أفضت زوجتي إليها بسرها .. وأرجو أن تروي الآنسة كل شيء بالتفصيل لك وللكابتن ميتلاند !

ولم يسعني إلا أن ذكرت كل ما حدثتني به مسز ليدنر عن أمرها ، فلما انتهيت من ذلك التفت الكابتن ميتلاند الى الدكتور ليدنر وسأله :

— هل هذا كله صحيح يا ليدنر ؟ !

فأجاب قائلا : « نعم يا سيدي . . ان كل كلمة تفوهت بها الآنسة ليثران الآن هي الحقيقة بعينها !

وقال الدكتور رايلي : « ما أعجب هذا كله !.. هل يمكن أن نطلع على هذه الرسائل التهديدية ؟! »

فقال الدكتور ليدنر : « أعتقد أن هـذه الرسائل موجودة بين متاع زوجتي »

فقلت معقبة على ذلك : « لقد رأيتهـا وهي تتناولها من حافظة أوراقها لتطلعني عليها ! »

فقال الدكتور ليدنر : « اذن من المحتمل أن تكون موجودة حتى الآن». ثم التفت إلى الكابتن ميتلاند وأردف قائلا :

— أرجو ألا تذاع مأساة لويز المسكينة مع زوجها الأول يا كابتن ! . . إن كل ما نريده هو القبض على القاتل ، وليس هناك أي داع لإثارة أية فضائح اجتماعية !

وهنا سألته : « إذن . . أنت تعتقد أن زوجها الأول هو القاتل ؟ ! »

وقبل أن يجيب ليدنر عن سؤالى هـذا ، سألنى الـكابتن ميتلاند قائلا :
« ألا تظنين أنه هو يا آنسة ليثران ؟ ! »

فقلت له : « إن الأمر لا يعدو مجرد احتمال ! »

فقال الدكتور ليدنر : « أياً كان الأمر ، فإن الرجل قاتل أثيم . . بل مجنون خطر . . ولذلك يجب القبض عليه يا كابتن ميتلاند . . نعم هـذا ما يجب . . وليس من العسير القبض عليه ! »

فقال له الدكتور رايلى : « قد يكون أمر القبض عليه أعقد مما تظن ! » . ثم التفت إلى الـكابتن ميتلاند متسائلا ، فلم يزد هذا على أن هز كتفيه ، وأخذ يفتل شاربيه من غير أن يجيب بشيء !

وخطر ببالى فى هذه اللحظة خاطر مفاجيء فقلت لهم على الفور :

— معذرة !.. لقد رأيت منذ بضعة أيام ما يستحق أن أخبركم به !

ثم أخبرتهم بأمر ذلك الرجل العراقى الذى رأيته ـ أنا والسيدة ليدنر ـ يحاول اختلاس النظر من النافذة الخلفية لغرفتها ، ثم رأيته مرة أخرى قبل يومين يتبادل الحديث مع الأب ليفينى بالقرب من الباب العام . فلما فرغتُ من حديثى هذا ، قال الكابتن ميتلاند :

— حسناً ! . . هـذا أول شعاع يمكن أن نهتدى به فى ظلمات هذه الجريمة . . فقد يكون لهذا العراقى علاقة بها !

وعقبت أنا على هذا قائلة : « من المحتمل أن يكون القاتل قد أرسله ليستكشف مسرح الجريمة ! »

وحك الدكتور رايلى أنفه فى حيرة وهو يقول : « إن الأمر يزداد تعقيداً ! »

والتفت الـكابتن ميتلاند إلى الدكتور ليدنر وقال له : « أريد أن تعيرنى سمعك فى اهتمام يا ليدنر . . لسوف أوجز لك ما حصلنا عليه من معلومات وقرائن حتى هذه اللحظة . . لقد تناولتم طعام الغداء فى نحو الساعة الثانية عشرة ، وفرغتم منه قبل الساعة الأولى بثلث ساعة ، ثم مضت زوجتك إلى غرفتها لتستريح ، ومضت معها الآنسة ليثران لتشرف على إعداد أسباب الراحة لها . . ثم صعدت أنت إلى السطح حيث قضيت هنـاك الساعتين التاليتين .. أليس كذلك . . ؟ !

فأومأ الدكتور ليدنر موافقاً ، بينما واصل الكابتن كلامه فسأله : « هل هبطتَ من السطح خلال هذه الفترة ؟ »

فأجاب الدكتور ليدنر بالنفى ، وعاد الكابتن يسأله : « حسناً ! . هل صعد أحد إليك ؟ »

فأجاب بقوله : « كان مستر إيموت يصعد إلىَّ بين الحين والآخر . . فقد كان ينقل بعض الأوانى بينى وبين الغلام الواقف فى الفناء »

فسأله : « هل أطللتَ أنت من فوق السطح على الفناء خلال هاتين الساعتين ؟ »

فقال : « نعم . . أطللتُ مرتين لأتحدث مع إيموت فى بعض الأمور »

فقال له الكابتن : « هل رأيت الغلام أثناء ذلك مشغولا بغسل الأوانى فى وسط الفناء ؟ »

فقال الدكتور ليدنر : « نعم . . رأيته فى مكانه فى المرتين »

فسأله الكابتن : « ما هو أطول وقت قضاه (إيموت) على السطح ؟ »

ففكر الدكتور ليدنر هنيهة ثم قال : « من العسير أن أجزم بشىء فى ذلك . . فقد يكون الواقع أن أطول مدة قضاها معى على السطح تبلغ عشر دقائق أو أكثر ، فى حين أنى أقدرها بدقيقتين أو ثلاث دقائق ، لأنى عادة لا أشعر بمرور الوقت حين أكون مستغرقاً فى العمل أو التفكير ! »



ونظر الكابتن ميتلاند إلى الدكتور رايلى ، فأومأ هذا برأسه قائلا « نعم . . يحسن أن نبدأ الأمر كله الآن »

فتناول الكابتن من جيبه مفكرة ، ثم فتحها وهو يقول :

— إسمع يا ليدنر . . سأقرأ عليك أقوال كل عضو فى البعثة عما كان يفعله خلال هاتين الساعتين . . أعنى خلال الفترة التى تمت فيها الجريمة . . ولنبدأ بمستر ميركادو وزوجته . . فقد ذكر هو أنه كان يؤدى عمله فى المعمل ، وذكرت هى أنها كانت تمشط شعرها فى غرفتها . . أما الآنسة جونسون فذكرت أنها كانت فى غرفة الجلوس تقوم ببعض الأعمال الخاصة بالآثار . . وذكر مستر ريتر أنه كان يقوم بعمله فى غرفة التصوير المظلمة . . وأما الأب

ليفيني فذكر أنه كان مشغولا بمخطوطاته فى غرفة نومه . وكان كارى مع العمال فى منطقة الحفائر ، وكان كولمان فى بلدة الحسينية

وسكت الكابتن ميتلاند هنيهة ثم واصل كلامه قائلا : « هـذا يتعلق بأعضاء البعثة ، أما الخدم فالطاهى الشاب الهندى كان جالساً بالقرب من الباب العام ، يتبادل الحديث مع الحارس وفى الوقت نفسه ينزع الريش عن دجاجتين مذبوحتين ، وقد انضم إليه ابراهيم ومنصور ـ خادما المنزل ـ فى الساعة الأولى والربع ، وظل الجميع ـ خارج الباب العام ـ يتحدثون ويتضاحكون حتى الساعة الثانية والنصف . . أى بعد أن تمت الجريمة ! »

فقال له الدكتور ليدنر فى حيرة : « إننى لا أفهم مقصدك . . ماذا تريد أن تقول ؟! »

فقال له الكابتن ميتلاند : « هل هناك أى منفذ إلى غرفة زوجتك غير بابها المؤدى إلى الفناء ؟! »

فأجاب قائلا : « لا .. ولـكن يوجد بالغرفة نافذتان.. إلا أنهما محصنتان بقضبان حديدية ، وأعتقد أنهما كانتا مغلقتين..أليس كذلك يا آنسة ليثران؟!»

فقلت على الفور : « بلى كانتا مغلقتين بالرتاج من الداخل ! »

فقال الكابتن ميتلاند : « حتى لو كانتا مفتوحتين ، فان قضبانهما الحديدية لا تسمح لأحد أياً كان بدخول الغرفة من طريقهما أو الخروج منها . . لقد تأكدت من هذه الحقيقة بنفسى .. وكذلك شأن جميع النوافذ الخلفية فى هذه الجهة فكلها قضبان حديدية فى حالة طيبة . . وعلى هذا لا يمكن لأى شخص غريب أن يدخل غرفة زوجتك إلا من طريق الباب العام المفضى إلى الفناء ومنه إلى باب الغرفة ، ولـكن الطاهى والحارس وخادمى المنزل يؤكدون أنهم لم يروا شخصاً غريباً يدخل إلى الفناء من طريق الباب العام ! »

فوثب الدكتور ليدنر واقفاً وهو يقول : « ماذا تعنى ؟.. ماذا تعنى ؟!! »

فقال له الدكتور رايلى فى هدوء : تمالك زمام أعصابك يا سيدى !.. إنى أعرف قوة الصدمة عليك ، ولـكن يجب أن تتحملها فى جلد .. إن القاتل لم يأت من الخارج ، أى أنه أتى من الداخل .. ومعنى هذا أن زوجتك قتلت بيد واحد من أعضاء بعثتك ! »

فى غرفة المائدة

أخذ الدكتور ليدنر يذرع الغرفة جيئة وذهاباً فى اضطراب شديد ، ثم وقف فجأة والتفت إلى الدكتور رايلى قائلا :

— إن هذا الذى تقوله مستحيل !. نعم مستحيل أن يرتكب أحد أعضاء البعثة هذه الجريمة .. فكل منهم كما نعلم جميعاً يكاد يقدس لويز ..!

وارتسم على وجه الدكتور رايلى تعبير غريب غامض ، ولكنه بقى صامتاً ، وكان صمته فى تلك اللحظة أبلغ من كل حديث . ثم عاد الدكتور ليدنر فقال مؤكداً :

— نعم إنهم كانوا يقدسونها .. لقد كانت لويز فاتنة جذابة.. وكانوا جميعاً معجبين بها ، متفانين فى محاولة إرضائها !

فقال له الدكتور رايلى : « معذرة يا ليدنر !. إنك بهذا تعبر عن وجهة نظرك وحدك ، وإذا كان بين أعضاء البعثة من يكره لويز ، فليس من المعقول أن يعلن كراهيته لها ! »

فارتسم الحزن الشديد على وجه الدكتور ليدنر وقال : « هـذا صحيح ، ولكنى ـ برغم هذا ـ أعتقد أنك مخطىء فى ظنك . بل أنا واثق بأن كل واحد هنا يعز لويز ويقدرها ! »

وسكت هنيهة ثم انفجر قائلا : « إن رأيك هذا غير معقول . . إنه رأى ينطوى على خطأ واضح ..! »

فقال له الكابتن ميتلاند : « إنك لن تستطيع الهرب من هذه الحقيقة يا ليدنر ! »

فرد عليه هذا قائلا : « أية حقيقة هذه ؟!.. كيف أعتمد على صدق هؤلاء الخدم ؟!.. إنك يا ميتلاند تعرف كيف يجرى حب الكذب فى عروقهم . .

إنهم ـ على الأقل ـ يقولون ما تريد منهم أن يقولوا بدافع من الاحترام والخضوع ! »

فقال الدكتور رايلي بصوت جاف: « لكنهم في ـ هذا الموضوع بالذات ـ يقولون ما لا نريد منهم أن يقولوا ، فنحن طبعاً لا نريد أن يكون القاتل من أفراد البعثة ، وهم يعرفون هذا ، وكان في مقدورهم أن يكذبوا ويزعموا أنهم لم يكونوا مجتمعين بالقرب من الباب العام .. ولكنهم لم يكذبوا..وقد لاحظت من قبل أنهم تعودوا الاجتماع بعد ظهر كل يوم في هذا المكان للحديث والسمر، وهو المكان الطبيعي لاجتماع أمثالهم في ساعات الفراغ ! »

فقال الدكتور ليدنر : ما زلت أعتقد أنك مخطيء ، أو مغال في رأيك هذا !.. لماذا لا تظن أن ذلك الشيطان القاتل تسلل إلى فناء المنزل قبل الظهيرة، ثم اختبأ في أي مكان فيه إلى أن سنحت له الفرصة لارتكاب الجريمة ؟.. نعم.. لماذا لا تفكر في هذا الاحتمال بدلا من هذا الشك السخيف في أعضاء البعثة ؟!»

فقال الدكتور رايلي في هدوء : « إن من المحتمل أن يكون القاتل قد تسلل إلى البيت قبل الظهيرة ، ومن الممكن أن يختبيء في مكان به كما تقول ، ولكن من غير الممكن أن يختبيء في غرفة السيدة ليدنر إذ ليس بها مكان يصلح لاختبائه !.. ولو أننا فرضنا أنه غامر بالتسلل إلى هذه الغرفة برغم وجود الغلام عبد الله ومستر ايموت وسط الفناء ... »

فقطع الدكتور ليدنر كلامه قائلا ؟ « لا شك في أن الغلام عبد الله ذكي قوي الملاحظة ، فلو أن أحداً تسلل إلى غرفة لويز لرآه ! »

فقال الدكتور رايلي مستطرداً في حديثه : « الثابت من أقوال الغلام أنه انتهز فرصة صعود مستر ايموت اليك على السطح ومكثه معك عشر دقائق .. فمضى يتسكع خلال هـذه الفترة مع زملائه الجالسين بالقرب من الباب .. والمرجح أن هذا حدث حوالي الساعة الأولى والنصف .. وهو الوقت الذي أعتقد ـ طبياً ـ أن الجريمة تمت فيه .. فلما عاد مستر ايموت إلى الفناء ولم يجد الغلام ناداه ثم عنفه بشدة على تركه العمل والتسكع مع زملائه .. ومعنى هذا كله أن الجريمة وقعت في خلال هذه الدقائق العشر التي قضاها مستر ايموت معك على السطح »

فتأوه الدكتور ليدنر ، وتهالك على مقعده ، وجعل رأسه بين يديه ، بينما استطرد الدكتور رايلى فقال بصوته الهادى :

ــ نعم .. لقد تمت الجريمة حوالى ذلك الوقت من الوجهة الطبية .. وقد ذكر مستر ايموت أنه صعد إلى السطح هذا الوقت حيث مكث نحو عشر دقائق

وهنا قال الدكتور ليدنر دون أن يرفع رأسه : « إننى أيضاً أعتقد أن ايموت صعد إلى فى نحو هذا الوقت وإن كنت غير متأكد تماما »

فاستطرد الدكتور رايلى قائلا : « لم يبق أمامنا الآن إلا أن نعيد التساؤل عمن يكون ذلك القاتل ؟ ! »

وخيم الصمت على الغرفة هنيهة ، ثم اعتدل الدكتور ليدنر فى مقعده ، ومسح وجهه بيده وهو يقول : «لامناص من أن أعترف بقوة منطق الدكتور رايلى وبراعة تخيله ترتيب ما حدث ، ويخيل إلى الآن أن هذه الجريمة من النوع الذى يطلقون عليه اسم (الجرائم الداخلية) .. ولكنى مازلت أعتقد أن فى الأمر خطأ . . وأن فى هذا التسلسل المنطقى للحوادث حلقة مفقودة .. ولنقل مثلا إن هذه الحلقة هى المصادفة العجيبة التى هيأتها الأقدار للقاتل بغياب مستر ايموت والغلام نحو عشر دقائق عن الفناء ! »

وحاول الدكتور رايلى أن يقول شيئاً ، ولكن الدكتور ليدنر استطرد فى حديثه قائلا : « لقد تسلمت لويز بضع رسائل تهديد بالقتل ، ومن الطبيعى أن تشعر بالخوف من شخص معين هو كاتب تلك الرسائل طبعاً .. وقد انتهى الأمر بوقوع ما كانت تخافه ، لكنك يادكتور رايلى تريد أن أعتقد أنها لم تقتل بيد هذا الشخص المعين ، بل قتلت بيد أحد أفراد البعثة ــ فكيف يتفق هذا مع العقل والمنطق ؟! »

فهز الدكتور رايلى كتفيه ، ثم نظر إلى الكابتن ميتلاند وقال :

ــ إن الأمر شديد التعقيد !.. فهل نخبر ليدنر بالمصادفة الجديدة التى ساقها القدر الينا ؟ !

وأومأ الكابتن ميتلاند برأسه موافقاً ، فواصل الدكتور رايلى كلامه قائلا للدكتور ليدنر :

ــ هل سمعت شيئاً من قبل عن رجل يدعى هيركول بوارو ..؟!

فنظر الدكتور ليدنر إليه فى دهشة ، ثم قال : « لقد سمعت بهذا الاسم ، وأظن أن صاحبه يدير مكتباً للابحاث الجنائية الخاصة ، وإذا لم تكن الذاكرة قدخانتنى فقد كان صديقى فان آلدين هوالذى حدثنى عنه وأطرى أعماله كثيراً

فقال الدكتور رايلى : « إنه هو بعينه !. ومن حسن الحظ أنه غادرلندن منذ حين فى رحلة إلى الشرق ، وقد علمت من المسيو جيان بيرات القنصل الفرنسى ونحن نتعشى معاً فى النادى أمس أن مسيو بوارو قام بعمل جليل فى سوريا ، وأنه غادرها فى طريقه إلى بغداد ، وسوف يمر طبعاً بهذه المنطقة ، فحبذا لو قابلناه وعهدنا إليه فى أمر الكشف عن غوامض الجريمة ! »

وتردد الدكتور ليدنر هنيهة ، ثم نظر فى شبه اعتذار إلى الكابتن ميتلاند قائلا له : « ما رأيك يا ميتلاند ؟ »

فقال الكابتن على الفور : « إننى أرحب بكل معاونة فى سبيل الكشف عن غموض هذه الجريمة . . إن أعوانى بارعون حقاً فى التحريات والمباحث الجنائية وفض المنازعات الثأرية بين القبائل . . ولكنهم ــ فى صراحة ــ قد يعجزون عن كشف غموض هذه الجريمة المعقدة .. ولهذا أرحب كل الترحيب بمعاونة رجل قدير له شهرته ومكانته مثل المسيو بوارو ! »

فتساءل الدكتور ليدنر : « لكن من يدرينا أنه يقبل القيام بهذه المهمة ؟! »

فقال الدكتور رايلى : « أعتقد أنه لن يرفض ، ذلك لأن أخصائياً بارعاً مثله يسره ولاشك أن يقوم بعمل عجز غيره عن القيام به ، وهذه الجريمة الغامضة المعقدة نفسها لاشك أنها ستجتذبه لمحاولة الكشف عن غموضها وإبهامها ! »

فقال له الدكتور ليدنر فى حزن وألم : « ألا يمكن أن تتولى ــ نيابة عنى ــ مخاطبته فى هذا الشأن ؟ »

فقال الدكتور رايلى : « بل هذا واجب يسعدنى أن أقوم به ! »

فأومأ الدكتور ليدنر برأسه شاكراً ، ثم تمتم فى أسى ملحوظ : « إننى لا أصدق ــ حتى هذه اللحظة ــ أن لويز لم تعد فى عالم الأحياء ! »

ولم أستطع أنا أن أسكت بعد هذا فقلت له فى تأثر شديد :

ــ إننى لا أستطيع يا سيدى أن أعبر لك عن أسفى الشديد!.. لقدفشلت تماماً فى القيام بواجبى نحو السيدة ليدنر .. نعم لقدفشلت فى رعايتها وحراستها !

فهز الدكتور ليدنز رأسه فى أسى وقال : « إنك غير ملومة على الاطلاق يا آنسة ليثران ، ولكننى أنا الملوم وحدى ، فقد كنت أشك فى جديتها عن الخطر المحدق بها ، لأنى كنت أظن أنها واهمة ! »

ثم نهض واقفاً وأردف قائلا فى صوت يقطر مرارة وندماً :

— نعم أنا الذى دفعت بها إلى المصير الأليم !.. كان يجب أن أصدقها وأن أتخذ الاجراءات الكفيلة بوقايتها !

ثم غادر الغرفة مترنحاً ، وعندئذ التفت الدكتور رايلى إلىّ وقال « إننى لا أخلى نفسى من اللوم أيضاً ، فقد كنت أعتقد أن مخاوفها ليست سوى نتيجة لاضطراب أعصابها ! »

فاعترفت ــ بدورى ــ قائلة : « هذا ما كنت أعتقده أنا أيضاً ، ولم يكن يخالجنى شك فى أن الأمر أهون كثيراً مما كانت تصوره لى ! »

وهكذا تبين ــ بعد فوات الوقت ــ أننا جميعاً كنا مخطئين !



هيركول بوارو يعمل

لا أظن أنى سأنسى كيف رأيت مسيو بوارو لأول مرة !..

كنت قبل أن أراه أتخيله بطلا من أبطال القصص البوليسية ـ كشرلوك هولمز مثلا ـ طويلا ، خفيفاً ، بارعاً ، يطل الذكاء من وجهه وعينيه . فلما رأيته وجدت هيئته تختلف عن الصورة التى تخيلتها كل الاختلاف ، بل أوشكت أن أضحك حين وقعت عيناى عليه !..

إذ كان أشبه بممثل هزلى فى المسرح أو السينما ، قصير القامة إلى حد ملحوظ ، مكتنز الوجه ، ضخم الشارب ، رأسه يشبه البيضة ، وعيناه واسعتان تنم نظراتهما عن قوة الملاحظة وحدة الذكاء

ويبدو أنه فطن إلى مظاهر خيبة الأمل التى ارتسمت على وجهى وأنا أنظر إليه ، فقد فاجأنى بقوله وهو يبتسم ويغمز بعينه : « هناك مثل يقول : « ليس الخبر كالعيان ! »

ولما مضى فى حديثه بعد ذلك تحققت أنه قوى المنطق متزن التفكير يجمع بين الظرف والوقار . ولكنى ـ برغم ذلك ـ بقيت مرتابة فى قدرة رجل فى مثل هيئته على كشف غموض أية جريمة . . فما بالك بالجريمة المعقدة التى نحن بصددها !

وكان أول إجراء اتخذه عقب وصوله مع الدكتور رايلى فى سيارته الخاصة لحل لغز الجريمة ، أن طلب الينا جميعاً أن نجتمع فى قاعة الطعام ، ثم جلس هو والدكتور ليدنر فى جانب المائدة ، وجلس الدكتور رايلى فى الجانب المقابل لهما ، بينما جلسنا جميعاً بين الجانبين . ثم بدأ الدكتور ليدنر الكلام فقال بصوت الوادع الرقيق :

ـــ أعتقد أنكم جميعاً سمعتم عن المسيو هيركول بوارو . . لقد كان من

حسن الحظ أنه مر اليوم ببلدة الحسينية فى طريقه إلى بغداد ، وكان جميلا منه أن قطع رحلته المهمة لكى يقوم بمساعدتنا . وإنى واثق بأن الكابتن ميتلاند ورجال البوليس العراقى يؤدون واجباتهم على الوجه الأكمل ، ولكن الجريمة التى نحن بصددها تختلف كثيراً عن الجرائم العادية !

وتكلم المسيو بوارو على أثر ذلك فقال معقباً : « الواقع أن هذه الجريمة فيها تعقيد غير قليل ! » . فأردفت السيدة ميركادو قائلة :

— مهما يكن الأمر ، فيجب أن تقبضوا عليه . . . . بأى ثمن . . إننى لا أطيق فراره من يد العدالة !

فنظر المسيو بوارو اليها فى شىء من الارتياح وقال لها : « حسناً يا سيدتى ! . إذا كنت تعنين القاتل فسنقبض عليه ! »

ثم أخذ ينتقل بنظراته بين وجوهنا ، واستطرد فقال :

— من المحتمل جداً ألا يكون لأحد منكم تجارب سابقة فى مثل هذه الظروف ؟ وعلى هذا فأنتم طبعاً لا تعرفون الاجراءات التى تتبع فى مثل هذه الأحوال . والمهم أن تعرفوا أن المجال ليس فيه متسع للمجاملة ، فى حين أنه يتسع للاتهام !

وهنا هتفت الآنسة جونسون متسائلة فى دهشة : « الاتهام ؟ » . فنظر مسيو بوارو إليها ملياً وبدا كأنه معجب برزانتها وذكائها ، ثم قال لها أخيراً :

— نعم يا آنسة !.. إن المجال فى مثل هذه الأحوال هو مجال الشك فى كل إنسان !.. وليس هناك ما يدعو إلى اللف والدوران ، وإذن أصارحكم بأن الشك يحيط بكم جميعاً ، أعنى أن سيف الاتهام مصلت على جميع المقيمين هنا من أعضاء البعثة والعمال والخدم وغيرهم بلا استثناء !

وهنا عقبت السيدة ميركادو قائلة له فى لهجة غضب واحتجاج شديدين :

— كيف تجرؤ على هذا القول أيها السيد ؟ ! . . كيف تجرؤ على توجيه مثل هذا الحديث إلينا ؟ . إن هذا أمر لا يطاق !

ثم التفتت إلى الدكتور ليدنر ، وواصلت كلامها قائلة :

— كيف تجلس هكذا مستمعاً لكلمات هذا السيد بكل هدوء ؟ ! يجب أن تحتج . . يجب أن . . . .

فقال لها الدكتور ليدنر فى صوت مجهد : « أرجو أن تهدئى ياماری . . تمالكى أعصابك ! »

ونهض المستر ميركادو فى غضب شديد ، وقال وقد تصاعدت الدماء إلى عينيه : « إننى أتفق مع زوجتى فى أن حديث المسيو بوارو فيه إهانة بالغة لنا جميعاً ! »

فقال له المسيو بوارو فى هدوء : « مهلا يا سادة ! . . إننى لم أقصد إهانة أحد منكم . . وإنما أريد أن تواجهوا الحقائق معى . . لقد وقعت جريمة فى هـذا المنزل ، فمن الطبيعى أن يحوم الاتهام حول جميع سكان المنزل . . وأنا أسألكم الآن ما هو الدليل على أن القاتل غريب عن هذا المنزل ؟ ! »

فصاحت السيدة ميركادو قائلة : « إنه غريب عن هذا المنزل بدون أدنى شك . . . فهذا هو المعقول ولا يمكن أن يتصور العقل شيئاً آخر ! »

فقال بوارو بلهجته الهادئة نفسها : « أنت على حق يا سيدتى !.. ولـكنى إنما أردت أن أبين لـكم الأصول المرعية فى التحقيقات الجنائية . . فأنا أريد أولا أن أطمئن إلى براءة كل واحد منكم . . وبعد ذلك أتحول إلى البحث عن القاتل فى مكان آخر ! »

وتكلم الأب ليفينى لأول مرة فقال : « هانحن أولاء جميعاً بين يديك .. فحاول أن تتحقق من براءتنا كما تشاء . . وعسى أن ننتهى من هذا الموضوع فى أقصر وقت ! »

فقال بوارو : « سأحاول أن نفرغ من هذا الموضوع فى أقصر وقت ممكن . . لقد أردت فقط أن أهيىء نفوسكم لاحتمال بعض الأسئلة التى قد تبدو لـكم سخيفة ، بعيدة عن المجاملة !.. وأرجو من الأب المحترم أن يضرب لـكم أحسن الأمثال بنفسه على الصبر وتمالك الأعصاب فى مثل هذه المناسبة »

فقال له الأب ليفينى فى صوت وقور : « حسناً يا سيدى .. وجه ما تشاء من الأسئلة ! »

فسأله : « هل هذا هو أول موسم لك هنا ؟ » . فأجاب : « نعم »

— ومتى حضرت إلى هنا ؟ !

منذ ثلاثة أسابيع على التحديد . . أى فى اليوم السابع من شهر فبراير !

— ومن أين جئت ؟

— من دير « بيترز بلانكس » بمدينة قرطاجنة بتونس

— شكراً لك يا أبى ! . هل كنت تعرف السيدة ليدنر قبل حضورك إلى هذه المنطقة ؟

— لا . . لم أرها قط قبل أن ألتقى بها هنا !

— هل تسمح بأن تذكر ماذا كنت تفعل فى ساعة وقوع الجريمة ؟

— كنت أفحص بعض المخطوطات والألواح فى غرفتى !

وهنا نظر المسيو بوارو إلى رسم كروكى بجانبه للمنزل ثم قال للأب ليفينى :

إن غرفتك تقع فى الركن الجنوبى الغربى ، وهى تقابل غرفة السيدة ليدنر من الناحية الأخرى فى الضلع الجنوبى من المنزل

ولما أومأ الأب برأسه موافقاً ، استطرد بواروا فسأله :

— فى أى وقت ذهبت إلى غرفتك ..!

— بعد طعام الغداء مباشرة .. أى حوالى الساعة الأولى إلا ثلثاً !

— كم من الوقت بقيت فيها ؟

— إلى مابعد الساعة الثالثة بدقائق معدودات .. فقد لاحظت أن سيارة النقل تخرج من الفناء بعد وصولها ، فعجبت لذلك وخرجت من غرفتى لأستطلع الأمر :

— ألم تغادر غرفتك خلال المدة التى قضيتها فيها ..؟

— لا .. لم أغادرها أثناء ذلك مطلقا !

— ألم تر أو تسمع شيئاً قد تكون له دلالة على وقوع الحادث ؟

لا ... لم أر ، ولم أسمع أى شىء من هذا القبيل !

— هل فى غرفتك نافذة تطل على الفناء ؟

— لا .. إن نافذتيها تطلان على المزارع الواقعة خلف المنزل

— هل يمكنك ، وأنت فى غرفتك ، أن تسمع كل ما يحدث فى الفناء ..؟

لا .. أعنى أننى لا أسمع كل ما يحدث وإنما أسمع بعض نقط . . فقد سمعت ـ مثلا ـ وقع أقدام مستر إيموت وهو يمر أمام غرفتى فى طريقه إلى السلم المؤدى إلى سطح البيت .. سمعته مرة أو مرتين !

— هل يمكن أن تذكر متى كان ذلك ؟

— الواقع أنى كنت مشغولا بعملى فى ذلك الحين .

وبعد فترة من الصمت ، استأنف المسيو بوارو توجيه أسئلته فقال للأب ليفينى : « هل يمكن أن تقول أو تقترح أى شىء يلقى بعض الضوء على غموض هذا الحادث ؟. أعنى . . ألم تلاحظ ـ أى شىء له دلالته خلال الأيام القليلة التى سبقت الحادث ؟

فارتسمت على وجـه الأب ليفينى مظاهر القلق والتردد ، ثم أرسل إلى الدكتور ليدنر نظرة استفسار ، وأخيراً قال بصوته الوقور :

— إنه سؤال تصعب الاجابة عنه ياسيدى ! ولـكنى أقول ان السيدة ليدنر كانت ـ كما بدا لى ـ شـديدة الفزع من شىء أو من شخص .. وكانت عادة متوترة الأعصاب وتخشى الغرباء خاصة ، ولا شك أن لذلك سبباً بطبيعة الحال ، ولـكنى لا أعرف ماهو هذا السبب لأنها لم تخبرنى به !

وتنحنح مسيو بوارو ، وشرع ينظر فى مفكرته ، ثم قال له : « إن السيدة ليدنر ـ كما علمت ـ فزعت منذ يومين بعد منتصف الليل ، لأنها شعرت بوجود شخص غريب فى غرفة الآثار ! »

فأومأ الأب ليفينى موافقاً ، وأخذ يروى مايعرفه عن ذلك الحادث ، فذكر كيف رأى الضوء فى غرفة الآثار ، ثم كيف انتهى الأمر بعدم العثور على أحد فى الغرفة أو غيرها . فلما انتهى من ذلك سأله المسيو بوارو :

— هل تعتقد أن غرفة الآثار فى تلك الليلة كان بها أحد ؟

فأجاب الأب قائلا : « لا أستطيع أن أجزم بذلك !.. إننا لم نعثر على أحد.. كما أنه لم يفقد شىء من الغرفة .. ولعل أحد الخدم هو الذى كان بالغرفة !

فقال المسيو بوارو : « أو لعله أحد أعضاء البعثة ؟! »

فقال الأب ليفينى : « هذا أيضاً محتمل ، ولـكن ليس هناك مايدعو ذلك العضو إلى إنكار دخوله الغرفة .. فان دخولها مباح لأعضاء البعثة فى أى وقت ! »

فقال المسيو بوارو : « أليس من المحتمل أيضاً أن يكون شخص غريب هو الذى دخل الغرفة فى ذلك الوقت ؟ »

ولما أومأ الأب ليفينى موافقاً على أن هذا محتمل أيضاً ، قال المسيو بوارو



وقال المسيو بوارو معقباً : « الواقع أن هذه الجريمة فيها تعقيد غير قليل »

موجهاً كلامه إلى الأب ليفيني والدكتور ليدنر .

— هل يمكن لذلك الشخص الغريب — على فرض دخوله غرفة الآثار — أن يختبيء فيها ، وأن يظل مختبئاً حتى وقوع الجريمة ؟

وفكر الرجلان قليلا ، ثم قال الدكتور ليدنر في غير اكتراث : «ما أظن أن هذا أمر ممكن ! »

وأومأ الأب ليفيني موافقاً . بينما التفت المسيو بوارو إلى الآنسة جونسون قائلا :

— وأنت يا آنسة .. هل ترين أيضاً أنه من العسير ، أو المستحيل ، أن يختبيء شخص غريب يوما ونصف يوم في غرفة الآثار .. أو في أى مكان آخر بالمنزل ؟

فهزت الآنسة جونسون رأسها بعد أن فكرت هنيهة وقالت :

— نعم ياسيدى !.. من المستحيل أن يحدث هـذا .. فان جميع غرفات النوم بسيطة الأثاث ، وليس في أى ركن منها مجال لاختفاء شخص غريب .. أما غرفات التصوير والمعمل والمكتب وغيرها ، فقد كانت معدة للعمل في اليوم التالى .. فلا يمكن لأحد أن يختبيء فيها من غير أن يكتشف أمره .. ولا يبقى بعد ذلك إلا غرفات الخدم .. ومن المحتمل أن يكون أحد الخدم شريكا في الجريمة !

فقال لها المسيو بوارو : « نعم .. هذا احتمال ممكن . . ولكنه بعيد ! »

ثم التفت مرة أخرى إلى الأب ليفيني وقال له : « هناك نقطة أخرى . لقد رأتك الآنسة ليثران أول من أمس تتحدث مع رجل غريب بالقرب من الباب العام ، وكانت هى قد شاهدت ذلك الرجل قبل ذلك وهو يحاول اختلاس النظر خلال إحدى النوافذ الخلفية وهو يعنى أنه كان يتسكع حول المنزل عن قصد ! »

ففكر الأب ليفيني هنيهة ثم قال : هذا محتمل بطبيعة الحال ! »

فسأله : « أأنت الذى بدأت الحديث معه أم هو الذى بدأ ؟ »

فأجاب قائلا : « أظن .. بل أعتقد أنه هو الذى بادأنى بالحديث ! »

فقال له بوارو : « حسناً يا سيدى !... وماذا قال لك ؟ »

فأخذ الأب ليفيني يعتصر ذاكرته ، ثم قال : « أظن أنه كان يسأل: «هل

هذا منزل البعثة الأمريكية ، ثم تحدث عن كثرة العمال المشتغلين فى الحفائر!.. والواقع أنى لم أكن أفهم حديثه تمام الفهم ، ولكنى حاولت أن أجعل المحادثة مستمرة حتى أزيد معلوماتى فى اللغة العربية .. فقد خطر ببالى ـ أنه كرجل حضرى ـ أقدر على فهم حديثى من العمال الريفيين »

فسأله بوارو : « ألم تتحدث فى أمر آخر ؟ »

فأجاب الأب ليفينى قائلا: على قدر ما أتذكر ، أظن أنى قلت له إن الحسينية بلدة كبيرة .. ثم اتفقنا على أن بغداد أكبر منها .. وأظن أنه سألنى : هل أنا أمريكى أم سورى كاثوليكى ؟ »

فأومأ بوارو برأسه قائلا : « هل يمكن أن تصفه لى ؟ »

ومرة أخرى أخذ الأب ليفينى يعتصر ذاكرته ، ثم قال : « إنه أقرب إلى القصر منه إلى طول القامة ، ربعة الجسم ، أبيض البشرة، فى عينيه حول واضح جداً ! »

وهنا التفت المسيو بوارو إلى وسألنى قائلا : « هل يتفق هذا الوصف مع ما تذكرينه عن ذلك الرجل ؟ »

فقلت فى تردد : « أعتقد أنه لا يتفق تماماً مع ما أتذكره عنه ، فقد كان أقرب الى الطول منه الى قصر القامة ، أسمر البشرة ، نحيل الجسم ، ولم ألحظ فى عينيه حولا ! »

فهز المسيو بوارو كتفيه فى شبه يأس وهو يقول: « هكذا الشأن دائماً !.. إن رجال البوليس يعانون أشد المتاعب فى هـذا السبيل . . ذلك أنه لا يكاد يتفق شاهدان فى وصف شخص معين .. فكل منهما يرى عكس ما يراه الآخر.. ولست أدرى كيف يحدث هذا ..!! »

فقال الأب ليفينى بلهجة تأكيد : « إنى واثق تماماً من حول العينين .. وقد تكون الآنسة ليثران على صواب فما عدا هذا .. ولهذه المناسبة أقول إنى حين وصفت بشرته بالبياض كنت أعنى البياض بالنسبة لرجل عراقى شرقى وهذا البياض النسبي لا شك يبدو أقرب إلى السمرة فى نظر الآنسة ليثران! »

فقلت فى عناد : « بل هو شديد السمرة ، فى لون طين الأرض ! »

ورأيت الدكتور رايلى يعض على شفته ليخفى ابتسامته ، بينما رفع المسيو بوارو يده قائلا :

مهلا يا سادة !... إن لهذا العراقى الغريب الذى تسكع حول المنزل قبيل الحادث ، أهمية كبيرة ، ولذلك يجب البحث عنه والقبض عليه . والآن هيا نستأنف الاستجواب !

وتردد مسيو بوارو برهة وهو يفحص بنظراته النفاذة ، الوجوه الناظرة إليه من حول المائدة ، ثم أشار إلى المستر ريتر المصور وقال له :

— هيا يا صديقى ... أخبرنى بما فعلت أمس بعد تناول الغداء مباشرة فتوهج بالحمرة القانية وجه مستر ريتر المكتنز وغمغم قائلا : « أنا ؟ » .

فاستطرد المسيو بوارو قائلا له : « نعم أنت ! . . ويحسن أن تبدأ بذكر إسمك وسنك »

فأجاب قائلا : « إسمى كارل ريتر ، وعمرى ٢٨ سنة »

فسأله : « أأنت أمريكى ؟ » . فاجاب : « نعم من شيكاغو »

— هل هذا موسم الحفائر الأول لك هنا ؟

— نعم .. وإنى مختص بشؤون التصوير الفوتوغرافى

— حسناً .. كيف أنفقت وقتك أمس بعد الظهر ؟

— كنت أكثر الوقت فى غرفة التحميض المظلمة حيث أعددت أولا بضع نسخ إيجابية لبعض الصور ، ثم شغلت بعد ذلك باصلاح خلل طرأ على إحدى آلاتالتصوير الدقيقة

فسأله : « كنت تقوم بالاصلاح فى خارج الغرفة ؟ »

فأجاب : « لا .. بل كنت فى غرفة التصوير نفسها »

فسأله « هل غرفة التحميض المظلمة ملحقة ــ من الداخل ــ بغرفة التصوير ؟ ! » . فأجاب بالإيجاب . ثم سأله : « هل غادرت غرفة التصوير أثناء عملك ؟ » . فأجاب بالنفى

وسكت المسيو بوارو قليلا كأنما يفكر ثم واصل استجواب مستر ريتر قائلا له : « هل لاحظت ، أو سمعت ، شيئاً ما حدث فى الفناء ؟ »

فهز الشاب رأسه وقال « لا . . لم ألاحظ شيئاً ، لأنى كنت مشغولا

بعملي . . ولـكني سمعت سيارة النقل تعود من الحسينية ، فلما فرغت من عملي ، مضيت إلى الفناء وعلمت بما حدث »

— ومتى بدأت عملك في غرفة التصوير ؟

— في نحو الساعة الأولى إلا عشر دقائق !

— هل كنت تعرف السيدة ليدنر قبل أن تلتحق بالعمل هنا ؟

— لا . . لم أرها مطلقاً إلا حين حضرت إلى هذا المكان

ثم سأله أخيراً : « ألا تستطيع أن تزودنا بما يلقي شيئاً من الضوء على غموض هذه الجريمة ؟ »

فهز الشاب رأسه وقال : « إنني لا أعرف أي شيء له علاقة بهذه الجريمة يا سيدي ! »

وعلى أثر ذلك ، التفت المسيو بوارو إلى المستر دافيد إيموت ، وسأله : « وأنت يا سيدي ، ماذا لديك من معلومات في هذا الشأن ؟ »

وبدأ المستر إيموت يتحدث بصوته الرقيق الهادىء المتزن فقال :

— كنت في الفناء مع الغلام عبد الله نعمل في غسل الأواني وإعدادها ، وذلك من الساعة الأولى إلا ربعاً بعد الظهر حتى الساعة الثالثة إلا ربعاً . . وفي أثناء ذلك كنت أصعد بين آن وآخر إلى السطح لأساعد الدكتور ليدنر في عمله هناك !

فسأله المسيو بوارو : « كم مرة صعدت إلى السطح ؟ »

فأجاب : أربع مرات على ما أتذكر ! »

— وكم دقيقة كنت تمكثها فوق السطح في كل مرة ؟

— لا أكثر من دقيقتين عادة . . ولـكني مكثت في إحدى هذه المرات نحو عشر دقائق كنت أتبادل فيها الحديث مع الدكتور ليدنر عما يجب أن نحتفظ به من الأواني وما يجب أن نلقي به في صندوق المهملات !

— هل يمكن أن تتذكر في أي وقت كانت هذه المرة . . ؟ !

— بعد أن بدأت العمل في الفناء بحوالي نصف ساعة أي حوالي الساعة الأولى والثلث ، والساعة الأولى والنصف !

وهنا قال المسيو بوارو في صوت هادىء متزن « لست في حاجة لأن

أسألك يامستر إيموت : هل رأيت أحداً يدخل إلى غرفة السيدة ليدنر أو يخرج منها خلال هاتين الساعتين ؟ »

فقال المستر إيموت على الفور : « إنني لم أر أحداً على الإطلاق يدخل إلى الفناء خلال هذه الفترة ! »

فسأله المسيو بوارو : « أتعتقد أن الفناء كان خالياً منك ومن الغلام عبد الله حوالى الساعة الأولى والنصف ؟ »

فأجاب قائلا : « نعم . . على وجه التقريب لا على وجه التحديد ! »

ثم التفت المسيو بوارو إلى الدكتور رايلى وقال له : « هل يتفق هـذا الوقت مع الوقت الذى وقعت فيه جريمة القتل حسب فحصك الطبي للجثة ؟» . فأجاب الدكتور رايلى بالإيجاب . وعلى أثر ذلك فتل المسيو بوارو شاربه لضخم وقال فى صوت وقور

— أعتقد أن السيدة ليدنر لقيت حتفها خلال هذه الدقائق العشر !



أيهم القاتل؟

خيم الصمت على الغرفة فترة من الوقت ، أخذت خلالها أطياف الفزع والرهبة تطوف بنا جميعاً . . وأعترف بأنى بدأت خلال هذه اللحظات الرهيبة أومن بصحة نظرية الدكتور رايلى . . ومن هنا شعرت بأن القاتل الأثيم جالس بيننا حول المائدة !

ويبدو أن هذا الشعور خامر نفس السيدة ميركادو أيضاً ، فقد ندت عنها صيحة خافتة ، ثم هتفت باكية : « إننى لا أحتمل هذا !. هذا شيء لا يطاق! »

فقال لها زوجها : « تشجعى يامارى .. هدئى نفسك ! » . ثم التفت إلينا وقال معتذراً : « إنها شديدة الحساسية ، مرهفة المشاعر » . بينما استطردت هى فقالت وصوتها يخنقه البكاء : « لقد كنت شديدة الحب للويز العزيزة ! »

ويبدو أن أمارات السخرية من عبارتها ارتسمت على وجهى ، من حيث لا أشعر ، إذ لحظت عقب ذلك أن المسيو بوارو ينظر إلى وعلى فمه ابتسامة عريضة ، ثم استأنف استجواباته ، فقال للسيدة ميركادو : « أخبرينى ياسيدتى .. كيف قضيت فترة ما بعد ظهر الأمس ؟ »

فأجابت وهى ما زالت تبكى « كنت فى غرفتى أغسل شعرى . . وإنه لأمر فظيع رهيب أن تحدث هذه الجريمة فى الوقت الذى كنت أشعر فيه بالسعادة والرضا »

فسألها : « ألم تغادرى غرفتك . . ؟ » فأجابت قائلة : لم أغادرها إلا حين وصلت سيارة النقل عائدة من الحسينية ، وهناك عند الباب سمعت بالحادث الفظيع ! »

وهنا سألها المسيو بوارو : « هل أدهشك هذا الحادث ؟ ! » . فتوقفت عن البكاء فجأة ، ثم نظرت إليه فى استنكار وقالت : « ماذا تعنى ياسيدى ؟! »

فقال لها فى هدوء : « سمعتك تتحدثين عن حبك الشديد للسيدة ليدنر .. فلعلها أفضت إليك بذات نفسها وبما كانت تخشاه وتفزع منه ؟ ! »

فقالت مستدركة : « أهذا ما تقصد ؟ .. حسناً يا سيدى .. لكن لويز العزيزة لم تفض إلى بشىء محدد ، وإن كنت قد لاحظت شدة قلقها وتوتر أعصابها ! .. كما آلمنى ماسمعت منها من الأقوال العجيبة عن الأصابع التى تنقر على النافذة ، والذراع التى لا يد لها ، والوجه الأصفر المشوه ، وال .... »

وهنا عجزت عن تمالك نفسى ، فقطعت كلامها قائلة : « إنك وصفت لى هذه الأقوال بأنها أوهام وخيالات توحى بها أعصاب مريضة ! »

وسرنى أن رأيت مظاهر الارتباك والاضطراب قد ارتسمت على وجهها .. ومرة أخرى شعرت بالمسيو بوارو وهو ينظر إلى فى ابتسام خفيف ! .. ثم وجه نظراته إلى السيدة ميركادو ، ومضى يلخص أقوالها قائلا « إذن .. كنت فى غرفتك خلال الساعتين المذكورتين مشغولة بغسيل شعرك ، مما جعلك لا ترين أو تسمعين شيئاً » . ثم سألها : « أليس لديك ما يمكن أن يكشف بعض الغموض عن هذه الجريمة .. ؟ »

فهزت رأسها قائلة فى تأكيد : « كلا ! . ليس لدى أى شىء من هذا القبيل .. إن الجريمة شديدة الغموض والتعقيد حقاً .. ولكنى لست أشك فى أن القاتل شخص غريب .. فهذا هو المعقول ! »

وعلى أثر ذلك ، التفت المسيو بوارو الى زوجها وقال له « وأنت يا سيدى .. ماذا لديك من أقوال ؟ »

فنظر المستر ميركادو اليه فى توتر عصبى ، ثم راح يعبث بلحيته المشعثة فيما يشبه الذهول ، وأخيراً أجاب قائلا :

— إن السيدة ليدنر كانت جذابة رقيقة مهذبة ! .. كانت آخر سيدة تستحق أن تقتل .. ولاشك أن قاتلها شيطان رجيم .. نعم إنه شيطان رجيم !

فسأله المسيو بوارو : « كيف أمضيت فترة ما بعد الظهر أمس ؟ »

فتردد فى الاجابة عن هذا السؤال وأخذ يتساءل وهو يعبث بلحيته مرة أخرى : « أنا ؟ » . فقالت له زوجته لتدفعه الى الحديث : « إنك كنت فى غرفة المعمل يا جوزيف ! »

فمضى يقول على أثر ذلك : « نعم كنت هناك .. كنت أقوم بعملى كالمعتاد »
فسأله المسيو بوارو : « فى أى وقت ذهبت الى المعمل ؟ »
ومرة أخرى التفت الرجل الى زوجته كأنما يلتمس العون منها ، وسارعت هى الى الإجابة عنه فقالت : « إنه ذهب الى المعمل فى الساعة الأولى إلا عشر دقائق » . وأومأ هو برأسه موافقاً وهو يردد : « نعم فى الساعة الأولى إلا عشر دقائق ! »
ثم عاد المسيو بوارو فسأله : « هل غادرت غرفتك الى الفناء خلال الساعتين المذكورتين ؟ »
فأجاب قائلا : « لا . . أظن . . بل أعتقد أنى لم أغادرها مطلقاً ! »
فسأله : « متى سمعت بالحادث ؟ »
فأجاب : « حينما جاءت زوجتى الىَّ وأخبرتنى به . . إنه لأمر فظيع . . مزعج .. كدت ألا أصدق .. وحتى الآن لا أكاد أصدق أن السيدة ليدنر قتلت ! »
ثم شرع جسده يرتعد فى عنف وهو يردد : « فظيع ! »
وأسرعت زوجته اليه ، وأخذت تعمل على تهدئته قائلة : « نعم إنه أمر فظيع حقاً ، ولكن يجب أن تتجلد من أجل الدكتور ليدنر ! »
ومرت على وجه الدكتور ليدنر سحابة من الألم الممض العنيف ، فأدركت أنه يبذل كل جهد ممكن حتى لا ينهار من فرط الحزن خلال هذه اللحظات الحاسمة التى يتركز الحديث فيها عن مقتل زوجته . ثم استجاب المسيو بوارو لنظرات الرجاء التى أرسلها اليه ، فانتقل الى استجواب الآنسة جونسون عن معلوماتها ، وأجابت هذه بصوتها الناعم الرقيق :
— أخشى ألا يكون لدىّ ما يفيد التحقيق فى شىء . . فقد كنتُ فى غرفة الجلوس أعالج بعض قطع الآثار
فسألها : « ألم تسمعى أو ترى شيئاً ؟ » . فأجابت فى إيجاز : « لا . ! »
فأرسل بوارو اليها نظرة سريعة كأنما التقطت أذنه المرهفة نبرات من التردد وعدم اليقين في صوتها . . ثم سألها مرة أخرى :
— أأنت موقنة تماماً بأنك لم ترى أوتسمعى شيئاً .. مهما يكن بسيطاً ؟!
فقالت بعد تردد : « الواقع أننى لست متأكدة ! » . ثم لاذت بالصمت

فقال يحثها على الكلام : « لعلك تعنين شيئاً تافهاً ؟ ! »

فقالت : « كلا !.. لم أر شيئاً على الإطلاق »

فقال لها : « إذن سمعت شيئاً ؟ ! »

فأرسلت الآنسة جونسون ضحكة مغتصبة ثم قالت : « إنك تلح عليّ لكي تنتزع مني اعترافاً بأني سمعت شيئاً . . بينما الواقع أني توهمت أو خيل الىّ أني سمعت شيئاً ، ولا شك أن هذا الذي توهمته لم يكن من الحقيقة في شيء ! »

فقال لها المسيو بوارو : « حسناً يا آنسة !.. ماذا كان هذا الشيء الذي توهمت أنك سمعته ؟ »

فقالت في بطء كأنما تزن كلماتها بميزان دقيق « لقد توهمت أني سمعت صيحة خافتة بعد ظهرأمس .. أعني أنى سمعت فعلا صيحة خافتة . . ولكن . . ليس في هذا أي عجب . . فقد كانت غرفة الجلوس مفتحة النوافذ ، وفي مثل هذه الحالة لا يبعد أن يسمع الانسان مختلف الأصوات الصادرة من المزارع ، لكني مع هذا لا أملك إلا أن ألوم نفسي كلما تملكتني فكرة أن الصيحة التي سمعتها كانت صادرة عن السيدة ليدنر حين مصرعها ، وطالما حدثت نفسي بأني لو اهتممت بالأمر في تلك اللحظة لأمكن إنقاذها ، أو ـ على الأقل ـ أمكن القبض على القاتل الأثيم ! »

وهنا قال لها الدكتور رايلي « ليس هناك أي لوم عليك يا آنسة جونسون . فما كان في مقدورك أو مقدور أحد غيرك إنقاذ السيدة ليدنر في تلك اللحظة . . ذلك لأن القاتل أصابها في مقتل فقضى عليها لساعتها دون أن تصرخ أو تستغيث ! »

فقالت الآنسة جونسون : «على كل حال ، كان يمكنني على الأقل أن أعرف القاتل أو أقبض عليه ! »

ثم سألها المسيو بوارو : « سمعت هذه الصيحة حوالى الساعة الأولى والنصف ؟ »

فقالت بعد أن فكرت هنيهة : « نعم .. كانت في مثل هذا الوقت »

فسألها : « ألم تسمعي شيئاً آخر .. صوت باب يفتح أو يغلق .. مثلا ..؟»

فهزت الآنسة جونسون رأسها قائلة : « لا أتذكر أنى سمعت شيئاً من هذا القبيل ! »

فقال لها : «حينما كنت جالسة فى الغرفة ، هل كان وجهك إلى جهة الفناء ، أم إلى جهة غرفة الآثار ، أم إلى الدهليز المسقوف ، أم إلى النوافذ المطلة على المزارع ؟ »

ففكرت مرة أخرى بعض الوقت ثم قالت : « كنت متجهة إلى الفناء !»

فسالها : « هل كان فى مقدورك أن تبصرى الغلام عبد الله وهو يغسل الأوانى ؟ »

فأجابت قائلة : « نعم .. كان فى مقدورى أن أراه إذا رفعت رأسى .. ولكنى كنت شديدة الانهماك فى عملى ! »

فقال لها : « اذن كان يمكنك أن تشاهدى أى شخص يمر أمام نافذة الغرفة المطلة على الفناء ؟ »

فقالت : « نعم .. كان ذلك فى استطاعتى طبعاً »

فسألها : « وهل مر أحد من هناك ؟ » . فأجابت بالنفى ، ولكنه قال لها :

— أأنت متأكدة من أنه كان فى استطاعتك فى تلك الساعة أن تبصرى أى شخص يمر بالفناء ؟ »

فقالت : «نعم .. كان هذا فى استطاعتى لو رفعت رأسى عن عملى ونظرت من النافذة إلى الفناء »

فسألها : « ألم تلاحظى أن الغلام عبد الله ترك عمله ومضى يتبادل الحديث مع زملائه ؟ » . فأجابت بالنفى

وهنا قال المسيو بوارو كأنما يحدث نفسه : « عشر دقائق . . عشر دقائق قاتلة ! »

وبعد أن ساد الصمت قليلا ، رفعت الآنسة جونسون رأسها فجأة وقالت: « أرجو أن تتأكد يامسيو بوارو أنى لم أقصد التغرير بك حين امتنعت أول الأمر عن ذكر هذه الصيحة الخافتة التى سمعتها .. فقد كنت واثقة بأن هذه الصيحة لم تصدر عن غرفة السيدة ليدنر .. وذلك لأن هذه الغرفة تقع بعد

غرفة الآثار ، ولأن نوافذها كذلك وجدت مغلقة عند كشف الحادث ! »

فقال لها المسيو بوارو فى عطف : « مهما يكن الأمر ، فلا تزعجى نفسك يا آنسة .. فليس لهذه الصيحة أهمية كبيرة »

فقالت له : « لكنها ذات أهمية كبيرة عندى .. فلو أنى اهتممت بها لكان من المحتمل أن .. »

وسارع الدكتور ليدنر الى مواساتها والتخفيف عنها قائلا : «هونى عليك ياحنة ، فليس هناك ماتستحقين أن تلومى نفسك عليه .. ومن المحتمل جداً ، بل قد يكون من المؤكد ، أن الصيحة التى سمعتها كانت صادرة من أحد عمال المزارع وهو ينادى زميلا له »

فتضرج وجه الآنسة جونسون تأثراً بنبرات العطف الواضحة فى صوت الدكتور ليدنر .. وطفرت الدموع من عينيها ، فأشاحت بوجهها لتخفى تأثرها ، ثم قالت : « نعم هذا محتمل ، ومن المألوف ـ بعد وقوع مثل هذه المأساة أن يتوهم الانسان وقوع أشياء لا أساس لها فى الواقع ! »

ونظر المسيو بوارو فى مفكرته قليلا ، ثم التفت الى المستر كارى ، وقال له : « هل لديك ماتقوله يامستر كارى ؟ »

فقال المستر كارى : « لقد كنت فى منطقة الحفائر »

وقال المسيو بوارو : « حسنا . . والآن . . ماذا يعرف المسيو كولمان »

فقال الشاب كولمان :« كنت خارج الموضوع كله من بادىء الأمر..فقد ذهبت بالسيارة فى صباح أمس الى الحسينية لآتى بأجور العمال . ولما عدت من هناك أخبرنى إيموت بما حدث ، فانطلقت عائداً الى الحسينية لإبلاغ الأمر الى رجال البوليس والى الدكتور رايلى »

فسأله بوارو : « اذن .. ماذا تعرف عن الحالة بوجه عام قبل وقوع الحادث ؟ »

فأجاب الشاب بقوله : « ان الأحوال لم تكن كما ينبغى .. فهناك مسألة غرفة الاثار ، والضوء الذى شوهد فيها ، وهناك قبل ذلك مسألة الذراع التى لا يد لها ، والنقر على النوافذ ، والوجه الأصفر ، وما الى هذا ! »

فنظر بوارو إليه فى امعان ، ثم قال له : « إنك انجليزى الجنسية يامستر كولمان .. أليس كذلك ؟ »

فقال الشاب : « نعم ياسيدى »

فسأله : « أهذا أول موسم لك فى منطقة الحفائر هنا ؟ » . فأجاب وهو يؤمن برأسه قائلا : « نعم ياسيدى »

فسأله المسيو بوارو : « أأنت شغوف بعلم الآثار ؟ ! »

فاحمر وجه كولمان ، ونظر الى الدكتور ليدنر كما ينظر التلميذ الخائب الى ناظر المدرسة ، ثم قال مرتبكا : « الواقع ان علم الآثار ممتع لطيف .. ولكنى لست بارعاً فيه ! »

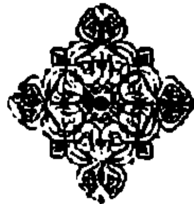
وساد الصمت فترة من الوقت ، أخذ المسيو بوارو خلالها ينقر بيده على المائدة مفكراً ، ثم قال أخيراً :

— يبدو أن هذا كل مانستطيع الحصول عليه الان من المعلومات ، فإذا خطر لأحدكم فيما بعد أن يدلى إلى بشىء غاب عن ذاكرته ، فأرجو ألا يتردد ، واسمحوا لى الآن بأن أتبادل بضع كلمات على انفراد مع الدكتور رايلى والدكتور ليدنر »

وكانت كلماته هذه إيذاناً بفض الاجتماع ، فنهضنا وغادرنا الغرفة ، فلما صرت خارجها ، سمعت المسيو بوارو ينادينى قائلا :

— أرجو منك يا آنسة ليثران أن تمكثى معنا .. فربما نحتاج الى معونتك!

وهكذا رجعت الى الغرفة وجلست فى مكانى من المائدة !



استنتاجات مسيو بوارو

وبعد أن غادر الجميع الغرفة ـ فيما عدا أنا ـ نهض الدكتور رايلي وأحكم غلق الباب ، ثم تبادل النظرات مع بوارو ، وأغلق النافذة المطلة على الفناء ، وكانت النوافذ الأخرى المطلة على المزارع قدأغلقت من قبل ، ثم عاد الدكتور رايلي إلى مكانه من المائدة ، وقال المسيو بوارو على أثر ذلك :

ــ حسناً !.. إننا الآن وحدنا،ولا يحتمل أن يزعجنا أحد .. ففي استطاعتنا أن نتبادل الحديث في حرية تامة !.. لقد سمعنا أقوال أعضاء البعثة ، والآن .. فيم تفكرين أيتها الأخت ليثران !

وتصاعدت الدماء إلى وجهي فجأة ، وأدركت أن للمسيو بوارو نظرات نفاذة .. فقد كنت ـ أفكر في شيء في تلك اللحظة ، ويبدو أن وجهي عبر بوضوح عن أفكاري .. ولكني قلت في تردد : « لا .. لا .. لاشيء ! »

فقال لي الدكتور رايلي : « لاتحاولي إخفاء شيء على المسيو بوارو يا إيمي »

فقلت على الفور : « الواقع أني كنت أفكر في أنه ليس من المعقول أن يتحدث أعضاء البعثة في صراحة تامة عن كل مايعرفون أمام الجميع ، ولا سيما أمام الدكتور ليدنر .. ولهذا كنت أفضل استجواب كل منهم على حدة ! »

فأومأ المسيو بوارو برأسه موافقاً وقال : «هذا عين الصواب !.. ولكني اتبعت هذا الاجراء بصفة مبدئية ـ لأستشف العوامل النفسية التي ترتسم على الوجوه أثناء الاجتماع ! »

فهتف الدكتور ليدنر قائلا : « إنني لا أصدق لحظة واحدة أن القاتل أحد أعضاء البعثة .. بل لا أصدق أن لأي عضو أي علاقة بهذه الجريمة ! »

ثم التفت إلي وقال في لهجة آمرة : « أرجو يا آنسة ليثران أن تخبري المسيو بواروا بكل ماحدثتك به زوجتي منذ يومين ! »

وهكذا أخذت ، للمرة الثانية ، أسرد كل ما أفضت به إلى السيدة ليدنر من أسرارها ، وقد حاولت ، بقدر الامكان ، أن أكون دقيقة كل الدقة ، وأن أروى تلك المعلومات بعبارات السيدة ليدنر نفسها كما سمعتها منها ، ولما فرغت من ذلك ، عقب المسيو بوارو قائلا :

— هذا بديع .. بديع جداً !.. إن لك عقلية منظمة رائعة يا آنسة ليثران . وأعتقد أنك ستكونين ذات نفع كبير لى فى هذا الأمر !

ثم التفت إلى الدكتور ليدنر وسأله : « ألديك هذه الرسائل التهديدية ؟ »

فقال الدكتور ليدنر : « نعم .. وقد أحضرتها معى لأقدمها لك ! »

ثم ناوله تلك الرسائل ، فأخذ يفحصها بعناية وهو يقرؤها .. وأعترف بأنى شعرت بخيبة أمل حين لم أجده ينثر عليها المساحيق أو يتفحصها بالمنظار المكبر وما إلى هذا وذاك مما كنت أقرأ عنه فى القصص البوليسية ! .. ولما فرغ من قراءتها ، وضعها على المائدة ، ثم قال للدكتور ليدنر :

— الآن .. علينا أن نستخلص الحقائق بوضوح وترتيب .. لقد تسلمت زوجتك الرسالة الأولى من هذه الرسائل بعد زواجها منك بقليل .. أما الرسائل الأخرى التى تلقتها من قبل فقد مزقتها .. ثم تلقت الرسالة الثانية بعد الأولى بفترة وجيزة .. وبعد وصول هذه الرسالة الثانية نجوت أنت وهى بأعجوبة من الموت اختناقا بغاز الاستصباح .. وبعد ذلك غادرتما أمريكا إلى الشرق ، ثم انقطعت الرسائل التهديدية نحو عامين ... ثم بدأت تصل مرة أخرى فى هذا الموسم .. أى منذ ثلاثة أسابيع .. أليس كذلك ؟!

فأومأ الدكتور ليدنر برأسه موافقا وهو يقول : « نعم .. نعم ياسيدى »

واستطرد المسيو بوارو فقال : «انك حينما اشتد الفزع بزوجتك ، تحدثت مع الدكتور رايلى فى وجوب استخدام الممرضة الآنسة ليثران لرعاية زوجتك وتهدئة أعصابها .. وقد وقعت بعض أشياء غامضة .. مثل النقر على النافذة ، وظهور وجوه مشوهة ، وسماع صوت غريب فى غرفة الآثار .. فهل شاهدت بنفسك بعض هذه الغوامض ؟ ! »

فهز الدكتور ليدنر رأسه ، وأكد أنه لم ير أى شىء من هذا القبيل ، ثم أضاف إلى ذلك قائلا : « إن كل أعضاء البعثة مثلى فى ذلك ، فهذه الأشياء

لم يشاهدها أو يسمعها أى أحد ، ماعدا لويز ! »

فعقب المسيو بوار على ذلك قائلا : « لـكن الأب ليفينى ذكر أنه شـاهد الضوء فى غرفة الآثار ؟ ! »

فقال الدكتور ليدنر : « لم أنس هذا ياسيدى ، ولـكنى إنما قصدت سرد الأشياء الغامضة التى هى أقرب إلى الأوهام والتخيلات ! »

وبعد فترة وجيزة من الصمت ، سـأله المسيو بوارو فجأة : « هل تركت زوجتك وصية ؟ ! » فلما أجاب بالنفى ، أبدى المسيو بوارو دهشته وسـأله : « لماذا ؟ » . فأجاب : « لأن الأمر لا يحتاج إلى وصية ! »

فسأله : « لـكنها كما علمت كانت ذات ثراء ! »

فأومأ الدكتور موافقاً وقال : « نعم . . كانت ذات ثراء وهى على قيد الحيـاة ، فقد ترك لهـا أبوها ثروة ضخمة ، ولـكنه أوصى بأن تنفق ريعهـا السنوى فقط من غير المساس برأس المـال ، فاذا توفيت ، آلت الثروة إلى أولادها ، وإذا لم يكن لها أولاد ، آلت الثروة كلها إلى متحف بيتستاون ! »

فأخذ بوارو ينقر بأصابعه على المنضدة مفكراً ، ثم قال : « إذن يمكننا فى هذه الحالة استبعاد أحد الدوافع الطبيعية إلى ارتكاب الجريمة . . فالمألوف أن يفكر المحقق ــ أولا ــ فيمن يستفيد من ارتكاب الجريمة .. والمستفيد ــ فى حالتنا هذه ــ هو المتحف .. ولولا هذا .. أى لو أن ثروة مسز ليدنر تؤول بعد وفاتها إلى الوارث الشرعى ، أى إلى الزوج ، لنبتت مشكلة هى الأولى من نوعها .. ذلك أن زوجها الأول ــ إذا كان حقا على قيد الحياة ــ سيظهر فجـأة ويطالب بالثروة على أساس أنه الزوج الشرعى ، وأن زواجـه بالمتوفاة كان ، حتى وفاتها ، قائماً من الوجهة الدينية والقانونية !.. ومهما يكن من أمر فليس هناك مايدعو إلى قيام هذه المشكلة . . ومادمنـا قد فرغنا من الناحية المالية ، فلنبدأ فى الخطوة التالية ، وهى عادة اتهـام الزوج ، لـكننى لاأجد مجالا لاتهامك أنت يادكتور ليدنر ، فالثابت أنك لم تقترب من غرفة زوجتك خلال فترة مابعـد ظهر أمس ، كما أنك لاتستفيد من وفاتها شيئاً ، بل على العكس تخسر بوفاتها زوجة جميلة جذابة »

ثم سكت المسيو بوارو هنيهة ، واستأنف كلامه بعد ذلك فقال : « ثم إنى

أرى بوضوح مظاهر حبك الشديد ، وتفانيك البالغ الاخلاص لزوجتك ، بل أعتقد أن هذا الحب الذى كنت تحمله لزوجتك ، هو محور حياتك كلها وأساس سعادتك فى الحياة .. أليس كذلك ؟ ! »

فأجاب الدكتور ليدنر ببساطة قائلا : « نعم ياسيدى ! »

فأومأ بوارو برأسه ثم قال : « ومن هنا يمكننا أن نستمر فى ... »

وهنا قطع الدكتور رايلى كلامه قائلا فى صبر نافد : « يحسن يامسيو بوارو أن نفرغ من هذا الموضوع الحساس بسرعة ! »

فوجه اليه المسيو بوارو نظرة عتاب وقال له : « تذرع ياصديقى بالصبر !. إن الواجب فى جريمة غامضة كهذه أن نستعرض جميع الاحتمالات »

والتفت المسيو بوارو مرة أخرى إلى الدكتور ليدنر وقال له : « لهذا السبب أريد أن أعرف الحقيقة كاملة يادكتور ليدنر ..! »

فنظر الدكتور ليدنر اليه فى دهشة وقال : « أؤكد لك يامسيو بوارو أنى لم أخف عنك شيئاً .. لقد ذكرت لك كل ما أعرف عن الموضوع »

فقال له فى هدوء : « لكنى أعتقد أنك لم تخبرنى بكل شىء . . أعنى أن هناك أشياء غابت عن ذاكرتك ، فهل تسمح لى بأن أسألك مثلا : لماذا استخدمت الآنسة ليثران ؟ »

فبدت الدهشة البالغة فى وجه الدكتور ليدنر وقال : « لقد شرحت لك السبب ، وأعتقد أنه واضح كل الوضوح ... كانت حالة زوجتى العصبية تقتضى وجود ممرضة بجانبها ! »

فانحنى بوارو إلى الأمام ، وراح يهز إصبعه مؤكداً وهو يقول : «لا..لا.! هناك شىء غامض فى هذه النقطة . . لاشك أن زوجتك كانت فى خطر ، وكانت مهددة بالموت ، ولكنك بدلا من أن تلجأ إلى البوليس لحمايتها ،وبدلا من استخدام مخبر سرى خاص لهذه الحماية ، استخدمت ممرضة . . فلماذا ؟ »

فتصاعد الدم إلى وجه الدكتور ليدنر ، وتردد فى الاجابة قليلا ، ثم قال فى صوت خافت متلجلج : « الواقع .. أنى .. فكرت .. نعم فكرت .. »

ثم سكت ولم يتم عبارته ، فقال له بوارو ليغريه بالحديث :

— حسنا !. ماالذى فكرت فيه يادكتور ليدنر ؟!

ولـكن الدكتور ليدنر ظل صامتاً ، راغباً عن الحديث ، فعـاد بوارو يستدرجه ويشجعه قائلا بصوت مهذب رقيق :

— إن كل ماذكرته لى يتفق مع الحقيقة تماما ، فما عدا هذه النقطة . . لماذا استخدمت ممرضة للعناية بزوجتك ؟ . . إن هناك إجابة واحدة فقط عن هذا السؤال . . وهى أنك لم تـكن مؤمناً بأن زوجتك معرضة لخطر حقيقى أليس كذلك ؟!

وعندئذ هتف الدكتور ليدنر فى صوت باك :

— ليغفر الله لى ! .. ليغفر الله لى !.. نعم ياسيدى لم أكن مؤمنا بوجود أى خطر على حياتها !

وهنا أرسل بوارو اليه هـذه النظرة الهادئة التى تشبه نظرة القط وهو ينتظر خروج الفـأر من جحره ليثب عليه ، ثم قال له : « حسنا ! . . ماذا كنت تعتقد إذن ؟ ! » فأجاب الدكتور ليدنر متلعثما : « إننى لا أعرف . . لا أعرف ! »

ولـكن المسيو بوارو عقب قائلا : « بل أنت تعرف كل المعرفة ياسيدى ! وفى استطاعتى أن أستنتج ماتعرفه !.. إنك تعتقد يا دكتور ليدنر أن زوجتك هى التى كتبت بنفسها خطابات التهديد وأرسلتها لنفسها أليس كذلك ؟ ! »

وبدا واضحـاً أن المسيو بوارو صادق فى استنتـاجه ، فقد اشتد شحوب الدكتور ليدنر ، ورفع يده إلى أعلى كأنه يطلب الرحمة ويرجو كتمان هـذا السر ! .. أما أنا ، فقد شهقت فى خفوت حين أدركت أنى لم أكن مخطئة فيما لاحظته عن هذا الأمر بالذات من تشابه خط السيدة ليدنر والخط المـكتوبة به رسائل التهديد . . ثم تذكرت كيف سألنى الدكتور ليدنر ذات يوم عن رأيى فى حالة زوجته . . وتنبهت من تفكيرى حين شعرت بنظرات المسيو بوارو مركزة على ، فلما رفعت رأسى ، سألنى قائلا : « هل تعتقدين أنت أيضاً صحة هذا الأمر يا آنسة ليثران ؟ ! »

فقلت على الفور : « ان هذه الفكرة خطرت ببالى من قبل ياسيدى » ثم ذكرت له مالاحظته من تشابه الخطين ، فالتفت إلى الدكتور ليدنر وقال له : « هل لاحظت أنت أيضا هذا التشابه الخطى ..؟! »

فأومأ الدكتور ليدنر برأسه قائلا : « نعم ياسيدى ! . وإن كان هناك اختلاف يسير .. وسأطلعك على رسالة بخط لويز لتقارنها برسائل التهديد »

ثم تناول من جيب سترته الداخلى بضع رسائل ، وقدم إحداها إلى المسيو بوارو قائلا : « هذه رسالة كتبتها لى لويز فى مناسبة سابقة » فأخذ المسيو بوارو يقارن بين خط هذه الرسالة والخط الذى كتبت به رسائل التهديد ، ثم قال : « نعم . . هناك تشابه بين الخطين ، ولكن هذا لا يعنى حتما أن السيدة ليدنر هى كاتبة رسائل التهديد لنفسها »

ثم تراخى فى مقعده واستطرد قائلا : « هناك ثلاثة احتمالات : الأول أن يكون تشابه الخطين مجرد مصادفة لا أكثر . . والثانى أن السيدة ليدنر كتبت بنفسها ـ ولنفسها ـ هذه الرسائل التهديدية لغرض نجهله الآن . . والثالث أن تكون رسائل التهديد كتبت بيد شخص حرص على تقليد خط السيدة ليدنر ! »

وسكت هنيهة مفكراً ، ثم واصل كلامه فسأل الدكتور ليدنر :

— ماذا خطر ببالك حينما ظننت أن زوجتك هى الكاتبة لرسائل التهديد ؟!

فهز الدكتور ليدنر رأسه وقال : « لقد استبعدت هذا الخاطر عن فكرى بسرعة .. لأنى لم أتصور مطلقاً أن ترتكب لويز مثل هذه الحماقة الرهيبة ! »

فسأله : « ألم تحاول أن تبحث عن تفسير لمثل هذا الاحتمال ؟ ! »

فتردد الدكتور ليدنر برهة ، ثم قال : « لقد حاولت فعلا ! . . ظننت أن كثرة تفكيرها فى مأساة زواجها الأول قد أثر بعض التأثير فى عقلها ، وعلى هذا شرعت تكتب الى نفسها هذه الرسائل فى غير وعى منها ! »

ثم أردف قائلا للدكتور رايلى : « أليس هذا الاحتمال معقولا من الوجهة الطبية ؟ »

فلوى الدكتور رايلى شفتيه وقال فى غموض : « إن للعقل البشرى أسراراً وخوارق لا حصر لها ! » . ثم أرسل نظرة خاصة للمسيو بوارو ، كأنما يسأله أن يكف عن الاستطراد فى مناقشة هذه النقطة ، فسكت هذا هنيهة ثم قال :

— إن لهذه الرسائل أهميتها فى الموضوع ، ولكن علينا أن نركز

اهتمامنا الآن في الموضوع كله .. فهناك ـ في رأيي ـ ثلاثة حلول : الحل الأول : وهو الأبسط ، أن الزوج الأول للسيدة ليدنر مازال على قيد الحياة ، وقد بدأ بتهديدها ، ثم نفذ تهديده بقتلها ، فإذا قبلنا هذا الحل ، فيجب علينا أن نعرف كيف دخل المنزل وارتكب الجريمة ثم غادره دون أن يراه أحد !

«والحل الثانى هو أن السيدة ليدنر كتبت لنفسها تلك الرسائل التهديدية لأسباب قد يكون ادرا كها أسهل على الطبيب منه على المحقق . وفي هذه الحالة تكون هى التى اصطنعت حادث النجاة من الموت بغاز الاستصباح ، خصوصاً أنها هى التى شمت رائحته وأيقظتك من النوم يا دكتور ليدنر .. وفي هذه الحالة أيضاً يتبين انه لم يكن هناك خطر حقيقى على حياتها ، وهذا يعنى أنه لم يكن لمقتلها أية علاقة بمأساة زواجها الأول ، وأن هناك دوافع أخرى للجريمة علينا أن نبحث عنها بين أعضاء البعثة هنا »

وهنا حاول الدكتور ليدنر أن يحتج ، ولكن المسيو بوارو أشار إليه بألا يقطع كلامه ، ثم استطرد فقال :

— نعم .. هذه هى النتيجة المنطقية لهذا الحل الثانى .. ومن المحتمل أن أحد الأعضاء كان يحمل لها حقداً شخصياً دفعه الى قتلها .. وفي هذه الحالة يكون هذا العضو على علم بمسألة خطابات التهديد ، أو ـ على الأقل ـ كان يعرف أن السيدة ليدنر تخاف ، أو تصطنع الخوف ، من شخص مجهول .. ولا شك فى أن هذه المعرفة شجعته على ارتكاب الجريمة وهو مطمئن الى أن المحققين سيعتقدون أن القاتل هو كاتب رسائل التهديد ، أو هو ذلك الشخص المجهول الذى كانت القتيل تخشاه !

« وهناك احتمال آخر لهذا الحل الثانى ، هو أن القاتل كتب بنفسه هذه الرسائل التهديدية بعد أن علم بمأساة الزواج الأول للسيدة ليدنر ، ولكن لماذا حاول تقليد خطها فى كتابته لهذه الرسائل مع العلم بأن من مصلحته أن تبدو هذه الرسائل مكتوبة بخط شخص مجهول ؟ !

« أما الحل الثالث ، فهو الحل الأقرب الى عقلى ، فأنا أعتقد أن رسائل التهديد ليست مصطنعة ، وإنما هى رسائل حقيقية ، وأن كاتبها هو زوج السيدة ليدنر الأول ، أو شقيقه الأصغر .. وأن هذا الشقيق الأصغر هو أحد

أعضاء بعثتك يا دكتور ليدنر ، التحق بالعمل معك حتى تتاح له فرصة الانتقام من المرأة التى أفشت سر أخيه وحطمت حياته ! »

وهنا انتفض الدكتور ليدنر واقفاً وهتف قائلا : « كلا !.. كلا !.. هذا مستحيل !.. نعم هذا مستحيل ، ولا شك أن هذا الاستنتاج العجيب شاذ كل الشذوذ ! »

ولم يزد المسيو بوارو على أن نظر إليه فى هدوء ، بينما استطرد فقال :

« هل تعنى أن شقيق الزوج الأول لزوجتى هو أحد أعضاء بعثتى ، وأنها لم تكن تعرف من أمره شيئاً ؟ ! »

فقال المسيو بوارو فى هدوء : بل أعنى أيضاً أن زوجها الأول نفسه قد يكون أحد أعضاء البعثة ! .. حاول أن تستعرض الحقائق فى روية وهدوء.. لقد عاشت زوجتك ــ منذ خمسة عشر عاماً ــ بضعة شهور مع زوجها الأول فليس غريباً ألا تعرفه إذا رأته بعد هذه الفترة الطويلة ، ولا سيما أن وجهه ولا شك قد تغير ، فظهرت فيه غضون الكهولة ، ووخط الشيب شعره ، ان كان قد بقى له شعر ، كما أن التغيير لابد أن يكون قد شمل جسمه وصوته . ولعله استطاع أن يضاعف هذه التغييرات كلها بشىء من التنكر ، فاذا كان فى أول أمره ملتحياً ، أزال لحيته ، والعكس صحيح .. ثم إنها لم تكن تتوقع أن تراه بين أعضاء البعثة .. وهذه ناحية نفسية هامة .. وإنما كانت تتوقع أن تراه فى هيئة رجل غريب عن محيط البعثة .. ولهذا كله كان من العسير ، أو من المستحيل ــ أن تتعرف عليه برغم وجوده معها فى منزل واحد ! . ومثل هذا يقال فيما يختص باحتمال أن يكون الشقيق الأصغر لزوجها الأول هو عضو البعثة ، فمن العسير عليها ولا شك أن تعرف هذا الشقيق بعد خمسة عشر عاماً لم تره خلالها وتغيرت هيئته بعدها كثيراً عما كانت عليه ! نعم .. يجب ألا نسقط من حسابنا ويليام بوسنر ــ هذا الأخ الأصغر الذى كان يقدس أخاه ، ولا شك أنه لم يكن ينظر إليه على أنه جاسوس خائن ، وإنما على أنه وطنى مخلص . . شهيد وطنه الأصلى ــ ألمانيا ــ ، وفى هذه الحالة تكون السيدة ليدنر ــ فى نظره ــ خائنة غادرة ، أرسلت أخاه ظلماً ــ إلى الموت !.. والمعروف أنه إذا اختمرت فكرة ما بعقل ناشىء ، فانها تظل مسيطرة عليه ، ثم تدفعه إلى تكريس حياته

لتنفيذها مهما يكابد فى هذا السبيل من عناء ! »

وهنا قال الدكتور رايلى معقباً : « هذا صحيح ! . فالفكرة الشائعة عن سرعة نسيان الأطفال والغلمان تنطوى على خطأ كبير .. فان كثيراً من الناس يقضون حياتهم كلها لتنفيذ فكرة طرأت على عقولهم فى سن الطفولةوالصبا »

فأومأ بوارو برأسه ثم استطرد قائلا : حسناً !.. لدينا الآن احتمالان: إما أن يكون عضو البعثة المتنكر هو فردريك بوسنر نفسه الزوج الأول للقتيل ، وإما أن يكون هو شقيقه الأصغر ويليام بوسنر . والأول فى حدود الخمسين من عمره ، والثانى فى حدود الثلاثين . فعلينا أن نستعرض أعضاء البعثة لنرى أيهم تنطبق عليه — إلى حدما — أوصاف أحد الشقيقين ! »

فغمغم الدكتور ليدنر قائلا : « ما أعجب هـذا الرأى ، بل ما أبلغ شذوذه !. أيمكن أن يكون الزوج الأول — أو أخوه — بين أعضاء بعثتى؟! »

فقال بوارو فى صـوت جاف : « هيا يا سادة . . فلنخرج الآن من بين الأعضاء من لا ينطبق عليه أوصاف الشقيقين وظروفهما . . إن مستر كارى يعمل مع الدكتور ليدنر منذ أعوام عديدة قبل أن يلتقى بزوجته . . نعم إنه فى سن أكبر كثيراً من سن الشقيق الأصغر ، وأصغر كثيراً من سن الشقيق الأكبر . . فهو فى نحو الثامنة والثلاثين . وعلى هـذا فلنخرجه من قائمة احتمالنا ، أما الأب ليفينى ومستر ميركادو . . فإن كليهما فى سن فردريك بوسنر على وجه التقريب ، وقد يكون أحدهما . . . »

فصاح الدكتور ليدنر بصوت يجمع بين الضيق والعجب : « إن الأب ليفينى معروف فى العالم كله بخبرته العالمية بالمخطوطات الأثرية ، أما ميركادو فقد عمل بضعة أعوام فى متحف مشهور بنيويورك »

فلوّح بوارو بيده وقال : « لست أومن يا سيدى بأن الدنيا فيها شىء مستحيل!. ولـكن يمكننا أن نتجاوز الآن عن الأب ليفينى ومستر ميركادو .. فمن يبقى ؟.. كارل ريتر — وهو اسم ألمانى .. ودافيد إيموت ... »

فقطع الدكتور ليدنر كلامه قائلا : « إن دافيد عمـل معى موسمين متتابعين » . فأومأ المسيو بوارو موافقاً ومضى يقول : « ثم إنه شاب متزن رزين صبور . . فإذا أراد ارتكاب جريمة ، فإنه يستعد لها تماماً ! »

فهز الدكتور ليدنر كتفيه فى شبه يأس ، واستطرد بوارو فقال : « بقى لدينا ويليام كولمان .. وهو انجليزى الجنسية .. ولكن هذا لا يكفى لاستبعاد اسمه ، فقد ذكرت السيدة ليدنر أن شقيق زوجها الأول غادر أمريكا وهو غلام ناشىء ولم يعرف أحد أين ذهب . . فمن المحتمل أن يكون قد رحل الى انجلترا حيث عاش وتجنس بالجنسية الانجليزية ! »

وسكت المسيو بوارو قليلا ، بينما أخذت أنا أفكر فى هذه الاحتمالات كلها ، ثم تركز تفكيرى فى المستر كولمان، ذلك الشاب المراح ، وبدا لى أن فى تصرفاته أو مرحه بعبارة أصح قرب الى التكلف ، وساءلت نفسى : ألا يمكن أن يكون الشاب بهذا المرح المصطنع إنما يحاول أن يخفى حقيقة أمره ؟.. وفى أثناء ذلك كان المسيو بوارو يكتب شيئاً فى مفكرته ، ثم التفت الينا بعد ذلك وقال :

— لنستعرض هذه الاحتمالات كلها فى نظام وترتيب : لدينا اثنان فى مثل سن فردريك بوسنر الزوج الأول للسيدة ليدنر ، وهما الأب ليفيني ومستر ميركادو . ولدينا ثلاثة فى سن الشقيق الاصغر لذلك الزوج ، وهم : دافيد إيموت ، وويليام كولمان ، وكارل ريتر . . وعلينا أن نستعرض ظروف كل فى البعثة خلال فترة وقوع الحادث لنعرف من منهم كانت الفرصة متاحة له لارتكاب الجريمة ! . . وقد عرفنا أن مستر كارى كان فى تلك الفترة خارج المنزل فى منطقة الحفائر ، كما أن كولمان كان فى بلدة الحسينية .. أما الدكتور ليدنر فكان فوق السطح .. وعلى هذا لا يبقى أمامنا إلا الأب ليفيني ، ومستر ميركادو وزوجته ، ودافيد إيموت ، وكارل ريتر ، والآنسة جونسون ، والآنسة ليثران !

ولم أتمالك نفسى فهتفت فى فزع ودهشة : « ماذا تقول يا سيدى ؟ ! »

فنظر المسيو بوارو إلىّ مبتسما وقال فى هدوء : « نعم يا آنسة . . لا مندوحة من وضعك مؤقتاً فى دائرة الإتهام . . فقد كان من الميسور لك جداً أن تدخلى غرفة السيدة ليدنر وتقتليها خلال هذه الدقائق العشر التى خلا الفناء فيها من الغلام عبد الله ومن دافيد إيموت . . وإن لك القوة البدنية التى تتيح لك ارتكاب الجريمة . . كما أنّ السيدة ليدنر ما كانت لترتاب فى أمرك حتى اللحظة الأخيرة .. أى حتى اللحظة التى أصيبت فيها بالضربة القاتلة ! »

نقطة دم !

نقلت جثة السيدة ليدنر إلى بلدة مستشفى الحسينية لتشريحها ومعرفة سبب الوفاة من الوجهة الطبية . وقد ظلت غرفتها كما وجدت عند اكتشاف الحادث، ولم يكن بها سوى متاع قليل بسيط ، لا يحتاج الى كثير من الجهد للتحرى والفحص !

كان سرير القتيل الى يمين الداخل من باب الغرفة ، وفى الجهة المقابلة للباب نافذتان تطلان على المزارع الواقعة خلف المنزل ، وهما محصنتان بالقضبان الحديدية ، وبجانب الجدار بينهما منضدة عادية من الخشب ذات أدراج ، كانت القتيل تستعملها للزينة والتجمل ، وعلى الجدار الشرقى رف للكتب المختلفة ، بجانبه مشجب عليه مجموعة من الثياب المغطاة بأكياس قطنية لتحفظها من الغبار .. والى جوار هذا المشجب خزانة صغيرة للملابس الداخلية وما إليها من الأدوات الخاصة . وإلى يسار الباب حوض للاغتسال ، وهناك منضدة أخرى تتوسط الغرفة وضعت عليها محبرة وأقلام وأوراق للكتابة، وحافظة للأوراق الخاصة ، وهى التى كانت السيدة ليدنر تحتفظ فيها برسائل التهديد التى حملها إليها البريد ، وكانت الستائر الثلاث التى على الباب والنافذتين قصيرة مصنوعة من النسيج المحلى ، أما أرض الغرفة فغطيت بعض أجزائها بثلاث قطع من فراء الماعز : احداها مستطيلة ذات خطوط بنية وبيضاء ، وضعت بين السرير ومنضدة الكتابة ، وفرشت الثانية تحت النافذتين ، والثالثة عند حوض الاغتسال .. وهكذا لم تكن هناك خزائن كبار أو ستائر طوال ، ولا أى شىء من هذا القبيل يصلح لاختباء شخص غريب !

ووقف المسيو بوارو ، بعد أن ألقى على الغرفة نظرات فاحصة نفاذة ، يصغى فى اهتمام الى الدكتور رايلى وهو يشرح له فى إيجاز كيف وجدت الجثة ملقاة

فوق قطعة الفراء الكبيرة الموضوعة بين السرير ومنضدة الكتابة ، وكأنما رأى الدكتور أن يوضح الوصف بطريقة عملية ، فأشار إلىّ قائلا : « هل تسمحين يا آنسة ليثران بأن تمثلى كيف كانت الجثة ملقاة ؟ »

وأومأت برأسي موافقة وأنا أحاول جاهدة أن أتمالك أعصابي، ثم تمددت فوق تلك القطعة من الفراء ، ممثلة بقدر الامكان ، الوضع الذى وجدت عليه جثة السيدة ليدنر .. وهنا قال الدكتور رايلى :

— لقد أكد الدكتور ليدنر أنه لم يغير وضع الجثة حينما اكتشف الحادث، إذ اكتفى بأن رفع رأسها قليلا ريثما تحقق الوفاة

فقال المسيو بوارو معقباً : « يبدو بوضوح أنها كانت حتى قبيل الحادث نائمة فى الفراش ، أو مستلقية عليه طلباً للراحة ، ثم شعرت بدخول القاتل من باب الغرفة ، فنهضت من سريرها وهى تتطلع إلى تلك الجهة، وهنا ... »

فسارع الدكتور رايلى إلى إتمام عبارة المسيو بوارو قائلا: « وهنا أهوى ذلك القاتل على رأسها بشيء ثقيل ، فوقعت على الأرض مغشياً عليها ، ثم ماتت بعد دقائق ، دون أن تفيق من غشيتها ! »

ثم أخذ يشرح لنا مدى الجرح الذى أحدثته تلك الضربة القاتلة في رأس القتيل ، فلما فرغ من ذلك ، قال المسيو بوارو : « يبدو — إذن — أن الجرح الذى أحدثته تلك الضربة لم تسل منه دماء غزيرة »

فقال الدكتور رايلى : « ان الجانب الأكبر من الدماء الناتجة من الجرح تدفقت إلى الداخل .. إلى المخ ! »

فأومأ المسيو بوارو موافقاً وقال : « هذا واضح .. ولكن .. إذا كان الشخص الذى دخل الغرفة غريباً عن السيدة ليدنر ، فلماذا لم ترسل صيحة استغاثة ؟. إنها لو صاحت حينذاك لاستطاعت الآنسة ليثران أن تسمعها بوضوح.. وكذلك المستر إيموت والغلام عبد الله ! »

فقال الدكتور رايلى : « ليس أسهل من الاجابة عن هذا السؤال ؟.. لابد أن هذا الشخص لم يكن غريباً عن السيدة ليدنر ! »

فأومأ بوارو برأسه ثم قال : « من المحتمل أنها دهشت عند رؤيتها لهذا

الشخص ، ولـكنها لم تكن خائفة منه ، فلما أهوى على رأسهابالضربة القاضية أرسلت صيحة خافتة مبتورة ! »

فتساءل الدكتور رايلى قائلا له : « أتعنى الصيحة التى سمعتهـا الآنسه جونسون ؟. »

فأجاب المسيو بوارو قائلا : « هذا محتمل..لـكننىأشك كثيراً فىاستطاعة مثل تلك الصيحة الخافتة اختراق الجدران السميكة والنوافذ المغلقة ؟ »

ثم تقدم نحو الفراش وسألنى قائلا : « إنك تركتهاراقدة علىسريرها هذا يا آنسة ليثران ، فهل كانت معتزمة أن تنام ، أم كانت تتسلى بالقراءة ؟. »

فأجبت قائلة : « إننى تركت بجانبهـا كتابين : أحدهما للقراءة الخفيفة المسلية ، والآخر قصة فى ذكريات مسلسلة .. وكانتعادتها أن تقرأ فترة قصيرة قبل أن تستغرق فى النوم »

فسألنى : « هل كانت فى حالة طبيعية ؟ » . ففكرت برهة ، ثم قلت : « نعم .. كانت فى حالة عادية ، وكانت روحها المعنوية عالية »

فتلفت بوارو حوله ثم واصل كلامه قائلا لى : « حينما دخلت الغرفة بعد اكتشاف الحادث ، هل رأيت كل شيء فى موضعه كما كان ؟ »

فتلفت حولى أيضاً وقلت : « نعم .. أظن هذا .. لا أتذكر أنى رأيت شيئاً فى غير موضعه »

فالتفت إلى الدكتور رايلى وقال له : « ان الأداة التى استعملت فى القتل لم يعثر على أثر لها ، لـكنك فحصت الجثة طبياً وعرفت مدى الاصابة ، فما هى الفكرة التى كونتها عن تلك الأداة ؟ »

فقال الدكتور رايلى : « أرىأنها أداة ثقيلة ، متوسطة الحجم ، ليس بها أركان أو أحرف حادة ، أىأداة تشبه قاعدة مستديرة لتمثال ـ مثلا ـ وأقول مثلا لأنى طبعاً غير واثق من نوعها .. وقد وجهت الضربة بقوة شديدة ! »

فعقبالمسيو بوارو على ذلك قائلا: «معنىهذا أن القاتل رجلقوىالجسم »

ففكر الدكتور رايلى هنيهة ثم قال : « هذا هو المعقول .. إلا إذا كانت الضربة قد أصابت القتيل وهى راكعة على ركبتيها ، ففى هـذه الحالة لا يحتاج الأمر إلى قوة كبيرة .. وعلى كل حال أقرر أن هذا مجرد استنتاج لا أكثر..

فليس هناك مطلقاً أى دليل ، ولعل فزع السيدة ليدنر دفعها إلى الركوع أمام القاتل لطلب الرحمة منه بعد أن أدركت بغريزتها أن لا فائدة من الاستغاثة .. لكن مانعرفه عنها من الاعتزاز بنفسها يجعلنى أستبعد ركوعها أمام أى أحد..

ولم يعقب المسيو بوارو بشىء ، بل أخذ يذرع جوانب الغرفة فى بطء ، متأملا كل شىء فيها ، ثم فتح مصاريع النافذتين ، وفحص قضبانها ، وأخرج رأسه من بينها ، ثم حاول أن يخرج كتفيه أيضاً فلم تتسع لذلك . وأخيراً التفت إلى قائلا :

— إنك يا آنسة قررت أن النافذتين كانتا مغلقتين حين دخلت الغرفة بعد وقوع الجريمة ، فهل كانتا كذلك حينما تركت السيدة ليدنر فى سريرها تستعد للنوم أو للقراءة ؟ !

فأجبته قائلة : « إنهما تغلقان دائماً بعد ظهر كل يوم لأنهما خاليتان من الشباك السلكية التى تحول دون دخول الذباب والهوام إلى الغرفة ، وذلك بعكس نوافذ غرفة الجلوس ، فان عليها شبكة من الأسلاك »

فهز بوارو كتفيه وقال : «سواء كانتا مغلقين أم مفتوحتين، فمن المستحيل على أى إنسان أن يخرج أو يدخل من بين هذه القضبان .. كما أن الجدران سميكة قوية خالية من الأبواب السرية ، وليس بالسقف كوة . وعلى هذا ليس فى هذه الغرفة اى منفذ للدخول او الخروج إلا الباب ، وطبيعى أن الفناء هو المنفذ الوحيد الذى يؤدى إلى هذا الباب ، كما أن الباب العام للمنزل هو وحده المنفذ الذى يوصل إلى الفناء من الخارج !.. وقد كان خمسة من الخدم جالسين بجانب هذا الباب العام ، وأكدوا جميعاً أنهم لم يروا أى شخص غريب يدخل أو يخرج منه بعد الظهر . وليس من المعقول أنهم جميعاً كاذبون مرتشون .. فالنتيجة المنطقية لهذا كله هى أن القاتل لا بد كان هنا داخل المنزل ! »

ثم واصل المسيو بوارو تفقد الغرفة ، وما فيها ، وكانت هناك فوق منضدة الزينة صورة فى إطار جميل تمثل رجلا عجوزاً كثيف اللحية ، فلما رآه الدكتور رايلى يتأملها مستفسراً ، قال له : «إنها صورة والد السيدة ليدنر .. وقد علمت ذلك منها هى نفسها »

ولم يعقب المسيو بوارو بشىء ، بل أخذ يفحص أدوات التجميل والزينة

الموضوعة على المنضدة ، وكانت كلها مزينة بالأصداف وقطع الأبنوس .. ثم رفع عينيه إلى الكتب المصفوفة على الرف ، وأخذ يقرأ عناوينها بصوت مسموع : وفى مقدمتها : « من هم الاغريق » ، « مقدمة لشرح نظرية النسبية » ، « تاريخ حياة الليدى ستانهوب » ، « قطار كرو » « العودة إلى ميتوشولاح » ، « ليندا كوندون » .. ثم التفت الينا وقال : « هذه الكتب تدل على أن السيدة ليدنر كانت سيدة مثقفة واسعة الأفق »

فقلت فى حماسة : « نعم . . كانت سيدة بارعة ، واسعة التفكير ، كثيرة الاطلاع »

ومضى هو فى جولته داخل الغرفة ، ثم توقف امام حوض الاغتسال حيث كانت على رف بالقرب منه مجموعة من الزجاجات واحقاق معاجين الزينة والتطرية .. وفجأة ركع على ركبتيه وراح يفحص الطنفسة القريبة من الحوض واسرعت مع الدكتور رايلى اليه ، حيث رايناه مشغولا بالنظر إلى بقعة صغيرة بنية اللون لاتكاد تبين فى لون الطنفسة البنى .. ولولا ان جزءاً من البقعة كان باديا على احد الخطوط البيضاء فى الطنفسة ، لما استطاع أحد أن يفطن اليها !

وقال المسيو بوارو للدكتور رايلى : « ما رأيك فى هذه البقعة . . أهى بقعة دم ؟ ! »

فركع الدكتور رايلى بجانبه ،وأخذ يفحصها مليا ثم قال :«هذا محتمل!.. وفى الامكان أن نتحقق ذلك بعد فترة وجيزة إذا أردت »

فقال له : « أكون جد شاكر لك » . ثم واصل فحص حوض الاغتسال وكان خاليا من الماء ، وعلى حافته إبريق ، وبالقرب منه وعاء من الصفيح يحتوى على ماء مستعمل . وبعد قليل التفت إلى وسألنى : « هل كان هذا الابريق خارج الحوض أم كان على حافته كما هو الآن ، حينما تركت السيدة ليدنر فى الغرفة قبل الحادث ؟ »

ففكرت هنيهة ثم قلت : « الواقع أنى لا أذكر تماما كيف كان ، ولكنى أظن أنه كان كما هو الآن . . ذلك لأن الخدم عادة يضعون الابريق على حافة الحوض فى كل يوم بعد الفراغ من تناول الغداء »

فأومأ برأسه موافقاً وقال :« إن دراسة فن التمريض تنمي قوة الملاحظة

ولاسيما فيما يتعلق بالنظـام والترتيب . . فلو أن أى شىء لم يكن فى موضعه لـكان طبيعيا أن تلاحظى ذلك وتعيديه إلى موضعه بطريقة آلية . . وعلى كل حال .. هل كان الابريق فى هذا الموضع نفسه عند اكتشاف الحادث ؟ »

فقلت له : « الواقع أنى كنت مشغولة بتفقد جوانب الغرفة لمعـرفة أى موضع فيها يصلح لاختباء القاتل ، أو للوقوف على أثر تركه وراءه ! »

وعندئذ نهض الدكتور رايلى قائلا : « إنها بقعة دم فعلا .. ! هل لهذه الحقيقة أهمية ؟! »

فقال المسيو بوارو : « لست أدرى الآن . . انهـا قد تكون لاأهمية لها مطلقاً ، وقد تكون كبيرة الأهمية ! »

فقال الدكتور رايلى : « إن الدماء الخارجية التى انبثقت من الجرح كانت قليلة جداً .. وعلى هذا .. ما أظن أن شيئاً منها وصل من تلقاء نفسه إلى هذا المـكان .. ولعل القاتل لمس الجرح بيده فتلوثت بالدم ثم أراد غسلها،فسقطت هذه النقطة من يده بجانب حوض الماء ! »

وأحسست برعدة تسرى فى بدنى وأنا أتصور يد القـاتل الرهيب ملوثة بدم ضحيته ، ولحظ الدكتور رايلى رعدتى ، فقال لى مشجعـاً : « ماذا بك يا آنسة ليثران »

فقلت له : « لاشىء ياسيدى !.. إنه الاحساس برهبة الموقف ! »

وهنا نظر إلى المسيو بوارو فى عطف وقال لى : « لاشك فى أنك محتاجة إلى بعض الراحة والبعد عن مسرح الجريمة .. ولسوف نصحبك معنا إلى بلدة الحسينية ، حيث يقدم لك الدكتور رايلى قدحاً من الشاى الساخن ! »

ولما حاولت أن أعترض ، ربت بوارو كتفى فى مودة وقال : « لا شك فى ان هنا خطراً شديداً على حياتك يا آنسة او على حيـاة غيرك . ومن المحتمل جدا ان يبلغ هذا الخطر حد القتل ! »

ولم أجد ما اقوله لأبرر دهشتى واستنكارى ، بينما اقترب هو منى قائلا :

— هناك يا آنسة امور لا تحتمل المزاح او الضحك ! . . لقد عرفت من تجارب مهنتى ان القتل يصبح عادة لدى القاتل ، وان الذى يقتل مرة ،لايتردد فى ارتكاب جرائم القتل .. مرات .. ولأتفه الأسباب !

شعاع من الضوء

حرص المسيو بوارو قبل أن يغادر منزل البعثة على أن يقوم بجولة حول المبانى الخارجية التابعة له ، كما ألقى بعض الأسئلة على الخدم ، وكان الدكتور رايلى يتولى الترجمة بينه وبينهم . وقد ركز أسئلته حول ذلك الرجل الغريب الذى شاهدته أنا والسيدة ليدنر يحاول اختلاس النظر عبر إحدى النوافذ الخلفية للمنزل ثم رأيته فى اليوم التالى يتحدث مع الأب ليفيني بالقرب من الباب العام

وفيما كانت السيارة تمضى بنا فى الطريق الوعر إلى الحسينية ، قال الدكتور رايلى للمسيو بوارو :

— هل ترى أن لهذا الرجل الغريب علاقة بالجريمة ؟

فأجاب المسيو بوارو قائلا : « كل ماهناك أنى أحب أن أحصل على أكبر قدر من المعلومات ! »

وأخيراً ، وصلنا إلى منزل الدكتور رايلى ، وجلسنا نتناول الشاى فى جو بهيج ، وفيما نحن جالسون إلى المائدة ، قال المسيو بوارو وهو يدير الملعقة فى قدحه ببطء :

— الآن نستطيع أن نتحدث فى حرية ، وأن نستعرض الحوادث حتى نعرف من هو القاتل !

فتساءل الدكتور رايلى : « أتعنى تحديد من يكون من بين أعضاء البعثة الأربعة : الأب ليفيني ، وميركادو ، وإيموت ، وريتر ؟ »

فقال المسيو بوارو : « لا . . ياصديقى ! . . . ان الحديث عن هؤلاء لإخراج القاتل من بينهم مجاله النظرية رقم ٣ ، لكننى أريد الآن أن نناقش

النظرية رقم ٢ متجاوزاً عن كل احتمال لوجود الزوج الأول أو أخيه على قيد الحياة »

فقال له الدكتور رايلى : « كما تشاء ياسيدى !.. لكننى كنت أظن أنك لم تحفل كثيراً بهذه النظرية ! »

فقال المسيو بوارو : « الواقع أننى تعمدت التظاهر بهذا أمام الدكتور الدكتور ليدنر حتى لاأجرح مشاعره الرقيقة نحو زوجته ، فلم يكن من اللائق أن أذكر الدوافع المحتملة لوقوع الجريمة بيد أحد أعضاء البعثة . . ولذلك أرجأت الحديث عنها لمناقشتها والدكتور ليدنر غير موجود !.. »

والآن اعتقد ان الآنسة ليثران تستطيع مساعدتنا فانها تتمتع بقوة ملاحظة ممتازة ! »

فقلت فى ارتباك : « انا ؟.. ما اظن انى . . . » . لكنه واصل كلامه قائلا :

— بل هى الحقيقة يا اختاه !. وفى استطاعتك الآن ان توضحى لنا كيف كان شعور كل عضو فى البعثة نحو السيدة ليدنر ! »

وحاولت التنصل من اداء هذه المهمة الصعبة معتذرة بأننى لم امكث بينهم غير أسبوع واحد ، ولكن المسيو بوارو أصر على رأيه قائلا :

— إنها فترة قصيرة حقاً ، لكنها تكفى فتاة ذكية مثلك لكى ترى وتسمع وتعرف وتشعر بالشىء الكثير مما كان يدور داخل جدران هذا المنزل.. هيا يا آنسة . . ولتبدئى بالأب ليفينى !

ولم أجد بداً من الامتثال لإرادته فقلت بعد تردد : « إن الأب ليفينى والسيدة ليدنر كانا يتبادلان الحديث فترات طويلة ، وكان أغلب حديثهما باللغة الفرنسية التى لا أحسن فهمها برغم ما تلقيته من مبادئها فى المدرسة الابتدائية . . ولكنى أعتقد أن أحاديثهما كانت تدور غالباً عن الكتب »

فقال المسيو بوارو : « إذن .. كانا يتبادلان الصداقة والمودة ؟ »

فقلت : « هذا محتمل ، لكنى أعتقد أن الأب ليفينى كان يشعر بشىء من الضيق والتبرم ازاء غموض شخصية السيدة ليدنر ، وقد وصفها لى مرة بأنها امرأة خطرة .

فقال المسيو بوارو وقد تألقت عيناه : « هذا بديع !. بديع جداً ! . . وماذا كان رأى السيدة ليدنر فيه ؟ »

فقلت : « من العسير على أى إنسان أن يعرف حقيقة ما كانت تشعر به السيدة ليدنر نحو غيرها من الناس . . ولكنى أعتقد أنها هى الأخرى كانت تبادل الأب ليفينى مثل شعوره ذلك . . وأتذكر أنها قالت عنه ذات يوم : إننى لم أر من قبل راهباً مثله . . »

ولما حاول الدكتور رايلى أن يتدخل فى الحديث ، ابتسم بوارووقال له : « أقترح يا دكتور رايلى أن تمضى أنت الى أعمالك بالمستشفى وتتركنى مع الآنسة ليثران . . فما رأيك . . ؟ ! »

فابتسم الدكتور رايلى بدوره ، ثم نهض ضاحكا ، وقال وهو يغادر الغرفة : « الواقع أن لدىّ بعض الشواغل فى المستشفى ، وأرجو ــ حين أعود ــ أن ارى القاتل موضوعاً فى قفص امامك وامام الآنسة ليثران ! »

وقال بوارو لى بعد انصراف الدكتور رايلى : «الآن نستطيع أن نتبادل الحديث بمزيد من الصراحة والوضوح . . . ولكن هذا لا يعنى أن تهملى نصيبك من الحلوى والشطائر ! »

ثم قدّم إلى صحفة الشطائر بطريقة لبقة تنمّ عن المودةوالتعاطف،واستطرد أخيراً فقال : « أرجو أن تستمرى فى حديثك عن مشاعر أعضاء البعثة نحو السيدة ليدنر .. وثقى بأن أحداً لن يعرف شيئاً عن هذا الحديث . ومن كان يكره السيدة ليدنر من أعضاء البعثة !؟ »

فقلت له : « أعتقد أن السيدة ميركادو كانت تكرهها وتغار منها .. فقد كان مستر ميركادو زوجها مفتوناً إلى حد ما بالسيدة ليدنر ، وصحيح أن شخصيته ليست جذابة بل هى اقل من العادية ، ولكن السيدة ليدنر كانت لها طريقة خاصة فى الانصات إلى احاديث الناس معها ، وكانت طريقتها هذه تجعلها جذابة للجميع . . وهكذا افتتن بها مستر ميركادو . وكان طبيعياً ان تضيق زوجته بذلك إلى حد كبير ، بل اذكر انها كانت تغار من السيدة ليدنر الى حد الكراهية الشديدة ، وقد رأيتها يوماً تنظر إليها وكأنما تفكر فى طريقة لقتلها ! »

وادركت انني جاوزت الحد في الوصف فقلت مستدركة : عفواً يا مسيو بوارو .. وإنني لا اعني ان السيدة ميركادو هي القاتلة ولكنني .. »

فابتسم المسيو بوارو ، وقال لي : « هذا مفهوم يا آنسة ، ان كلمة القتل جاءت على لسانك عفواً اثناء الحديث ، والمهم هو ان اعرف هل كانت عداوة السيدة ميركادو تزعج السيدة ليدنر ؟! »

فقلت بعد التفكير قليلا : « لست اظن ذلك ، بل اعتقد ان السيدة ليدنر لم تكن تشعر بهذه العداوة ، ولذلك خطر ببالي ذات مرة ان احذرها .. ولكنني لم افعل خشية ان اضاعف من توتر اعصابها ! »

فقال لي في هدوء وابتسام : « هذا دليل على سلامة تفكيرك .. والآن .. هل يمكن ان تذكري لي بعض المناسبات التي كشفت فيها السيدة ميركادو عن كراهيتها تلك ؟ »

ولما ذكرت له حديث السيدة ميركادو معي فوق السطح ، عقب على ذلك متسائلا : « الم تستشفي من حديثها انها كانت تعرف كل شيء عن مأساة الزواج الأول للسيدة ليدنر ، وهل لم يخطر ببالك ازاء هذا ان تكون هي كاتبة رسائل التهديد الأخيرة . وان تكون هي صاحبة النقر على النافذة وما إلى هذا كله مما افزع السيدة ليدنر ؟ »

فقلت له : « الواقع ان هذا الاحتمال طاف بذهني ولكن... ». وسارع هو إلى اتمام عبارتي قائلا : « نعم .. إنها وسيلة قاسية للتشفي والانتقام، لكنها لا تصل إلى حد ارتكاب جريمة قتل رهيبة ! »

ثم امسك عن الحديث بعض الوقت كأنما يفكر في شيء ، ثم قال اخيراً : « ترى ماذا كانت تقصده بقولها لك : « إنني اعرف لماذا جئت إلى هنا ..؟.. لا شك انها حسبت ان اقامتك بمنزل البعثة لأسباب اخرى غير رعاية السيدة ليدنر ، لكن ما هي هذه الأسباب ؟.. ولماذا كانت تحدّق في وجهك خلال تناول الشاي عقب وصولك إلى المنزل ...؟! »

فقلت له : « لست أعرف تلك الأسباب ، ولكنها على كل حال ليست سيدة مهذبة ! »

فهز بوارو كتفيه وقال : « وماذا عن بقية الأعضاء ؟ ! »

فقلت بعد قليل من التفكير : « أظن أن الآنسة جونسون لم تكن هى الأخرى تميل الى السيدة ليدنر ، لكنها كانت صريحة فى مشاعرها .. فالمعروف أنها متفانية فى الإخلاص للدكتور ليدنر ، وأنها تعمل معه منذ سنوات ، ولم يغير زواجه من شعورها نحوه .. أما شعورها نحو زوجته فكان أقرب الى البغض منه الى الحب ! »

فقال المسيو بوارو معقباً : « لعلها كانت ترى أن زواجه من لويز لم يكن موفقاً .. أو لعلها كانت ترى من الأوفق أن يتزوجها هى الدكتور ليدنر ؟ »

فقلت له : « هذا ما أعتقد أنه رأيها ، ولا شك أن للدكتور ليدنر كل العذر فى إيثاره الزواج من لويز الفاتنة الجذابة على الزواج من الآنسة جونسون التى هى على النقيض منها ؟ »

فأومأ المسيو بوارو موافقاً وقال : « يبدو أن جمال السيدة ليدنر كان له أثر كبير فى نفوس أعضاء البعثة ؟ »

فقلت له : « هـذا ما أعتقده ، كما أعتقد أن شعور المستر كارى نحوها كان يشبه الى حد كبير شعور الآنسة جونسون ، فهو أيضاً يعمل مع زوجها منذ عهد بعيد ، ولاشك أنه ضاق كثيراً بافتنان الدكتور ليدنر صديقه بزوجته ، ومن هنا كان يعاملها بتكلف واضح ، كما كانت هى تعامله بالمثل فلا تذكر اسمه إلا مقروناً بكلمة مستر وفى شىء من الاحترام المصطنع »

وسادت بعد ذلك فترة صمت قطعها المسيو بوارو بقوله : « لم يبق لدينا غير الشبان الثلاثة : دافيد ، وريتر ، وكولمان .. وهذا الأخير يمكننا إسقاطه من الموضوع ، فهو شاب ممراح لا يعرف أحد اذا كان جاداً فى أحاديثه أم هازلا .. أما الاثنان الآخران .. فما رأيك عن شعور كل منهما نحو السيدة ليدنر ؟ »

فقلت له : « الواقع أن المستر دافيد إيموت شاب هادىء رزين ، قليل الحديث ، وقد كانت السيدة ليدنر تحسن معاملته ، وتتلطف معه منادية إياه باسمه المجرد ، كما كانت دائماً تحرص على مداعبته بالتحدث اليه عن علاقته بابنة الدكتور رايلى .. أما المستر ريتر فأعتقد أنها لم تكن دائما رحيمة به .. ويخيل إلىّ انه كان يثير اعصابها لسببما ، ولذلك كثيراً ما كانت تسخر منه ،

وتحاول ان تجعله اضحوكة بين زملائه ، فكان وجه المسكين يحمر خجلا . . على انى اعتقد انها لم تكن تتعمد القسوة عليه »

وساد الصمت فترة أخرى ، ثم نظر إلى المسيو بوارو وسألنى فجأة فى اهتمام : « هل تخشين المبيت فى منزل البعثة الليلة يا آنسة ليثران ؟ ! »

فأجبته فى شيء من الدهشة قائلة : « ليس هنـاك ما أخشاه من مبيتى هناك ، بل الواقع أننى .... » . ثم أمسكت عن إتمام العبارة اذ قطع المسيو بوارو كلامى وسألنى قائلا :

— ألم تسمعى فى بغداد بعض الشائعات عن آل ليدنر قبل أن تذهبى اليهم؟!

فأخذت أحدثه ببعض ما سمعته فى منزل آل كيلسى عن السيدة ليدنر ، وفى أثناء حديثى ، فتح الباب ، وأقبلت شيلا ، ابنة الدكتور رايلى ، تحمل فى يدهـا مضرب التنس . وكان مظهر بوارو وهو يراها ينم على أنه تقابل معها عند وصوله إلى الحسينية مباشرة . وبعد أن حيتنى بطريقتها غير الودية ، تناولت شطيرة ، وراحت تقول وهى تقضمها :

— حسناً يامسيو بوارو .. هل فرغت من كشف الغموض عن هذه الجريمة ؟

فقال لها فى هدوء : « لم تساعدنى الأقدار بعد على اتمام هذه المهمة ! »

فواصلت كلامها قائلة له : « أرى أنك أنقذت الآنسة ليثران من ذلك الجو الرهيب .. جو المأساة ! »

فقال لها : « ان الآنسة ليثران كانت تدلى إلى بمعلومات هامة عن أعضاء البعثة ، وعن الضحية ... والضحية عادة هى المفتاح الذى يفتح مغاليق الجريمة ويكشف عن غموضها ! »

وهنا قالت له الفتاة فى غير مبالاة : «هذه دلائل براعتك يامسيو بوارو.. وأعتقد أنه إذا كانت هنـاك امرأة جديرة بالقتل ، فإنها تلك الضحية التى تتحدث عنها ! »

ولم يسعنى إلا أن صحت مستنكرة وقلت لها : «هذا كثير يا آنسة رايلى!» . ولـكنها لم تزد على أن أرسلت ضحكة قصيرة قاسية !

وكان الدكتور « رايلى » قد فرغ من شواغله ، فجاء وجلس مع المسيو

بوارو ، وراحا يتبادلان الأحاديث العلميـة عن نفسيات كتاب الرسائل الخالية من التوقيع .. وأخيراً قال بوارو :

— إن تحليل نفسية كاتب مثل هذه الرسائل لا يخلو من التعقيد.. فهناك الرغبة فى السيطرة ، وهناك مركب النقص الشديد !

فأومأ الدكتور رايلى موافقاً وقال : « نعم .. ولهذا فإن مثل هذا الكاتب يكون آخر شخص يشتبه فى أمره ، إذ يكون فى الغالب شخصاً هادئاً وادعاً ليست لديه الجرأة التى تدفعه إلى أن يفصح عن نفسه .. إنه فى الظاهر إنسان لطيف متدين ، وفى الباطن شيطان مريد ! »

ففكر بوارو برهة ، ثم سأله : « هل تعتقد أن السيدة ليدنر كانت تعانى هذا اللون من مركب النقص الشديد ؟! »

فابتسم الدكتور رايلى وقال : « بل أعتقد أنهـا كانت على عكس ذلك تماماً !.. لقد كانت تتمتع بقسط وافر من الحيوية »

فقال له المسيو بوارو : « أليس من المحتمل من الوجهة النفسية أن تكون هى التى كتبت بنفسها لنفسها تلك الرسائل التهديدية ؟! »

فقال الدكتور رايلى : «هذا إحتمال غير بعيد .. وإذا كانت هي كاتبة هذه الرسائل فليس ضرورياً أن يكون هذا مرجعه شعورها بمركب نقص شديد ، والأرجح أن يكون راجعا إلى رغبتهـا فى إثارة الاهتمام بأمرها بين المقيمين معها .. أعنى أن يكون الضوء – بلغة التمثيل – مسلطا عليها دون غيرها .. ولعلها تزوجت من ليدنر لأنه يختلف عنهـا فى هذه الناحية . . أى لانه لن ينافسها فى ميدان حب الظهور ! »

فقال المسيو بوارو : « هل معنى هذا أنها لم تكتب هذه الرسائل فى غير وعى منها كما يعتقد الدكتور ليدنر ؟! »

فقال الدكتور رايلى : « لست أعتقد فى هـذا .. »

فأومأ المسيو بوارو موافقاً ، ثم سأله : « ما رأيك فى السيدة ليدنر ؟ »

فأجاب قائلا : « من العسير أن أكون رأيا صريحا عنها .. فأنا لم أتصل بها كثيراً ، ولـكنى لم أعرف أنها كانت سيدة رقيقة ذكية جذابة جداً ، وأنها لم تكن متبذلة ولا كسولا ولـكنها – وإن لم يكن عندى الدليل المادى على ذلك –

كانت كذابة كبيرة ، ولا أدرى أكان كذبها مقصوراً على نفسها أم كان يشمل غيرها .. وأيا ما كان الأمر ، فعندى أن الكذب لا ينتقض كثيراً من قدرها ، لأن المرأة التى لا تكذب تكون عادة عاطلة من الخيال ومن المشاركة الوجدانية .. كذلك لست أعتقد أن السيدة ليدنر كانت صائدة رجال ـ وإنما كانت تحب التلاعب بعواطفهم للتسلية وحدها ، ولو أنك سألت ابنتى شيلا عن رأيها فى هذا الشأن ... »



وبقيت فى منزل الدكتور رايلى ـ بدعوة منه ـ حتى موعد طعام العشاء ، ومن بعده مضيت فى طريق العودة بالسيارة إلى تل العرجة . . وراحت الخواطر تتزاحم فى ذهنى خلال عودتى .. وبرغم أنى لم أصدق كلمة واحدة مما قالته شيلا عن السيدة ليدنر ، لم يسعنى إلا التفكير فيما روته عنها ، وتذكرت إصرار السيدة ليدنر ذات يوم على ألا أصحبها فى جولتهـا بين المزارع ، ثم ساءلت نفسى : ترى أكان إصرارها على الخروج وحدها يرجع إلى رغبتها فى مقابلة المستر كارى ؟! . . وهل كانا يصطنعان تلك الكلفة التى يتعاملان بها داخل المنزل ذراً للرماد فى العيون ؟!

على أنى طردت هذه الخواطر عن ذهنى ، وقلت لنفسى إنه لا يجوز أن ارتاب فى طهارة السيدة ليدنر لا لشىء سوى اتهامات سخيفة تفوهت بها فتاة موتورة محنقة مثل شيلا !

ووقفت السيارة بى أمام باب المنزل حوالى التاسعة مساء ، فأسرع ابراهيم البواب وفتح الباب بمفتاحه الضخم ، وسمح لى بالدخول

وكانت عادتنا قبل الحادث أن نأوى إلى غرفاتنا فى ساعة متقدمة من الليل ولذلك لم أعجب حين رأيت السكون مخيما على جوانب المنزل ، والظلام منتشراً فى غرفات النوم والعمل ، فيما عدا مكتب الدكتور ليدنر ، وغرفة الرسم التى يعمل فيها المستر كارى . . فقد كان الضوء ينبعث من نافذة كل منهما . . وفيما كنت أمر أمام غرفة الرسم فى طريقى إلى غرفتى ، ألقيت نظرة إلى داخلها ، فرأيت المستر كارى مشمراً عن ساعديه ، وقد استغرق فى رسم خريطة أمامه وبدا لى كأنه مريض لفرط ما ارتسم على وجهه من دلائل التعب والاجهاد . .

فشعرت نحوه بالعطف والاشفـاق . واستـدار هو بوجهه نحوى ، ثم رفع « البايب » من فمه وقال :

— أحسنا يا آنسة ليثران .. أراك عدت من الحسينية ؟

فقلت له بعـد أن حييته : « أراك مستغرقاً فى العمل ، بينما زمـلاؤك مستغرقون فى النوم ! »

فقال :عندى أعمال متأخرة يجب إنجازها قبل الصباح ، إذ أنناسنستأنف العمل فى الحفائر غداً »

فقلت فى دهشة : « أهكذا سريعاً ؟! »

فنظر إلى فى شىء من الحيرة وقال : « إن استئناف العمل خير وسيـلة للتخفيف عن أعصابنا ، وبث العزاء فى نفوسنـا ، وقد اقتنع الدكتور ليدنر بهذه الفكرة ، ولـكنه هو نفسهسيذهب للاشراف على إجراءات دفن زوجته ثم يستأنف عمله معنا بعد عودته ! »

ولما رأيته ينكب على عمله مرة أخرى ، أخذتنى الشفقة عليه وقلت له : إذا كنت فى حاجة إلى جرعة منومة ، فانى ...» فقطععبارتى قائلا وهو يهز رأسه ويبتسم فى شحوب : شكراً لك يا آنسة ليثران .. إننى لا أحب الجرعات المنومة حتى لا أتعودها ! »

فحييته وهممت بالانصراف إلى غرفتى ، لـكنى توقفت وقلت له :

— إننى أرثى حقاً لـكل إنسان هنا .. فالأمر فظيع .. وإن أسفى لأشد من أجلك أنت ياسيدى ، لأنك الصديق القـديم الحميم للدكتور ليـدنر وزوجته !

فرفع وجهه الشاحب عن الخريطة التى أمامه وقال لى فى صوت جاف : « الواقع أننى صديق قديم للدكتور ليدنر وحده ! »

وتمنيت لو أن شيلا سمعت معى عبارته هـذه لتدرك خطأ ما زعمته عن وجود علاقة حب بينه وبين السيدة ليدنر .ثم كررت له تحية المساء، وهرعت إلى غرفتى ، حيث غسلت بضعة منـاديل صغيرة ، وقفازى المطاط ، وكتبت بضعة اسطر فى مفكرتى ، ثم ارتديت ملابس النوم ، ومضيت إلىالباب لأغلقه وعندئذ رأيت الضـوء مازال منبعثاً من نافذة غرفة الرسم ، ومن مكتب

الدكتور ليدنر .. فوقفت هنيهة مترددة . وخطر ببالي أن أمضي إلى الدكتور ليدنر لأطمئن عليه ، وأسأله إن كان في حاجة إلى شيء . . وأخيراً تغلبت على ترددي ومضيت إلى غرفته ، وشد ما كانت دهشتي حين لم أجده هناك ، وإنما وجدت الآنسة جونسون مكبة على وجهها فوق المكتب ، وقد استغرقت في بكاء عنيف !

وهرعت اليها وأنا أشد ما أكون حزنا عليهـا وشفقة بها ، ثم قلت وأنا أربت كتفها في حنان : « ماذا بك يا عزيزتي ؟! ماذا حدث .. ؟! »

واستمرت هي في بكائها العنيف ، فأردفت قائلة لها : « كفي بكاءياعزيزتي تمالـكي نفسك .. لسوف أمضي وأجهز لك قدحا من الشاي ! »

وهنا رفعت رأسها وقالت والعبرات تتسابق على وجنتيها : «لا..ياعزيزتي إنمى شكرا لك .. ليس بي شيء !.. انها حماقة مني لا أكثر ! »

فسألتها : « إذن .. ماالذي أبكاك ياعزيزتي : »

ولم تجب على الفور ، وإنما صمتت قليـلا ثم قالت : « إن الأمر أفظع مما يتصوره العقل ! »

فقلت لها : « لقد حدث ماحـدث ياعزيزتي ، ولا يجمل بك أن تشغلي نفسك بما لا فائدة من التفكير فيه . ومن الخطر على صحتك مثل هـــذا الاستسلام للحزن والبكاء !

فاعتدلت في جلستها ، وقالت وهي تسوي شعرها : « إنني شديدة الحماقة ياعزيزتي !.. فقد كنت أرتب المكتب وأنظفه حين غمرتني الذكريات فجأة »

فأخـذت أخفف عنها ، ثم أعددت لها قدحا من الشاي ، وزجاجة ماء ساخن وضعتها عنـد قدميها في سريرها ، ولما هممت بالانصراف بعد اطمئناني عليها ، قالت لي في تأثر عميق : « شـكراً جزيلا لك يا أختاه ! . . إنك فتاة كريمة رقيقة .. وأرجو أن تغفري لي حماقتي الليلة .. فاني لا أرتكب حماقة البكاء دائماً ! »

فقلت لها : « لا لوم عليك ياعزيزتي .. إن كل إنسان عرضة لمثل هذا ، ثم إن الحادث وما تلاه من تحقيقات قد أثر في أعصابنا جميعاً ! »

وهنا قالت في بطء وهدوء : « لقد نطقت صوابا يا آنسة ليثران بقولك

إن ماحـدث قد حدث ولا سبيل إلى إصـلاحه ! » . وبعد أن سكتت هنيهة أردفت قائلة : « إنها لم تكن أبداً امرأة طيبة ! »

ولم أرغب فى مناقشة رأيها ، لعلمى بأنها كانت تبغض السيدة ليدنر ، على أنى ساءلت نفسى : ترى هل اغتبطت الآنسة جونسون بمقتل السيدة ليدنر؟.. ولـكنى خجلت من التفكير فى مثل هذا الاحتمال .. وقلت لها أخيراً :

— يحسن أن تستغرقى فى النوم ، وأن تتجنبى الأفكار السوداء حرصاً على راحة أعصابك !

وفيما كنت أرتب الغرفة ، وأعيـد بعض الأشياء إلى مواضعها ، رأيت قصاصة مكورة من الورق ملقاة على الأرض ، فانحنيت وتناولتها وبسطتها فى يدى متأملة فيهـا ، وفيما أنا كذلك فوجئت بالآنسة جونسون تختطف تلك الورقة من يدى قائلة فى صوت حاد : « كلا !.. كلا ! » . فنظرت اليهـا فى دهشة بالغة ، ولـكنها انصرفت عنى إلى حيث أحرقت تلك القصاصة على نار القنديل ، ولم تكن الفرصة قد أتيحت لى لقراءة كل العبارات المكتوبة فيها ، على أنى حينما أويت إلى فراشى تذكرت فجأة أننى رأيت خطاً يشبه الخط الذى كتبت به ، هو خط الرسائل التهديدية التى كانت السيدة ليدنر تتلقاها !.. وهكـذا أخذت أسأل نفسى : « ترى هل الآنسة جونسون هى كاتبة تلك الرسائل ، وهل كان بكاؤها وحزنها نتيجة ندمها بعد إذ تبينت ما فى تصرفها من قسوة وإجرام ؟! »

والواقع أنى صدمت بهذا الاحتمال صدمة نفسية شديدة ، ذلك أنه لم يخطر ببالى أن تكون هناك أية علاقة للآنسة جونسون الفتاة المهذبة المثقفة بمثل ذلك التصرف الخبيث !

وقلت لنفسى أخيراً : إذا كانت الآنسة جونسون هى كاتبة تلك الرسائل، فهذا يلقى بعض الضوء على الجريمة الغامضة التى ذهبت بحياة السيدة ليدنر ، ولست أعنى بذلك أن الآنسة جونسون هى القاتلة ، وإنما أعنى أن حقدها على السيدة ليدنر هو الذى دفعها إلى كتابة تلك الرسائل لبث الرعب فى نفسها ، وتحطيم أعصابها ، وأخيراً لإرغامها ـ بطريقة غير مباشرة ـ على مغادرة تل العرمجة !.. ثم لما انتهى الأمر بتلك الجريمة الوحشية المروعة ، لم يسع الآنسة

جونسون إلا أن تشعر بالندم الشديد على كتابتها تلك الرسائل التهديدية القاسية، ولا سيما أن القاتل الحقيقي اتخذ منها ستاراً اختفى خلفه !

وأكد هذه الاحتمالات كلها ، ترديد الآنسة جونسون في ارتياح للعبارة التي واسيتها بها وهي أن ما حدث قد حدث ولا سبيل إلى اصلاحه ، ثم قولها بعد ذلك عن السيدة ليدنر : « إنها لم تكن امرأة طيبة ! »

وأخذت أتقلب في فراشي فترة طويلة ، وأنا في حيرة ازاء هذا الأمر ثم عقدت العزم ، على أن أخبر المسيو بوارو بهذه الاحتمالات الجديدة في أول فرصة

وفي اليوم التالي لم تتح لي فرصة للحديث معه على حدة ، إلا فترة قصيرة همس خلالها إلي قائلا :

— سأتحدث مع الآنسة جونسون ، وبقية أعضاء البعثة إن أمكن في في غرفة الجلوس ، فهل تحتفظين معك بمفتاح غرفة السيدة ليدنر ؟

ولما أجبته بأن مفتاح هذه الغرفة ما زال معي ، واصل همسه فقال :

— حسنا جداً . . اذهبي إذن الى هذه الغرفة ، واغلقي بابها عليك ، ثم أطلقي صيحة تنم عن التوجع والدهشة ، لا صيحة فزع رهيب . . فاذا سمعناك ، فازعمي أنك تعثرت وكدت أن تسقطي على الأرض . . أو شيئا من هذا القبيل !

وقبل أن استوضحه السبب ، أقبلت الآنسة جونسون إلى حيث كنا في فناء المنزل ، فقطع المسيو بوارو حديثه معي ، ثم مضى معها إلى غرفة الجلوس . بينما مضيت أنا لتنفيذ ما أشار به ، وقد أدركت أنه يريد أن يعرف هل يمكن لمن في غرفة الجلوس أن يسمع صيحة متوسطة تطلق في غرفة السيدة ليدنر . . !

وما كدت أغلق باب الغرفة ورائي ، حتى جاهدت للسيطرة على أعصابي، ثم أرسلت « آهة » خافتة ، أردفتها بصيحة متوسطة، فصيحة أكثر ارتفاعاً . . ثم فتحت باب الغرفة وغادرتها قاصدة إلى غرفة الجلوس ، وقد أعددت نفسي لتفسير سبب صيحتي إذا سئلت عنها . . وهناك وجدت المسيو بوارو منهمكا في الحديث مع الآنسة جونسون ، ولم يبد عليهما أنهما سمعا صيحاتي ، فأيقنت أن الآنسة جونسون كانت واهمة حين سمعت صيحة خافتة وقت وقوع الحادث،

أو أن الصيحة التى سمعتها لم تكن صادرة من غرفة السيدة ليدنر . ولم ارغب فى أن أقطع عليهما الحديث ، فجلست على مقعد من القماش فى الدهليز المسقوف بالقرب من باب غرفة الجلوس. ولكن حديثهما كان يصل إلى أذنى بوضوح ، فسمعت المسيو بوارو يقول لها :

— إذن .. كان الدكتور ليدنر شديد الحب لزوجته ؟

فأجابته قائلة : « نعم .. كان يحبها إلى درجة العبادة ! »

فقال لها : « لقد أخبرنى أنها كانت محبوبة من جميع زملائه ، وعندى أن وجهة نظره فى هذا الشأن يجب ألا تؤخذ قضية مسلمة . فلعل أعضاء البعثة كانوا يحبونها بدافع من المجاملة فقط . وعلى كل حال أرجو أن تساعدينى فى الوقوف على حقيقة رأى كل منهم فى السيدة ليدنر ، وبذلك أستطيع أن أرسم لها فى ذهنى صورة كاملة عنها تلقى بعض الضوء على غموض الجريمة ولاشك أن غياب الدكتور ليدنر فى الحسينية اليوم ، مما يتيح الفرصة للأعضاء كى يذكروا آراءهم فى صراحة أكثر »

فقالت له الآنسة جونسون : « هذا كله ياسيدى لا بأس به ، ولكن .. »

ثم سكتت فقال يستحثها : « أرجو ألا تقيمى وزنا للتقليد المعروف عن احترام الموتى وعدم ذكرهم بسوء .. فإن هذا التقليد يضر بسير التحقيق أشد الضرر . إنه يخفى الحقيقة ، وقد يساعد المجرم على الهرب من يد العدالة »

فترددت الآنسة جونسون قليلا ثم قالت له :

— حسنا يا مسيو بوارو . . . سأكون صريحة معك كما تريد وبهذه الصراحة أقول إننا جميعاً نحب الدكتور ليدنر ونعجب به ونتفانى فى خدمته . ولذلك شعرنا بالغيرة من زوجته حين أقبلت لمشاركته الحياة هنا فى منطقة الحفائر . بل شعرنا بالنفور منها أيضا .. لأنها كانت تأخذ من وقته ومن اهتمامه بالعمل أكثر مما ينبغى .. وكان حبه لها وشدة افتتانه بها مما يثير أعصابنا ويغيظنا .. وأقولها فى صراحة يامسيو بوارو أنى كنت شديدة الضيق بوجودها بيننا ، ولكنى كنت أحرص على إخفاء شعورى نحوها ، وكذلك المستر كارى !

وهنا سمعت المسيو بوارو يردد فى دهشة : « المستر كارى ؟ » . بينما



وقالت الآنسة جونسون : « حسناً ياسيد
بوارو . . سأكون صريحة معك كما تريد »

واصلت الآنسة جونسون كلامها فقالت :

— نعم .. لقد كنا ـ هو وأنا ـ صديقين قديمين حميمين للدكتور ليدنر قبل أن يتزوج منها ، ولما تم زواجه بها وأحضرها معه للحياة معنا ، ضقنا بوجودها ، وشعرنا بأنها دخيلة على حياتنا ، ولاشك أن شعورنا هذا لا يخلو من الأثرة .. ولكن هذا هو الواقع !

فسألها : « ماذا كان لون حياتكم قبل وجودها بينكم ؟! »

فأجابت : « كانت أسباب السعادة والبهجة والمرح تخيم علينا ، وكنا نتبادل الفكاهات ، والأحاديث في جو من الود الخالص ، والصداقة الرائعة .. وكان الدكتور ليدنر شديد المرح بطبعه وكأنه تلميذ سعيد في رحلة مدرسية »

فقال لها : « هل تغير هذا كله عند حضور السيدة ليدنر للاقامة معكم ؟»

فقالت : « نعم .. ولكنى أعتقد أن الخطأ لا يرجع اليها .. ولم تكن الحالة بالغة السوء في الموسم الماضي ، وأرجو أن تدرك تماما يامسيو بوارو أنها لم ترتكب بنفسها ما أفسد الحياة هنا .. بل على العكس . . كانت لطيفة جذابة مهذبة ، ولا سيما معى أنا ، وهذا مايضاعف خجلى وأنا أتحدث عنها بصراحة قاسية فالواقع أن وجودها بيننا برغم لطفها وجاذبيتها وحسن معاملتها قد غير كل شيء في عملنا بالحفائر ، كما كان له أسوأ الأثر في نفوسنا وأمزجتنا وأعصابنا فصرنا نعيش في قلق وكأننا نترقب هبوب إعصار مدمر ! »

فسألها المسيو بوارو « ألا يمكن أن تصفى لى أخلاق السيدة ليدنر وطبيعتها ومزاجها ؟ ! »

فترددت هنيهة ثم قالت في بطء : « كانت هوائية المزاج ، تغضب بسرعة ، ولكنها تكتم غضبها ، وتبتهج بسرعة أيضاً ، تبدو حيناً سعيدة مرحة ، وحيناً آخر شقية مكتئبة !.. ولكنها كانت دائماً طيبة القلب تعطف على الجميع . . ورغم ذلك كان يبدو أنها عاشت مدللة طيلة حياتها .. فقد كانت تنظر إلى خضوع الدكتور ليدنر لها ، وتفانيه في حبها ، على أنه أمر طبيعى .. وأكبر ظنى أنها لم تكن تعرف تماما أى رجل عظيم نابغ موهوب زوجته . . . وكان جهلها بقيمة زوجها يغيظنى ويثير أعصابى . . وأخيراً كانت مرهفة الأعصاب إلى درجة شديدة ، وكانت تتوقع وقوع أشياء رهيبة تملأ نفوسنا

بالفزع ، ولقد سررت حين حضرت الآنسة ليثران لرعايتها حتى يتفرغ الدكتور ليدنر لأعماله وشواغله »

فسألها : ماهو رأيك الخاص فى تلك الرسائل التهديدية التى كانت تتلقاها

وهنا انحنيت فى مقعدى حتى تلتقط أذناى كل كلمة تنساب من شفتيها ، وحتى تلتقط عيناى كل ما يرتسم على وجهها من أمارات أثناء حديثها .. وقد كان وجهها ينم عن الهدوء والثبات وهى تجيب قائلة :

— أعتقد أن شخصاً ما فى أمريكا كان يحقد عليها ويحاول إزعاجها وبث الفزع فى نفسها .. هذا هو رأيي .. فقد كانت امرأة بالغة الجمال .. وإذا كان الجمال الباهر يثير الإعجاب بين الرجال ، فانه أيضاً يثير الأحقاد بين النساء .. وعلى هذا لا يبعد أن يكون ذلك الشخص الحاقد امرأة موتورة منها ، لجأت إلى هذه الوسيلة للانتقام .. ولما كانت السيدة ليدنر مرهفة الأعصاب بطبعها ، فقد نجحت هذه الوسيلة معها كل النجاح !

فقال لها المسيو بوارو : « لكن ما رأيك فى أن الرسالة الأخيره وضعت فى غرفتها باليد ؟ »

فأجابت على الفور بقولها : « من الممكن أن تكون تلك المرأة الحقود المقيمة فى أمريكا قد كلفت شخصاً معيناً فى العراق أن يضع هذه الرسالة الأخيرة فى غرفة السيدة ليدنر ، وذلك إمعانا فى إزعاجها ! »

وهنا قلت لنفسى : « نعم .. هذه حقيقة لاشك فيها » . ثم سألها المسيو بوارو :

— يقال إن هناك علاقة مودة خاصة بين الآنسة رايلى وبين أحد أعضاء البعثة فما رأيك فى هذا ؟

فابتسمت الآنسة جونسون وأجابت قائلة : « المعروف أن بيل كولمان ودافيد إيموت يتنافسان فى محاولة كسب مودتها .. وأظن أن المنافسة بينهما تكون على أشدها فى أمسيات أيام السبت حيث تقام الحفلات الراقصة بالنادى بالحسينية .. وقد تعود الشابان أن يذهبا الى هذه الحفلات .. ولكنى لاأعتقد أنها شديدة الاهتمام بأحدهما .. فانها تكاد تكون الفتاة الجميلة الوحيدة فى هذه المنطقة ، ولذلك يتنافس فى التقرب اليها جميع الضباط الشبان بالمعسكر الجوى القريب »

فقال لها : « إذن .. أنت لاتعتقدين أن هناك علاقة خاصة بينها وبين أحد الشابين ؟! »

فقالت بعد تفكير قليل : « نعم .. لاأعتقد هذا .. صحيح انها تحضر احيانا إلى منطقة الحفائر ممتطية جوادها ، ولكنها تفعل ذلك للرياضة .. على ان السيدة ليدنر كانت تعابث دافيد إيموت منذ بضعة أيام زاعمة له أن شيلا تطارده وتحاول اصطياده .. وهو زعم لايليق أن يصدر عن سيدة مهذبة على كل حال ! »

ثم سكتت هنيهة وأردفت قائلة : « كنت أشعر أن دافيد يضيق بهذه المعابثة، ولا شك أنه محق فى هذا . . والواقع أنه شاب رزين هادىء تتمنى أية فتاة عصرية أن تتخذه زوجاً ، ولكن حضور الآنسة شيلا إلى منطقة الحفائر لم يكن يعنى شيئاً من ذلك فيما أعتقد ، وقد رأيتها من هذه النافذة حين ذهبت بعد ظهر ذلك اليوم المشئوم إلى منطقة الحفائر . ولم يكن الشابان هناك إذ كان كولمان فى الحسينية ، وكان إيموت يقوم بعمله فى الفناء كما تعلم . . ولم يكن فى منطقة الحفائر حينئذ غير مستر كارى .. ومن المحتمل أن يكون لها ميل خاص نحو أحد الشابين . . ولكنها لا تكشف عن شعورها بسهولة ، ولا أعرف أى الشابين هو صاحب الحظوة عندها »

ثم نظرت إلى المسيو بوارو فى تساءل وأردفت قائلة : « هل لهذا كله أية علاقة بالجريمة ؟! »

فابتسم وقال لها بعد أن تنهد : « لست أدرى تماماً حتى الآن ، لكنى على كل حال مشغوف دائما بسماع أخبار الحب ، ولاسيما إذا كان هذا الحب متبادلا ، لا تعترضه العقبات ! »

ودهشت من تنهد المسيو بوارو، ثم من تنهد الآنسة جونسون بدورها ، وساءلت نفسى : ترى هل وقع لها حادث غرامى فى شبابها ؟ وهل للمسيو بوارو زوجة فى لندن ، وعشيقة فى مكان آخر كما هو الشأن مع أغلب الرجال الفرنسيين ؟!

ثم نهض المسيو بوارو أخيراً وهو يقول : « هل فى المنزل الآن أحد من أعضاء البعثة ؟ »

فقالت الآنسة جونسون : « أعتقد أن مارى ميركادو هنا . . أما الرجال

جميعا فإنهم فى منطة الحفائر ، وأظن أنهم يحاولون جهدهم الابتعاد عن جو هذا المنزل ، ولهم العذر .. لـكن إذا رغبت فى الذهاب إليهم ، فإن . . »

وهنا كانت الآنسة جونسون قد وصلت إلى حيث أجلس فى الدهلىز ، فابتسمت وقالت للمسيو بوارو مشيرة الى : « إن الآنسة ليثران لن ترفض أن تصحبك إلى منطقة الحفائر إذ أردت ! »

فقلت لها على الفور : « هذا يسرنى يا آنسة ولا شك »

ثم قالت له : « أرجو يا مسيو بوارو أن تتفضل بتناول الغداء معنا » . فقال لها : « يسعدنى أن أقبل هذه الدعوة يا آنسة وشكراً لك » . وعلى أثر ذلك عادت إلى غرفة الجلوس حيث عكفت على انجـاز بعض أعمالها . فقلت للمسيو بوارو :

— إن السيدة ميركادو على سطح المنزل .. هل تحب أن تتحدث إليها أولا؟

فأومأ موافقا وقال : « نعم .. هيا نصعد إليها ! »

وفى أثناء صعودنا إلى السطح ، قلت له « هل سمعت صيحتى فى غرفة السيدة ليدنر ؟ » . فأجاب بقوله : « لا . . لم أسمع شيئا مطلقا ! »

فقلت له : « هذا يخفف الشعور بالندم فى نفس الآنسة جونسون .. فهى تعتقد أنه كان فى وسعها أن تفعل شيئا لو أنها اهتمت بالصيحة التى توهمت أنها سمعتها ! »

ووجدنا السيدة ميركادو جالسة على السياج الحجرى للسطح مطرقة وقد استغرقت فى التفكير ، فلم تشعر بنا حتى وقف بوارو أمامها وألقى عليها تحية الصباح، فرفعت رأسها ونظرت الينا مجفلة ،فبدا وجهها الصغير شاحباً وبرزت الخطوط القاتمة تحت عينيها .وبعد أن ردت التحية فى صوت ضعيف ، قال لها المسيو بوارو :

— لقد حضرت اليوم ياسيدتى لأسباب خاصة !

ثم أخذ يمهد لأسئلته بمثل المقدمةالتى مهد بها لحديثهمع الآنسة جونسون مؤكداً أن هـدفه الوحيد هو أن يرسم لنفسه صورة كاملة الجوانب للسيدة ليدنر . على أن السيدة ميركادو لم تكن صريحة فى التعبير عن رأيهـا مثل الآنسة جونسون ، فقد أخذت تكيل المديح المصطنع للسيدة ليدنر قائلة :

— يالويز العزيزة ! . من العسير أن يصفها أحد لشخص لم يعرفها لقد كانت ملاكا فى شكل إنسان .. أليس كذلك يا آنسة ليثران ؟ . صحيح أنها كانت تعانى توتراً فى أعصابها المرهفة ، كما كانت تتوهم أشياء عجيبة مزعجة ولكن الانسان لايسعه إلا أن يحتمل منها مالا يستطيع أن يحتمله من غيرها فقد كانت رقيقة لطيفة معنا جميعاً ، أليس كذلك يا آنسة ليثران ؟! . وكانت شديدة التواضع .. لاتجد بأساً فى أن تسأل زوجى عن الطرق الكيميائية التى تزال بها الأقذار عن الآثار ، ولا تستنكف من العمل فى إصلاح الأوانى وإعادة تركيبها .. فلا عجب إذا أحببناها جميعاً كل الحب !

فقال لها المسيو بوارو : « إذن . . لم يكن حقا ياسيدتى ما سمعته من أن أعضاء البعثة كان تخيم عليهم هنا جو مشحون بالمشاعر المضطربة والأعصاب المتوترة ؟!»

فاتسعت عيناها فى دهشة مصطنعة وتمتمت وهى تنظر إلى :

— من زعم هذا يا آنسة ليثران ؟! أهو الدكتور ليدنر ؟! لا .. فقد كان المسكين غافلا عن كل شىء !

ثم أرسلت إلى نظرة حادة ، جعلت بوارو يبتسم ويقول لها فى مرح : « إن لدى قسما خاصا للمخابرات والتجسس يا سيدتى ! »

فطرفت بعينيها ، ثم قالت بصوت يقطر بالرقة المفتعلة :

— ألا تعرف أن عادة بعض الناس بعد وقوع جريمة كهذه أن يزعموا أنهم كانوا يشعرون سلفا بوقوع « كارثة » ، وما إلى هذه المزاعم الوهمية ؟!

فأومأ موافقا وقال : « نعم يا سيدتى ، كثيراً ما يحدث هذا ..! »

فواصلت كلامها قائلة : « أؤكد لك أننا كنا جميعا سعداء قبل وقوع الجريمة ! »

ولم يعقب المسيو بوارو بشىء على هذا الادعاء ، وما كدنا نغادر المنزل بعد ذلك فى طريقنا إلى منطقة الحفائر حتى قال لى وهو يبتسم :

— إن هذه المرأة أكبر كذابة محترفة رأيتها فى حياتى !.. ولا شك أنها كانت زاخرة القلب بالحقد على السيدة ليدنر ، على أن الحديث معها لايفيد !

ثم سكت هنيهة مفكراً ، وقال وكأنه يحدث نفسه : « لماذا كانت تبدو

خائفة ؟... ان الخوف كان يطل من عينيها وهى تتحدث إلى !.. ما الذى يخيفها يا ترى ؟! »

وهناك أخبرته بكل ما رأيته وسمعته عقب عودتى إلى المنزل مساء اليوم السابق . وعبرت له عن شكى فى أن تكون الآنسة جونسون هى كاتبة رسائل التهديد . ثم اختتمت حديثى قائلة : « أعتقد أنها كانت كاذبة فى حديثها معك اليوم عن هذه الرسائل »

فقال لى : « الواقع أنها اعترفت من حيث لا تشعر بأنها كانت تعرف أمر هذه الرسائل .. فى حين أن أمر هذه الرسائل لم يكن شائعا بين جميع أفراد البعثة .. ومن المحتمل طبعا أن يكون الدكتور ليدنر قد أخبرها بذلك أمس .. فانهما صديقان قديمان .. فاذا لم يكن قد أخبرها ، فإن الأمر يدعو إلى الشك ! »

فسألته : « أتعتزم أن تستجوبها فى هذا الموضوع ..؟! »

فقال : « لا .!.. من الخطر أن يكشف المحقق أوراقه أمام المشتبه فى أمرهم ... إننى أحتفظ بجميع المعلومات والدلالات هنا ! » ثم أشار إلى رأسه ، واستطرد بعد هنيهة فقال :

« وفى اللحظة المناسبة سأطلق هذه المعلومات كما يطلق الطفل عفريت العلبة » ..!



ولما بلغنا أول منطقة الحفائر ، رأينا المستر ريتر مشغولا بالتقاط بعض الصور لإحد الجدران الأثرية . فانتظرنا حتى فرغ من عمله وسلم آلة التصوير والألواح إلى مساعده لمضى بها إلى المنزل ، ثم أخذ بوارو يتحدث قليلا معه عن فن التصوير الحديث ، وبدأ السرور على وجه الشاب وهو يتبادل الحديث فى موضوع من صميم عمله .. حتى إذا أوشك أن يستأذن لمضى ، بدأ بوارو يمهد لأسئلته بالمقدمة المعروفة التى كانت تختلف قليلا باختلاف الأشخاص ، وقبل أن ينتهى من حديثه ، قال ريتر له :

— إننى أفهم ماذا تعنى يامسيو بوارو .. ولكننى لا أستطيع أن أحقق رجاءك على الوجه الأكمل ، فانى حديث العهد هنا . ولم أكن أتبادل الحديث كثيراً مع السيدة ليدنر !

فابتسم المسيو بوارو وقال له : « إنك تستطيع – على الأقل – أن تخبرنى عن شعورك نحوها .. أعنى هل كنت تكرهها أم تميل اليها ؟ ! »

فتضرج وجه ريتر بالحمرة ثم قال متلعثما : « إنها كانت . كانت سيدة جذابة .. لطيفة .. نعم .. وذكية .. عاقلة .. نعم ... »

فقال له : « حسناً !.. إذن كنت تميل اليها ، وكانت تميل اليك ؟

فازداد احمرار وجه الشاب وقال : « لا أعتقد أنها كانت تهتم بى مطلقاً .. فقد كان التوفيق يخطئنى كلما حاولت أن أصنع لها شيئاً . وأعتقد أن فشلى فى خدمتها كان يثيرها ويشعرها بالضيق ! »

فسأله المسيو بوارو : « هل كان جو الحياة هنا قبل الحادث ، زاخراً بأسباب البهجة والمرح ؟ ! »

فأجاب بقوله : « بل أعتقد أن الجو كان أقرب إلى الجمود والوجوم منه إلى المرح والبهجة ! » . ثم أردف قائلا فى خجل :

— إننى لست اجتماعياً بطبعى يامسيو بوارو . . ولهذا لم أكن على صلة وفاق ومودة مع زملائى جميعا .. إننى خجول ، لا أحسن الحديث والفكاهة بل إننى اخطىء فى أحاديثى وأقول عكس مايجب . . وكنت أحطم فى طريقى بعض الأوانى الأثرية عن غير قصد .. على أن الدكتور ليدنر كان شفيقا بى برغم هذا كله !

فابتسم بوارو له فى عطف ، ثم حياه شاكراً له صراحته . . وبعد أن انصرفنا قال لى :

— إن هذا الشاب إما أن يكون ساذجا جداً ، وإما أن يكون ممثلا ماكراً !

ولم أجب بشىء فقد خامرنى الشعور – مرة أخرى – بأن واحداً من أعضاء البعثة هو القاتل الدموى الرهيب ، وألح على ذهنى من جديد ذلك السؤال : « من هو القاتل من بين هؤلاء ؟ ! »

٩

القناع الرهيب

دق الجرس داعياً إلى طعام الغداء فغادرت غرفتي ، ورأيت دافيد إيموت يغادر غرفته ومعه المسيو بوارو ، ثم سرنا جميعاً عبر الفناء في طريقنا إلى غرفة الطعام ، وقبل أن نبلغ بابها ، ظهر الأب ليفيني في مدخل غرفته ، وأشار بيده إلى المسيو بوارو يدعوه ، فذهب هذا اليه ، ودخل الغرفة معه ، بينما مضيت مع دافيد إلى غرفة الطعام حيث وجدنا فيها الآنسة جونسون والسيدة ميركادو ، وبعد لحظات أخرى ، أقبل علينا المستر ميركادو وبيل كولمان ، وكارل ريتر ...

وفيما كانت السيدة ميركادو تطلب من الخادم استدعاء الأب ليفيني والمسيو بوارو إلى تناول الطعام ، فوجئنا بصيحة خافتة ، بعثت الفزع في نفوسنا جميعاً ، فقفزت الآنسة جونسون صائحة بصوت مرتعد : « ماذا حدث ؟! » . فسارعت إليها السيدة ميركادو قائلة لتهدئ من روعها : « لا شيء يا عزيزتي !.. ان هذه الصيحة التي سمعناها آتية ولا شك من المزارع البعيدة ! » . وفي تلك اللحظة أقبل بوارو يصحبه الأب ليفيني ، وقال الأول للآنسة جونسون : « معذرة يا آنسة !.. لقد كان الأب ليفيني يشرح لي بعض المخطوطات ، وفيما أنا أفحص إحداها بقرب النافذة زلت قدمي وآلمتني السقطة فأطلقت تلك الصرخة المزعجة ! »

فقالت السيدة ميركادو « حسبنا أن هناك جريمة قتل أخرى! ». وهتف بها زوجها عاتباً : « ماري .. هل جننت ؟! » . فلم يسعها إلا السكوت ، بينما غيرت الآنسة جونسون مجرى الحديث إلى الآثار الجديدة ، بعد أن اتخذنا جميعاً مقاعدنا إلى المائدة وهكذا تناولنا الطعام والقهوة ، ثم قضينا فترة استراحة في غرفة الجلوس . عاد الرجال بعدها إلى منطقة الحفائر ، فيما عداي والاب ليفيني والمسيو بوارو ، فقد ذهبنا إلى غرفة حفظ الآثار ، وهناك عبر

بوارو عن شديد اعجابه بالكأس الذهبية التى عثرت عليها البعثة ودقة نقوشها ، فوافقه الأب ليفيني ، وراح يشرح له فى حماسة مواطن الجمال فى صناعة الكأس ، بينما أخذت أنا أتأملها ثم قلت : « ليس عليها اليوم أى أثر للشمع ! »

فنظر بوارو إلىّ مدهوشاً وتمتم : « الشمع ؟ ! » . وكذلك أخذ الأب ليفيني يردد هذه الكلمة وهو لا يقل عنه دهشة . . فأخذت أروى لهما كيف لاحظت السيدة ليدنر آثاراً من الشمع على هذه الكأس حين دعتنى إلى مشاهدتها أول مرة ، فقال الأب ليفيني معقباً : « لاشك أنها كانت تعنى قطرات سقطت على الكأس من شمعة القنديل! » . ثم تغير مجرى الحديث ، وأخذ الأب ليفيني والمسيو بوارو يناقشان بعض الآراء الفنية باللغة الفرنسية ، بينما عدت أنا إلى غرفة الجلوس ، ثم لحقا بى بعد قليل ، وكانت السيدة ميركادو هناك ترفو بعض جوارب زوجها ، والآنسة جونسون تقرأ فى كتاب . ثم استأذن الأب ليفيني فى العودة إلى غرفته لإنجاز بعض الأعمال ، فلما خرج أخذ المسيو بوارو يسأل الآنسة جونسون عما تعرفه عن نشاطه فى فحص المخطوطات الأثرية ، فقالت : « إنهم لم يعثروا إلا عن عدد يسير منها ، أكثرها ألواح حجرية ، وقد أنجز الأب ليفيني فحصها ، كما أنه يتقدم بسرعة فى دراسة اللهجات العربية »

ثم تشعب الحديث إلى طريقة نقل النقوش والكلمات على صحائف من اللدائن الشمعية والمعاجين الخاصة .. ورأت الآنسة جونسون أن توضح لنا هذه الطريقة بطريقة عملية فنهضت وتناولت من إحدى الخزائن قضيباً من لدائن الشمع ، ثم أحضرت صحيفة كاملة من معجون الطباعة فبسطته على لوحة صغيرة أثرية ، فإذا ما عليها من نقوش وكلمات قد نقلت ـ بأمانة ـ إلى صحيفة المعجون اللدن

وفيما هى ماضية فى شرح هذه الطريقة ، أخذ المسيو بوارو يتأمل بدقة قطعة من لدائن الشمع ، ثم قال للآنسة جونسون : « يبدو أنكم تستهلكون كمية كبيرة من هذه اللدائن الشمعية ؟ »

فقالت : « الواقع أننا استهلكنا كمية كبيرة منها فى هذا العام ، ولست أدرى لماذا . ! »

فسألها : « أين تحتفظون بهذه اللدائن ؟ » فقالت : « هنا فى هذه الخزانة ! » . ثم فتحت باب الخزانة وأطلعته على صحائف اللدائن المختلفة ، فانحنى بوارو

يفحص بعضها وهى داخل الخزانة ، ثم تناول من بينهـا شيئاً وهو يقول فى دهشة : « ما هذا يا آنسة ؟! » . وأخرج يده من الخزانة فاذا فيها قطعة من اللدائن الجافة مصنوعة على شكل قناع مما يستعمل فى الحفلات التنكرية ..وكان القناع يمثل وجهاً أصفر مشوه التقاطيع ، فما كادت الآنسة جونسون تراه حتى صرخت فى دهشة وفزع : « ماهذا ؟ . . إننى لم أر هـذا الشىء من قبل . . لماذا وضع هنا ، ومامعناه ؟! »

وقال المسيو بوارو فى هدوء : « لاشك أن محتويات الخزانة لاتحصى عادة إلا فى نهاية الموسم ، وعلى ذلك وضع هذا القناع هنا لاخفائه حتى ذلك الوقت أما معناه فيفسره حادث الوجه الأصفر المشوه ، الذى ذكرت السيدة ليدنر إنه كان ينظر اليها من وراء زجاج النافذة ذات ليلة ! ».

وهنا ندت عن شفتى السيدة ميركادو صيحة فزع ، بينما غاضت الدماء من وجه الآنسة جونسون وقالت : « إذن .. لم يكن الأمر وهما كما حسبنا ؟! . . بل كان نتيجة لدعابة ثقيلة شريرة .. ترى من يكون ذلك المداعب السمج؟ ! »

ولم يجب بوارو بشىء ، وإنما ذهب إلى الغرفة المجاورة ثم عاد بصندوق من الورق المقوى ، فوضع فيه القناع ، وقال : « يجب أن نقدم هـذا القناع إلى رجال البوليس .. فقد يكون الأمر أخطر من دعابة ثقيلة ! »

وفى هذه اللحظة أقبل الدكتور ليدنر فى سيارته ، ثم هبط منها فى فنـاء المنزل ، وجاء الينا فى الغرفة حيث قال بصوت هادىء حزين :

— ستشيع الجنازة غـداً فى الساعة الحادية عشرة صباحا ... وسيتولى المراسم الدينية الميجور ديان !



شيعت جنازة السيدة ليدنر فى اليوم التالى باحتفال مهيب اشترك فيه جميع أعضاء البعثة والأجانب المقيمين ببلدة الحسينية ، وبعد عودتنا إلى منزل البعثة، تبعت الدكتور ليدنر إلى غرفة مكتبه ، وبدأت أمهد للحديث عن رغبتى فى الرحيل ، وقد أبى إلا أن يبالغ فى شكره على ماقمت به نحو زوجته الراحلة ، ثم أصر على أن يمنحنى مرتب أسبوع زيادة على حقى ،قائلا : «إنك قمت بواجبك خير قيام .. فالواقع أن مهمتك لم تكن حراسة الفقيدة العزيزة .. ويكفى أنها

أحبتك منذ عرفتك ووثقت بك .. ولاشك أنها كانت ـ بسبب وجودك معها ـ أسعد حالا فى أيامها الأخيرة ! »

ثم أردف بعد أن سكت هنيهة فقال : « إننى لا أصدق أن القاتل أحد أفراد بعثتى .. لقد جاوز المسيو بوارو حد التوفيق فى هذه النظرية .. ولاشك أن زوجها الأول رجل مجنون . . ومن المحتمل جداً أنه كان مقيما فى هذه المنطقة ، متنكراً فى هيئة أحد العمال أو الزراع ، ثم استطاع التسلل إلى المنزل بعد ظهر ذلك اليوم المشئوم ! »

وتم الاتفاق على رحيلى فى اليوم التالى ، وكنت قد اتفقت مع الدكتور رايلى على أن أمكث يوما أو يومين مع رئيسة ممرضات مستشفى الحسينية حتى تتم إجراءات سفرى إلى لندن

وأصر الدكتور ليدنر على أن أختار تذكاراً من مقتنيات زوجته الراحلة ، ولما حاولت الاعتراض ، قال لى فى صوت متهدج ينم عن تأثره العميق :

ـ إنى واثق بأن لويز كان يسرها جداً أن تقدم إليك مثل هذا التذكار ..

ثم اقترح أن أختار طاقم أدوات الزينة المرصع بالآبنوس والعاج والصدف ، ولم يشأ أن يقبل اعتذارى وقال : « إن لويز ليس لها أخت يهمها الاحتفاظ بمقتنياتها ! » . ثم عهد إلى فى ترتيب ملابس الفقيدة تمهيداً لتوزيعها على النساء الفقيرات فى بلدة الحسينية ، فقمت بهذه المهمة فى ارتياح

وقضيت بقية النهار فى إعداد نفسى للرحيل فى اليوم التالى ، وقد عبر لى الأب لافينى عن بالغ أسفه لرحيلى ، ثم سألنى فى معرض حديثه عن المسيو بوارو . فلما أجبته بأنه مشغول بإرسال بعض البرقيات المختلفة وتسلمها ، رفع حاجبيه دهشة وقال :

ـ برقيات ؟!.. إلى أمريكا ومنها ؟!

فأجبت قائلة : « نعم .. هذا ما علمته منه »

ثم أخذ الأب لافينى يتحدث معى محاولا الكشف عن بعض الألغاز المعقدة فى جريمة قتل السيدة ليدنر ، وبخاصة لغز ذلك العراقى ذى العين الحولاء .

وعلى أثر هذا جمعت بعض الجوارب التى فرغت من رفوها ، ووضعتها على مائدة غرفة الجلوس ليختار كل واحد من أعضاء البعثة جواربه منها عند

حضورهم ، ثم صعدت إلى السطح ، وهناك رأيت الآنسة جونسون واقفة تتطلع إلى شيء بعيد وقد ارتسمت على وجهها أبلغ مظاهر الرعب والفزع !

وكان منظرها هـذا مفاجأة شديدة لى ، فأسرعت اليها قائلة : « ماذا حدث ياعزيزتى .. ماذا جرى ؟!

وهنا التفتت الآنسة جونسون إلى ، ، وأخذت تحملق فى وجهى وكأنها لاتراني لفرط رعبها وذهولها ، ثم غمغمت أخيراً وكأنها تحاول أن تبتلع شيئاً مر المذاق : « من هنا .. نعم من هنا تسلل الموت اليها دون أن يشعر به أحد! »

ونظرت إلى حيث كانت تنظر ، فلم أر شـيئاً غير فناء المنزل وباب غرفة التصوير ، ثم الأب ليفيني وهو يعبر الفناء بعد ذلك !

وسألتها : « ماذا هناك ياعزيزتى .. ألا تشرحين لى الأمر ؟! »

فهزت رأسها قائلة : « ليس الآن !.. كان يجب أن نفتح أعيننا جيداً ! »

ثم تركتنى على السطح وذهبت مسرعة إلى الفناء ، ولم أحاول أن أتبعها ، لأنها لم تطلب إلى ذلك ، فجلست على السياج الحجرى المنخفض الذى يدور حول السطح ، وحاولت عبثاً أن أفكر فى هذه المشكلة الجديدة .. ثم هززت رأسى فى حيرة ، ومضيت إلى السلم ، وهبطت بدورى إلى فناء المنزل !



أوينا جميعاً إلى غرفاتنا فى ساعة مبكرة من ذلك المساء ، وكانت الآنسة جونسون طبيعية فى تصرفاتها خلال تناول العشاء ، ولـكن أمارات الذهول كانت ترتسم على وجهها بين الحين والآخر

وكانت آخر عبارة سمعتها فى تلك الليلة قبل أن آوى إلى فراشى ، هى تحية المساء التى وجهتها السيدة ميركادو إلى الآنسة جونسون بالقرب من باب غرفتى . واستغرقت فى النوم فوراً ، بسبب ماعانيته من إجهاد ، وبقيت كذلك بضع ساعات ، ثم استيقظت فجأة ، وقد تملكنى شعور رهيب بأن كارثة توشك أن تقع ، وخيل إلى أنى استيقظت على صوت طرق سمعى ، فبقيت جالسة فى فراشى أرهف السمع .. وفجأة سمعت الصوت نفسه .. صوت حشرجة ألمة رهيبة ..

وسرعان ماوثبت من فراشى وأضأت القنديل الموضوع بجانبى على المنضدة ، ثم تناولت شمعة مضاءة ، وغادرت الغرفة محاذرة وأنا أرهف السمع ، فلما

تبينت أن تلك الحشرجة الأليمة الرهيبة صادرة من الغرفة التي تلي غرفتي مباشرة.. أي من غرفة الآنسة جونسون.. أسرعت اليها.. وشد ما كان فزعي إذ وجدتها راقدة في فراشها وهي تتلوى من فرط الألم، وفيما أنا أضع الشمعة على المنضدة القريبة من فراشها، رأيت شفتيها تتحركان كأنما تحاول أن تقول شيئاً، ولكنها لم تستطع، ثم لاحظت شدة شحوب وجهها وزرقة جوانب فمها، وكانت نظراتها تنتقل بين وجهي وبين كوب الماء الذي سقط من يدها على الأرض بجانب الفراش، فالتقطته ومسحت بأصبعي جوانبه الداخلية، ثم سحبت إصبعي بسرعة وأنا أطلق صيحة خافتة!

وما كدت أفحص الجوانب الداخلية لفم الآنسة جونسون حتى أدركت ماحدث، فقد شربت المسكينة كمية من مادة كاوية، هي، على الأرجح، حامض الكلوردريك المركز!

وأسرعت خارج الغرفة وناديت الدكتور ليدنر، فاستيقظ، كما استيقظ بعض الأعضاء، وشرعنا جميعاً نبذل كل مافي وسعنا لاسعاف الآنسة جونسون.. ولكني كنت أشعر في قرارة نفسي بأن المسكينة ستقضي نحبها لامحالة، وقد حاولنا عبثاً إسعافها ببيكربونات الصودا، ثم بزيت الزيتون، وأخيراً حقنتها بمادة مخدرة لتخفيف آلامها. بينما أرسلنا دافيد إموت إلى بلدة الحسينية لاستدعاء الدكتور رايلي. على أن المسكينة قضت نحبها قبل وصوله!

ورويت للمسيو بوارو نبأ المحادثة العجيبة التي جرت بيني وبين الآنسة جونسون بعد ظهر اليوم السابق فوق السطح، فاستعادني كلماتها بنصها، ثم قال:

— يا للمسكينة!.. لقد كان تفكيرها في كشف لغز الجريمة بمثابة الحكم بإعدامها.. ولا شك في أنها رأت كيف يستطيع أي شخص أن يدخل المنزل من غير أن يعلم أحد!

ثم اصطحبني إلى السطح حيث أريته المكان الذي وقفت فيه الآنسة جونسون بعد ظهر اليوم السابق، فمكث بعض الوقت يفحص هذا المكان باحثاً عما يمكن رؤيته منه. وكانت الشمس قد بدأت ترسل أشعتها، فتنعكس على صفحة النهر إلى اليسار. بينما بدت الأشجار والمزارع في الجنوب هادئة ساكنة، وتهادى



وأسرعت الآنسة ليثوان إلى غرفة الآنسة جونسون لتجدها تتلوى من فرط الألم

الى مسمعنا أنين الساقية من بعيد ، أما فى الشمال ، فقد بدت مئذنات المساجد ومنازل بلدة الحسينية كأنها لوحة جميلة فى قصة خيالية . وفجأة سمعت المسيو بوارو يتنهد ويقول كأنما يحدث نفسه :

— يا لى من أحمق غبى !. كيف غابت عنى هذه الحقيقية ، بينما هى أمامى الآن أوضح ما تكون ؟!

ولم يتسع الوقت لأسأله عن معنى كلماته هذه ، فقد نادانا الكابتن ميتلاند راجياً أن نهبط إليه فى فناء المنزل بسرعة ، ثم كانت مفاجأة شديدة أخرى إذ قال للمسيو بوارو : « لقد جدت مشكلة جديدة !.. ان الأب ليفيني قد اختفى ولم يلحظ أحد اختفاءه إلا منذ لحظات ! »

ومضينا إلى غرفة الأب ليفيني حيث وجدنا فراشه منظما مرتباً مما يدل على أنه لم يبت ليلته بالمنزل ، وأجمع الخدم عند استجوابهم على أنهم رأوه يغادر المنزل بعد العشاء ، أى حوالى الثامنة مساء ، وعلى أنه ذكر لهم أنه سيتجول قليلا فى المزارع قبل أن يأوى إلى فراشه ، ثم كان هذا آخر عهدهم برؤيته !

وفيما نحن كذلك ، انحنى الكابتن ميتلاند والتقط لفافة كانت موضوعة تحت مقعده ، ثم وضعها فى شيء من الجهد على المائدة وهو يقول : « هـذا شيء عثرنا عليه تحت سرير الآنسة جونسون »

ثم حل عقد النسيج الملفوف حول ذلك الشيء حتى كشف عنه ، فاذا هو مدق حجرى أثرى مما يستعمل فى طحن بعض المواد الفخارية . وقد لفت أنظارنا جميعاً ، بل أثار الفزع فى نفوسنا أن شاهدنا بقعة قاتمة على جدار هذا المدق وبجانبها بقايا شيء يشبه الشعر !

والتفت الكابتن ميتلاتد إلى الدكتور رايلى قائلا : « عليك تحليل هذه البقعة القاتمة وهذه الشعرات يادكتور ، فلست أشك فى أن هـذا المدق هو الأداة التي استعملت فى قتل السيدة ليدنر ! »

وسادنا الفزع جميعاً ، حتى خيل إلى أن الدكتور ليدنر يوشك أن يسقط مغشيا عليه ، ومالبث الدكتور رايلى أن قال بعد أن فحص المدق بعدسة مكبرة « إنه خال تماما من بصمات الأصابع . . على أنى أرى مع الشعرات الملتصقة به جزءاً رقيقاً من الجلد . . وهـذه الشعرات ذهبية اللون . . وعلى كل حال

سأعيد الفحص بالطرق العلمية لأعرف نوع فصيلة الدم العالق به ! »

ثم هز رأسه في دهشة وأسف وأردف قائلا : « مادام هـذا المدق قد وجد تحت فراش الآنسة جونسون فقد وضح الأمر ، لاشك أنهـا ارتكبت جريمة قتل السيدة ليدنر ، ثم دفعها وخز الضمير إلى الانتحار . . . غفر الله لها ! »

فهز الدكتور ليدنر رأسه في شك ويأس وقال : « كلا ! . لا يمكن أن تفعل حنة هذا .. مستحيل ! »

وقال الكابتن ميتلاند : « لست أدرى أين أخفت هذا المدق في أول الأمر فقد فتشنا جميع الحجرات بعد الجريمة الأولى تفتيشاً دقيقاً . . الواقع أننى في حيرة من الامر كله ، وهناك أيضاً مشكلة اختفاء الراهب ليفيني ، فان رجالى منتشرون للبحث عنه ، ولعل أحـداً قتله وألقى بجثته في إحـدى السواقى أو الترع .. »

وعندئذ هتفت قائلة : « لقد تذكرت الآن ! . . إن الأب ليفيني سألنى بعد ظهر أمس أن أصحبه إلى حيث كان ذلك العراقى المجهول ذو العين الحولاء يختلس النظر إلى إحدى النوافذ الخلفية ، ثم توجه هو وحده إلى هناك آملا أن يعثر على أثر يدل على الرجل ! »

فهتف الكابتن ميتلاند قائلا : « إذن كان يسعى وراء أثر ينم عن الرجل المجهول ، ترى هل عثر على شيء ؟ . إنهـا لمصادفة عجيبة إذا كان هو والآنسة جونسون قد اكتشفا شيئاً ينم عن شخصية القاتل في وقت واحد ! »

ثم أضاف قائلا في عصبيـة ظاهرة : « كيف عجز رجالى عن العثور على ذلك الرجل ذى العين الحولاء .. ؟! »

فقال بوارو في هدوء : « لعل الرجل ليس أحول العين إطلاقا . . ولعله الآن قد اجتـاز الحدود إلى سوريا من طريق المسارب الجبلية البعيدة عن الحراسة ! »

فقال الكابتن ميتلاند مغمغما : « إذن يجب إرسال أمر بالقبض عليه إلى مخفر حدود دير الزور »

فابتسم المسيو بوارو : « هـذا ما فعلته أمس ، إذ أرسلت طالباً حجز

سيارة يركبها اثنان يحملان جوازى سفر دوليين ! »

وحدق الكابتن ميتلاند فى وجهه مدهوشاً ، بينما استطرد المسيو بوارو فقال : « إننى لم أعرف الحقيقة كاملة إلا صباح اليوم عندما كنت أمتع النظر بشروق الشمس !. وكان منظر الشروق جميلا حقاً »

ولم يكن أحدنا قد لاحظ السيدة ميركادو حين دخلت الغرفة فى هدوء ، ومن ثم فوجئنا بها ترسل صيحة فزع خافتة وهى تحملق فى المدق الحجرى ذى البقعة القاتمة والشعرات الذهبية ، ثم تقول بصوت متحشرج : «آه . يا إلهى .. لقد وضحت الحقيقة . . الحقيقة الكاملة . . إن الأب ليفينى هو القاتل .. إنه رجل مجنون بكراهية النساء .. فلا شك أنه قتل أولا السيدة ليدنر ، ثم اتبعها بالآنسة جونسون ، ولا شك أنى سأكون الضحية التالية ! »

ثم أرسلت صيحة فزع أخرى ـ عالية ـ وتشبثت بذراع الدكتور رايلى هاتفة : « إننى لن أبقى هنا .. لن أبقى هنا يوماً واحداً .. إن الخطر محدق بنا جميعاً .. إنه مختف فى مكان قريب فى انتظار فرصة سانحة لقتلى .. »

وفى هذه اللحظة فتح الباب فجأة ودخلت الآنسة شيلا ابنة الدكتور رايلى واتجهت نحو المسيو بوارو قائلة : « كنت فى مكتب البريد فى ساعة مبكرة هذا الصباح ، وقد وردت برقية باسمك فرأيت أن أحملها إليك ! »

فتناول المسيو بوارو تلك البرقية منها شاكراً ، ثم فضها وراح يطالعها ، فلما فرغ من ذلك وضعها فى جيبه قائلا فى هدوء : « إنها من تونس .. والآن أرجو من الدكتور رايلى أن يدعو بقية أعضاء البعثة ، لأشرح أمامهم كل شىء ! »

وما هى غير لحظات حتى كان بقية الأعضاء يدخلون الغرفة واحداً بعد الآخر ، وكان المستر ميركادو يبدو متداعياً شديد الشحوب ، ولعله كان يخشى أن يؤاخذ على تركه المواد الكاوية القاتلة فى متناول الجميع . . وبعد أن جلسنا جميعاً حول المائدة كما فعلنا فى المرة الأولى عقب حضور المسيو بوارو ، أخذ هو يجيل نظراته فى وجوهنا جميعاً فى صمت وهدوء

وتردد كل من كولمان وإيموت فى الجلوس وهو ينظر إلى شيلا ، التى كانت قد أولتنا ظهرها وأخذت تنظر من النافذة إلى المزارع الواقعة خلف

المنزل . وأخيراً قال كولمان وهو يقدم لها مقعداً : « آلا تجلسين يا شيلا ؟ » . وفى الوقت نفسه كان إيموت قد نقل مقعداً إلى جوار مقعده ودعاها إلى الجلوس عليه !

وانتظرت أنا لأرى أى المقعدين تختاره الفتاة ، وكان تصرفها منطوياً على كثير من اللباقة ، إذ سارعت إلى الجلوس على حافة منضدة قريبة من النافذة ، قائلة لهما :

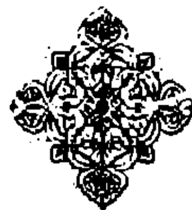
— سأجلس هنا . . وأشكركما ! . . هذا إذا لم يكن هناك ما يمنع من حضورى هذا الاجتماع !

فقال لها بوارو : « الواقع أننا نريد أن تبقى معنا فهناك بعض الأسئلة أحب أن أوجهها اليك »

فهزت الفتاة كتفيها ، وعادت تنظر من النافذة متجاهلة كل ما يجرى فى الغرفة ، بينما التفت الكابتن ميتلاند إلى بوارو ، وقال له فى صبر نافد :

— الآن . . هيا يامسيو بوارو ، اننا جميعاً نريد أن نعرف الحقيقة

وتوقعت أن أسمع منه استهلالا « مسرحياً » .. فقد أيقنت أخيراً أنه من النوع الذى يحب أن يتغنى بعبقريته حين تنكشف له أسرار قضية غامضة . وخيم الصمت الرهيب علينا جميعاً فى انتظار كلماته الأولى .. ولم يخطر ببالى، ولا ببال أحد من الحاضرين ، أنه سينطق كلماته الأولى باللغة العربية ، ولكن هذا ما حدث .. فقد استهل حديثه بكلمات عربية نطقها بصوت ملؤه الخشوع والوقار، ثم ترجم لنا بالانجليزية هذه الكلمات باللهجة نفسها فاذا هى : « بسم الله الرحمن الرحيم ! »



لصّ من باريس

مضى بوارو فى حديثه فقال : « بهذه العبارة الدينية (بسم الله الرحمن الرحيم) . . تعود العرب أن يستهلوا كل عمل وكل قول . وقد رأيت أن أستفتح بها الحديث ، لأنه حديث خطير ، كما سترون ، وسيكون له شأنه فى مصير البعثة كلها كما سترون أيضاً ! »

وخيل إلى ، وأنا أنظر إلى زملائى ، أنى أراهم للمرة الأولى فى حياتى ، وللمرة الأخيرة أيضاً . . وقد أكون حمقاء فى قولى هذا ، ولكن هكذا كانت مشاعرى . . .

ثم واصل المسيو بوارو حديثه فى هدوء ملأ نفسى بالرهبة فقال :

— كنت أشعر منذ اللحظة الأولى أن الكشف عن غوامض هذه الجريمة لا يحتاج إلى البحث والتحرى عن الشواهد والأدلة الظاهرية ، وإنما عن الدلائل الحقيقية الناشئة عن الشخصيات ، والكامنة فى أسرار القلوب . وقد بدأت الكشف عن غموض الجريمة الأولى منذ اللحظة التى وصلت فيها إلى هذا المنزل . فرأيت أن أركز البحث فى شخصية السيدة ليدنر لأعرف من أى نوع من النساء كانت ، كما تناول بحثى فى الوقت نفسه تلك الحالة النفسية أو العصبية التى كانت شائعة بين أعضاء البعثة جميعاً . . وقد هدانى البحث إلى أن السيدة ليدنر كانت تميل إلى البساطة ، وتكره الترف ، ولكنها كانت ذات مزاج فنى يدل عليه ذلك الجمال البادى فى قطع النسيج التى طرزتها بيديها . . ولما قيل لى إنها كانت امرأة تحب صيد الرجال للتسلية وطرد عوامل الملل من نفسها ، لم أصدق هذا ، لأنه لا يتفق مع ما عرفته عنها من سعة الأفق ورصانة التفكير ومتابعة التطور الثقافى والنظريات العلمية الحديثة ، ولعلكم تذكرون مجموعة الكتب القيمة التى كانت فى غرفتها وبينها كتاب

(من هم الاغريق ؟) . وكتاب (شرح نظرية النسبية) وغيرهما . . . وعلى هذا كان رأيى فيها متفقاً مع رأى الدكتور رايلى ، من أنها كانت تعرف سحر جمالها ، وكانت سعيدة بهذه المعرفة ، كما كان يسعدها أن ترى الجميع خاضعين لهذا الجمال الساحر

« ولما شرعت فى حل لغز خطابات التهديد الخالية من التوقيع ، سألت نفسى : هل يمكن أن تكون السيدة ليدنر نفسها هى كاتبة تلك الخطابات ؟ . ولم أجد يداً من التنقيب في ماضى حياتها ، حتى علمت من الآنسة ليثران ما اعترفت لها به من قصة زواجها الأول الذى انتهى بالانفصال نتيجة لاعتقال الزوج والحكم بإعدامه بتهمة الخيانة الوطنية التى كانت هى أول من اكتشفها ، فأبلغت الأمر إلى الجهات المختصة ، مدفوعة بالتعصب للوطن كما ذكرت فى اعترافها . ولكنى لم أقتنع بأن هذا كان الدافع الأساسى لوشايتها بزوجها الأول ، ورجحت أن يكون الدافع الأول هو رغبتها من حيث لا تشعر فى التخلص من سيطرة ذلك الزوج الشاب القوى الشخصية ، لأنها بطبيعتها لا تطيق أن يسيطر عليها أحد ، بل تحب أن تكون هى المسيطرة دائماً

« وأياً ما كان الأمر ، فقد شعرت بعد ذلك بأنها أخطأت التصرف ، وكان لشعورها هذا دوره الكبير فى مستقبل حياتها . وفي ضوء هذا التحليل أخذت أبحث عمن يكون كاتب الرسائل التهديدية التى تلقتها قبل زواجها الثانى وبعده : أهو فردريك بوسنر زوجها الأول ، أم أخوه ويليام ؟ أم هى نفسها كاتبة تلك الخطابات ؟ !

« وقلت لنفسى : إذا كانت هى كاتبة هذه الخطابات لنفسها قبل زواجها من الدكتور ليدنر ، فما معنى إرسالها إلى نفسها مثل هذه الخطابات بعد هذا الزواج ؟ . . ثم لماذا توقفت عن إرسال هذه الخطابات عاماً ونصف عام ؟ . . أما إذا كانت تلك الخطابات مرسلة من زوجها الأول أو أخيه ، فلماذا تأخرت الرسالة التهديدية هذه المرة إلى ما بعد الزواج ؟ إن وصول هذه الرسالة دليل واضح على أن فردريك لم يكن راغباً فى زواجها من الدكتور ليدنر . .

« وهناك ـ بعد ذلك ـ محاولة قتلهما ـ السيدة ليدنر وزوجها الدكتور ليدنر ـ بغاز الاستصباح . . . ومن المستبعد أن تكون هذه المحاولة قد تمت

على يد شخص خارج المسكن   ومعنى هـذا أنها تمت إما على يد الدكتور ليدنر ، وليس هناك ما يبرر قيامه بهذه المحاولة ، وإما على يد السيدة ليدنر ، رغبة منها فى المزيد من المظاهر المسرحية . ولكننى لم أقتنع بصحة هذا التعليل ، لأن تكرار هـذه الإثارة المسرحية بالطريقة نفسها ينطوى على مزاج سوقى مبتذل ، ولم تكن السيدة ليدنر صاحبة مثل هذا المزاج !

« والآن أبدأ مناقشة الجريمة نفسها .. جريمة قتل السيدة ليدنر ...

« لقد بدأت بحثى باستعراض كل احتمال عن ارتكاب أحد أفراد البعثة لهذه الجريمة ، ومن ثم افترضت أن الفرصة كانت سانحة لأى فرد فى البعثة لارتكاب هذه الجريمة ، فماعدا ثلاثة أفراد ، هم : الدكتور ليدنر لأنه لم يغادر سطح المنزل فى فترة وقوع الجريمة ، ومستر كارى لأنه كان فى منطقة الحفريات ، ومستر كولمان لأنه كان فى بلدة الحسينية . . . وهذه الدلائل السلبية ليست فوق كل شك . . ولكنى أستثنى الدكتور ليدنر من هذا الشك ، لأنه كان بلا أى شك فوق سطح المنزل ، ولم يهبط منه إلا بعد ساعة وربع ساعة تقريباً من وقوع الجريمة »

وسكت المسيو بوارو قليلا ، ثم استطرد فقال : « إن أحـداً من أفراد البعثة لم ير الاب ليفينى قبل التحاقه بها ، فلماذا لا يكون رجلا غريباً تنكر فى هيئة ذلك العالم المشهور الذى يحمل ذلك الاسم ؟.. أليس من الجائز أن هذا الرجل الغريب علم بأمر برقيتكم التى بعثتم بها فى طلب الأب ليفينى من مدينة قرطاجنة عقب مرض الدكتور بيرد الذى كان سيلتحق بالبعثة بوصفه أخصائياً فى علم المخطوطات الأثرية ، فرأى الفرصة سانحة لأن تحل محله بالبعثة ، بعد أن يتظاهر بخبرته فى المخطوطات ؟ . . وقد رجَّـح عندى هذا الاحتمال أن ترجمة الأب ليفينى للمخطوطات الأثرية القليلة التى اكتشفتها البعثة كانت ترجمة سقيمة عجيبة . كما أننى ، بعد حديثى الطويل معه ، أدركت بوضـوح أنه أبعد ما يكون عن الإحاطة بتعاليم المذهب الكاثوليكى المفروض أنه من المتبحرين فيه   وهكذا بدأت أرسل البرقيات إلى مختلف الجهـات . . ثم شاءت المصادفة أن وضعت الآنسة ليثران يدى على دليل مهم .. وذلك حين كنت معها أنا والأب ليفينى هـذا فى غرفة الآثار ، فذكرت لى فى حديثها عرضاً أنها

والسيدة ليدنر شاهدتا في مناسبة سابقة آثاراً شمعية على إحدى الأواني الذهبية الأثرية وقد أدهشني ذلك النبأ كما أدهش الاب ليفيني . ولكن دهشته كانت من نوع آخر تم على حقيقة مشاعره ، وهكذا وضحت الحقيقة لي فجأة ، وأدركت سر وجوده بين أعضاء البعثة ! »

وسكت المسيو بوارو مرة أخرى ، ثم عاد إلى حديثه فقال :

— يؤسفني أيها السادة أن أخبركم أن جميع التحف الموجودة الآن في غرفة الآثار ليست هي التحف الحقيقية التي استخرجتموها من الحفائر ، وإنما هي قطع مزيفة من النحاس ! . ذلك أن الردود التي تلقيتها عن برقياتي بشأن الأب ليفيني قد أكدت لي أنه هو راءول منير اللص المعروف في دوائر البوليس الفرنسية بتخصصه في سرقة المتاحف والقطع الأثرية الفنية ، فهذا اللص ، كما ذكرت البرقيات ، سافر إلى تونس ومعه مساعد من أصل تركي يدعى علي يوسف اشتهر ببراعته في صياغة الجواهر والحلي ، ودلت التحريات على أنهما يعتزمان سرقة بعض التحف من دير الآباء المقدسين في قرطاجنة ، ثم اختفيا من هناك فجأة . وكان اختفاؤهما بعد قليل من وصول برقيتكم في طلب الأب ليفيني الراهب الحقيقي وعالم المخطوطات الأثرية ليحل بينكم محل الدكتور بيرد ، واعتذار هذا الراهب من عدم استطاعته إجابة طلبكم لأن صحته لا تمكنه من ذلك . وهكذا ترون أن راءول منير استبدل ببرقية اعتذار الأب ليفيني برقية أخرى هي التي تلقيتموها بأنه قادم اليكم . . ولم يكن ذلك الرجل الذي شوهد يحاول اختلاس النظر إلى المنزل من النوافذ الخلفية للمنزل سوى مساعده التركي الأصل . . أما طريقتهما في السرقة فكانت أن يصنع « الأب ليفيني » قوالب شمعية للتحف الثمينة ، ثم يسلمها إلى مساعده فيصنع هذا قطعاً بارعة التقليد للتحف الأصلية . . ويسلمها للأول فيستبدل بها القطع الأثرية الأصلية ! »



من هو القاتل ؟

أخذ المسيو بوارو يتمشى فى الغرفة وهو يمسح جبينه بمنديله ، بينما نحن جميعاً ننظر اليه من مقاعدنا على المائدة فى صمت وذهول . . ثم عاد إلى مقعده أمامنا أخيراً واستأنف حديثه فقال :

— هكذا كان موقفى فى هذا الصباح أيها السادة . . كان أمامى ثمانية احتمالات ، ولم أكن أعرف أى هذه الاحتمالات هو الصواب .. ذلك لأنى لم أكن بعد قد عرفت من هو القاتل .. ؟ !

والواقع أنى كنت أشعر بأن هنا شخصاً يعرف حقائق مهمة عن الجريمة الأولى ، ولكنه يحاول كتمانها حتى لايعرض نفسه للخطر . وكنت أول الأمر أخشى أن تكون الآنسة ليثران هى ذلك الشخص . فلما وقعت الجريمة الثانية ، تحققت أنه لم يكن سوى الآنسة جونسون . ولهذا لا أعتقد مطلقاً أنها ماتت منتحرة !

« والآن . . هيا نستعرض بعض الحقائق الخاصة بالجريمة الثانية . . إن الآنسة ليثران ذكرت أنها فى مساء يوم الأحد فاجأت الآنسة جونسون فى غرفتها مستغرقة فى بكاء حار ، وكانت هناك قصاصة ورق مكتوبة بخط يشبه الخط المكتوبة به رسائل التهديد ، خطفتها الآنسة جونسون من يدها وحرقتها !

« وفى غروب اليوم السابق لمصرع الآنسة جونسون فاجأتها الآنسة ليثران واقفة فوق سطح المنزل فى حالة فزع ورعب . . ولما سألتها عما بها ، علمت منها أنها اكتشفت كيف يمكن لأى شخص أن يتسلل إلى المنزل من الخارج من غير أن يعلم به أحد !

« وأخيراً . . فاهت الآنسة جونسون وهى تحتضر بكلمات ثلاث فقط هى

(النافذة يا أختاه .. النافذة !) .. فما معنى ذلك كله ؟

« كان الحل الأول الذى وصلت اليه من أبحاثى فى هذا الشأن ، أن الآنسة جونسون بدأت ترتاب مثلى فى أمر الأب ليفينى ، وعلى هذا لا بد أن يكون هو قاتلها ، ثم رجح هـذا فراره عقب ذلك بعد أن نزع عنه لحيته وثوبه الـكهنوتى وعويناته السوداء وبعد أن وضع المدق ـ أداة الجريمة الأولى تحت سرير الضحية الثانية !

« على أنى لم أكن مطمئناً تمام الاطمئنان إلى هـذا الحل . . لأن الحل الذى يدعو إلى تمام الاطمئنان يجب أن يفسر كل شىء . بينما هـذا الحل لايفسر ـ مثلا ـ معنى الـكلمات التى فاهت بهاالآنسة جونسون فى احتضارها وهى : « النافذة يا أختاه ..! النافذة » . . وهو كذلك لايفسر سبب بكائها الحار ولاسر إحراقها للورقة ، ولا سبب فزعها ورعبها وهى واقفة فوق السطح .. كما أنه لايفسر إصرارها على كتمان ما كشفت عنه من أمر الجريمة الأولى ! »

« وفيما كنت واقفاً على السطح أفكر فى هذا الأمر ، إذا بى أرى فجأة ذلك الشىء الذى رأته الآنسة جونسون .. وهكذا وصلت إلى الحل الذى يفسر كل شىء ! »



وتلفت المسيو بوارو حوله حيث كانت أنظارنا جميعاً مركزة عليه، وخيل إلىّ أن الجو العصبى الذى كان مخيما علينا قد بدأ يخف ويتلاشى،ولـكنى شعرت فجأة بموجة جديدة من هذا الضغط العصبى تسرى بيننا عندما عاد المسيو بوارو يقول فى هدوء رهيب :

ــ قلت منذ هنيهة إن هناك ثلاثة أشخاص يتمتع كل منهم بالدليل الحاسم على أنه لم يكن فى مكان الجريمة عند وقوعها ، ثم أوضحت بعدذلك أن اثنين من هؤلاء الثلاثة لا يتمتع كل منهما بما حسبناه دليلا حاسماً ، وهما : مستر كارى ولأنه لم يكن فى منطقة الحفائر كما حسبنا عند وقوع الجريمة، وبيل كولمان لأنه لم يكن فى بلدة الحسينية ، كما حسبناأيضاً . أما الشخص الثالث فهو الدكتور ليدنر ... »

وسكت المسيو بوارو قبل أن يلقى القنبلة التى هزت أعصابنا هزة عنيفة بقوله بعد هنيهة :

— نعم أيها السادة لم يبق هناك سوى شخص واحد يتمتع بالدليل الحاسم على أنه لم يكن موجوداً بالقرب من غرفة السيدة ليدنر ساعة ارتكاب الجريمة، وهذا الشخص هو الدكتور ليدنر كما ذكرت لكم .. هذه حقيقة لا شك فيها.. وبقيت حقيقة أخرى لا شك فيها أيضاً ، هى أن قاتل السيدة ليدنر ، هو نفسه قاتل الآنسة جونسون .. وهو نفسه آخر من يتجه الظن إلى أنه قاتل هذه أو تلك .. لأنه هو الدكتور ليدنر نفسه !

وساد الغرفة على أثر ذلك جو رهيب كئيب من الصمت ، وأخذنا نتبادل النظرات فى حيرة وذهول ، فى حين بقى الدكتور ليدنر جالساً فى مكانه لم يتحرك .. ولم يقل شيئاً ، وكأنه يعيش فى عالم بعيد !

وتململ دافيد إيموت فى مجلسه ثم قال للمسيو بوارو : « إننى لا أفهم ماذا تعنى يا سيدى ! »

فأومأ المسيو بوارو برأسه قائلا : « الواقع أيها السادة ان الدكتور ليدنر لم يغادر السطح .. ولكن الذى رأيته أنا من هناك ، ورأته الآنسة جونسون من قبل ، هو كيف يستطيع الدكتور ليدنر قتل زوجته من غير أن يغادر مكانه هناك ! »

وسكت مرة أخرى ثم استطرد فقال: « إنها نافذة غرفة السيدة ليدنر !.. كانت نافذتها تحت جانب السطح البعيد عن الفناء ، أى الجانب المشرف على المزارع .. وكان الدكتور وحده فوق السطح فلم يره أحدوهو يرتكب الجريمة أما كيف ارتكبها فقد كان الأمر بالغ السهولة.. فنحن جميعاً نعرف أن الدكتور ليدنر كان فى تلك الساعة يعمل فوق السطح فى فحص بعض الأوانى الأثرية.. وكان يستدعى المستر إيموت إليه بين الحين والآخر .. وفى إحدى هذه المرات، شغله بالحديث مدة عشر دقائق حتى يتيح الفرصة للغلام عبدالله لكى يتسكع بالحديث مع زملائه الخدم الجالسين خارج الباب العام . . فلما تحقق ذلك ترك المستر إيموت يهبط إلى الفناء ويمضى فى استدعاء الغلام ، ثم نهض هو فى الوقت نفسه فتناول من جيبه القناع الأصفر المشوه المصنوع من اللدائن الجافة الذى أفزع



وما كادت السيدة ليدنر تفتح النافذة وتخرج
رأسها من بين القضبان ، حتى انتهى كل شىء

به زوجته في مرات سابقة .. ثم دلاه بخيط متين من سياج السطح حتى أصبح فى مستوى نافذة غرفتها ، وأخذ يحرك الخيط حتى جعل القناع يصطدم بزجاج النافذة . وكانت السيدة ليدنر راقدة تستريح فى فراشها آمنة سعيدة ، راضية ، فلما سمعت وقع اصطدام القناع بزجاج النافذة ، وتطلعت إليهــا فلم تشعر هذه المرة بالخوف من ذلك القناع الأصفر لأن الوقت كان نهاراً لا ليلا ، وتحققت من أن ما تراه ليس إلا قناعاً يمثل وجهاً مشوه الملامح ، فكان طبيعياً والحالة هذه أن تنهض لتتطلع من النافذة بعد فتحها كى ترى من يكون صاحب هذه المداعبة السمجة . وما كادت تفتح النافذة وتخرج رأسها من بين القضبان ثم ترفع وجهها إلى أعلى لترى ذلك المازح الثقيل، حتى انتهى كل شيء !.. إذ كان الدكتور ليدنر فى تلك اللحظة مستعداً بالمدق الحجرى الثقيل المشدود إلى حبل غليظ طويل ، فأرسله يهوى على رأس زوجته المسكينة ، وهكذا كانت الصيحة الخافتة التى أطلقتها وسمعتها الآنسة جونسون ، ثم سقطت المسكينة صريعة على أرض الغرفة تحت النافذة . . وسرعان ما جذب الدكتور ليدنر ذلك المدق القاتل بواسطة الحبل المربوط به ، ثم دس المدق بين أمثاله فوق السطح بعد أن نزع منه الحبل ، واستمر فى عمله بعد ذلك ساعة أو أكثر ، حتى رأى الوقت مناسباً فهبط إلى الفناء ، وتحدث برهة مع المستر إموت والآنسة ليثران ثم عبر الفناء إلى غرفة زوجته وأغلق الباب كالعادة ، ثم لبس قفازيه وانطلق يغلق النافذة ويحكم رتاجها ، ثم ينقل جثة زوجته إلى مكان بين السرير والباب ، ولما لاحظ وجود بقعة من الدم على الطنفسة الموجودة تحت النافذة ، استبدل بها الطنفسة الموجودة بالقرب من حوض الاغتسال .. ووضع هذه مكان تلك. ثم غادر الغرفة وهو يمثل دور الزوج المترنح من فرط حزنه على زوجتــه العزيزة ! »

وبقى الدكتور ليدنر فى مكانه لاينبس بكلمة ...

وعاد المسيو بوارو يقول :

— ألم أقل لــكم فى بادىء الأمر أن هــذه الجريمة جريمة عاطفية ! ! لقد عمد زوجها الأول فردريك بوسنر إلى تهديدها بالقتل لأنه يحبها . . ولقد استطاع فى النهاية أن يخرج تهديده بقتلها إلى حيز التنفيذ .. ولاتدهشوا لهذه

المفاجأة فالواقع أن فردريك بوسنر هذا هو نفسه الدكتور ليدنر !

وتطلعنا جميعاً إلى الدكتور ليدنر . لكنه بقى لائذا بالصمت العميق ، بينما واصل المسيو بوارو فقال :

— إن فردريك بوسنر ، استطاع الفرار بعد أن وشت به زوجته وحكم باعدامه ، وفى الوقت نفسه استطاع أن يتقمص شخصية أخرى . . هى شخصية العالم الأثرى الشاب إيريك ليدنر السويدى الجنسية . . وذلك بعد أن دس أوراقه الخاصة فى ملابس إحدى الجثث التى تمزقت وتشوهت أثناء حادث القطار وهكذا ظن الناس أن فردريك بوسنر هو صاحب هذه الجثة المزقة ، وتم دفنه على هذا الأساس ... فى حين بدأ هو يبنى حياته من جديد ،فدرس علم الآثار حتى نبغ فيه وأصبح من علمائه المعروفين ، ولكنه فى خلال هذا الكفاح الجديد ، لم ينس زوجته الجميلة الفاتنة فظل يتتبع أنباءها وقد عقد العزم على ألا يدعها تتزوج .رجلا غيره.وهكذا أخذ يرسل اليها تلك الخطابات التى هددها فيها بالقتل كلما علم أنها موشكة أن تتزوج من رجل آخر .. وكان يحاول تقليد خطها فى هذه الرسائل حتى إذا فكرت فى الالتجاء إلى رجال البوليس، ابتسموا منها ساخرين ،لأن هناك حالات كثيرة فى الدوائرالبوليسية ثبت فيها أن بعض النساء المريضات بأعصابهن ـ أو عقولهن ـ يكتبن إلى أنفسهن مثل هذه الرسائل التهديدية . . وفى نفس الوقت رأى أن يتركها فى حيرة من أمره : هل مات حقاً ؟ أم لم يزل على قيد الحياة ؟

وأخيراً .. وبعد سنوات عديدة ، رأى أن الوقت قد أصبح مناسباً لأن يدخل محيط حياتها من جديد .. ونجح فى هذه الخطوة الجديدة نجاحا باهراً فلم يخطر يبال زوجته أى شك فى أمره ، فهو رجل معروف فى الأوساط العلمية ، وليس هناك أى شبه بين ذلك الشاب القوى الطويل الحليق الذى تزوجته وهى فى العشرين من عمرها ، وبين هذا الكهل الرقيق ، اللطيف ذى اللحية ، والقامة المنحنية قليلا ..

« وأعاد التاريخ نفسه . . فكما استطاع فردريك بوسنر فى شبابه أن يسيطر بقوة شخصيته على لويز ويجعلها تتزوج منه ، كذلك فعل فى كهولته ، ولهذا السبب لم تصل اليها رسالة تهديد لمنع الزواج . . أما رسالة التهديد التى

تلقتها بعد الزواج مباشرة . . فأعتقد أن الدكتور ليدنر أراد بارسالها أن يؤكد لزوجته تأكيداً قاطعاً أن إريك ليدنر وفردريك بوسنر شخصان مختلفان تماما ، ولهـذا الغرض نفسه ـ اصطنع حادث التسمم بغـاز الاستصباح . ثم اطمأن بعد ذلك واستقرت الأحوال ، ومضى عامان من غير أن تصل رسائل أخرى تهديدية ، ثم تلقت الزوجة رسالة تهديد جديدة ، لأن زوجها فى هذه المرة كان قد فـكر فى قتلها حقاً ، وذلك لأنه اكتشف أنها تحولت عن حبه إلى رجل آخر .. وهذا الرجل الآخر هو المستر ريتشارد كارى ! »

والتفت إلى المسيو بوارو على أثر ذلك ثم قال فى هدوء وعلى فمه ابتسامة خفيفـة : « أما الدور المهم الذى قامت به الآنسة ليثران من حيث لاتشعر ، فهو أنها بوصفها ممرضـة متخصصة ، كانت خير شاهد لمصلحة الدكتور ليدنر الذى اسـتخدمها خصيصاً لـكى تؤدى هذه الشهادة من تلقاء نفسها ، فتشهد بأن السيدة ليدنر كانت قد ماتت قبل أكثر من ساعة عند اكتشاف جثتها .. أى أنها قتلت فى الوقت الذى كان هو فيه فوق السطح ! »

ولم أشأ أن أعقب على هذه الملاحظة الخاصة بى ، وواصـل المسيو بوارو كلامه فقال : »

ــ لننتقل الآن إلى الجريمة الثانية .. جريمـة قتل الآنسة جونسون .. انها كانت كعادتها تنظف غرفة الدكتور ليدنر وترتب له أوراقه ، فلما عثرت أثناء ذلك على تلك القصاصة من رسائل التهديد ، امتلأت نفسها بأشد الاضطراب والحزن ، إذ لم يكن يخطر ببالها أن يلجأ الدكتور ليدنر وهو ـ المقدس فى نظرها ـ إلى هذه الوسيلة لتحطيم أعصاب زوجته .. ولعلها أشارت فى حديثها مع الدكتور ليدنر إلى قصاصة الورق التى عثرت عليها فى مكتبته ، ولعلها رأت أمارات الخوف ترتسم فجأة على وجهه وهو يتحدث معها فى هـذا الشأن ، ولـكنها رأت ـ مع ذلك ـ أن من المستحيل أن يكون الدكتور ليدنر قاتل زوجته ، لأنه كان فوق سطح المنزل أثناء وقوع الجريمة . . وأخيراً سـطعت الحقيقة فى ذهنها فجأة بينما كانت واقفة فوق سطح المنزل عند الغروب تفكر فى هـذا كله ، فأدركت أن الدكتور ليدنر قتل زوجته وهو فوق السطح عن طريق النافذة .. ولم تشأ بدافع وفائها وإخلاصها الشديد له أن تبوح بالحقيقة

لأحـد .. ولـكنه هو نفسه كان يراقبها بامعان وقلق ، فلما أدرك أنها عرفت الحقيقة ، قرر التخلص منها ، وهداه التفكير فى ذلك إلى استبدال كوب الماء الذى تعودت أن تضعه على المنضدة بجانب فراشها ، بكوب مثله مملوء بالمادة الـكاوية . ثم نقل المدق الحجرى الذى قتل به زوجته من مكانه بين الأحجار الموضوعة فوق السطح ، ووضعه تحت سرير الآنسة جونسون ، ليتوهم الجميع أنها انتحرت تخلصاً من الندم وعذاب الضمير بعـد أن ارتكبت جريمة قتل زوجته !

ولم ينبس أحد منا بكلمة واحدة ، بعد أن انتهى المسيو بوارو من حديثه الخطير .. فقد كنا مستغرقين فى خضم من الفزع . . ومن الرثاء أيضاً !

وبدا الدكتور ليدنر فى جلسته مجهداً محطماً كأنما زاد عمره عشرين سنة أو أكثر !

وأخـيراً تحرك فى مقعده ، ونظر إلى المسيو بوارو فى رقة وعطف ، ثم قال فى هدوء حزين :

ــ إنك تصلح يامسيو بوارو أن تكون عالما أثريا مشهوراً . . فان لك الموهبة والقدرة على بعث الماضى وتجسيمه . . ولعلك تأسف لأنك لا تملك الدليل المادى على صحة استنتاجاتك المنطقية الرائعة .. ولـكنى أوفر عليك الأسف فأعترف بأنى أنا الذى قتلت لويز كما قتلت حنه المسكينة أيضا !



الخاتمة

ثم قال المسيو بوارو :

« ولم يبق بعد هذا ما أقوله إلا شيء يسير ...

فقد قبضوا على « الأب ليفيني » وصاحبه وهما يحاولان اجتياز الحدود إلى سوريا . . »

وتزوجت شيلا رايلى من دافيد إموت .. وأعتقد أنه أصلح شاب للزواج منها : فهو رزين ، ثابت الأعصاب . يعرف كيف يسوسها ويكبح جماحها ، بعكس بيل كولمان الذى لو أنها تزوجته ، لاتخذت منه ألعوبة تلهو بها . . .

ولم أرجع - بعد عودتى إلى انجلترا - إلى الشرق مرة أخرى ، ولكنى أتمنى لو أتيح لى السفر اليه مرة ثانية ...وأيا كان الأمر فانى أتذكر دائماً أنين الساقية وهى تروى بأدمعها الثرى ، والنساء ذوات الأيدى المجملة بالخضاب وهن يملأن من النهر الجرار ، أو يغسلن على الشاطىء الثياب ، ومنظر الابل التى تثير الضحك والعجب .. وكلما أمعنت فى هذه الذكريات ، خامرنى الحنين إلى الشرق ..

واعتاد الدكتور رايلى أن يزورنى كلما حضر إلى انجلترا ، وهو - كما سبق القول - الذى دفعنى إلى كتابة هذه القصة ...

وقفل المسيو بوارو عائداً إلى سوريا ،وبعد أسبوع عاد إلى وطنه فى «قطار» الشرق » حيث شغل بالكشف عن جريمة أخرى غامضة . . . ولست أنكر براعته .. ولكنى لا أنسى كيف داعبنى زاعماً أن لى علاقة بهذه الجريمة ،وأننى لست ممرضة متمرنة على الاطلاق . .

وإننى ما زلت أفكر كثيراً فى السيدة ليدنر . فيخيل لى أحيانا أنها

كانت امرأة رهيبة ، وأحيانا أخرى أتذكر كيف كانت رقيقة لطيفة ، ناعمة الصوت ، ذهبية الشعر .. ساحرة الجمال .. وأخيراً أشعر أنها أجدر بالرثاء منها بالملام ...

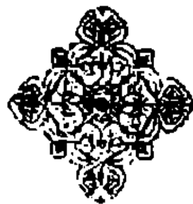
ولست أملك أيضاً إلا الشعور بالرثاء للدكتور ليدنر .. إنه ارتكب جريمة القتل مرتين حقاً .. ولكن هذا لايخفف من شعوري بالرثاء له .. لقد كان يحبها حباً قوياً عنيفاً طاغياً .. وإنه لأمر مزعج أن يحمل رجل لامرأة مثل هذا الحب الذى يبعث على القتل

وأيا كان الأمر ، فانى كلما تقدمت فى العمر ، تنوعت تجاربى ، وازداد اتصالى بالناس ، وازدادت آلامى كلما لمست آلامهم ، وأمراضهم ..

معذرة ! .. لقد صدق الدكتور رايلى ... فانى لا أدرى كيف أتوقف عن الكتابة .. لشد ما أتمنى لو أتيحت لى عبارة مؤثرة خلابة أختتم بها هذه القصة

سوف أطلب من الدكتور رايلى أن يذكر لى عبارة عربية اختتم بها هذه القصة ..

عبارة عربية كالتى بدأ بها المسيو بوارو كشف الغموض عن الجريمة .
« بسم الله الرحمن الرحيم » . أو « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أوشىء من هذا القبيل ...



الروايــة التاليـة

الحب فى العذاب

أو

مانون ليسكو

تصـــدر فى ١٥ مايو القادم

... ومن روائع القصص

غرام عطيل
تأليف اميل لودفيج
رسول القيصر
تأليف جول فيرن
غادة طيبة
تأليف اجاتا كريستى
غادة الكاميليا
تأليف مرسيل موريت
انا كارنينا
تأليف ليو تولستوى
الزنبقة السوداء
تأليف اسكندر دوماس الاب
اغلال الحب
تأليف سومرست موم
قلوب تحترق
تأليف ستيفان زفايج
ملاك الرعب
تأليف ادجار والاس
ذات الرداء الابيض
تأليف ويلكى كولنز
الكونت دى مونت كريستو
تأليف اسكندر دوماس الكبير
البعث
تأليف ليو تولستوى
ذو القناع الحديدى (جزءان)
تأليف اسكندر دوماس الكبير
ابنة البخيل
تأليف اونوريه دى بلزاك
الارض الطيبة
تأليف بيرل بك
غراميات راسبوتين
تأليف شارل بتى
جريمة فى الريف
تأليف اجاتاكريستى
مارى انطوانيت
تأليف ستيفان زفايج

الفارس الخامس
تأليف اسكندر دوماس الكبير
الاب الخالد
تأليف اونوريه دى بلزاك
مغامرات مستر بيكويك
تأليف شارل ديكنز
كاتالينا
تأليف سومرست موم
الفرسان الثلاثة (جزءان)
تأليف اسكندر دوماس الكبير
زهرة الحب
تأليف اونوريه دى بلزاك
الشقراء البريئة
تأليف ايرلى ستانلى جاردنر
شعب وطاغية
تأليف اسكندر دوماس الكبير
الغانية اللعوب
تأليف ايفان تروجنيف
صراع الحب
تأليف فيدور دستويفسكى
فى مهب الريح
تأليف لين يوتنج
اوليفر تويست
تأليف شارل ديكنز
« الثورة الحمراء »
تأليف اسكندر دوماس الكبير
جريمة فى وادى النيل
اجاتا كريستى
قلبان فى عاصفة
رفائيل سباتينى
احدب نوتردام
فيكتور هيجو

اشترك فى روايات الهلال

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

سوريا ولبنـــان شركةفرج‌الله للمطبوعات-مركزها الرئيسى بطريق‌الملكى‌المتفرع من شارع بيكو فى بيروت (تليفون٧٨-١٧) صندوق بريد ١٠١٢ - او باحدى وكالاتهـا فى الجهات الأخرى . (الأعداد ترسل بالطـــائرة للشركة وهى تتولى تسليمهـــا لحضرات المشـــتركين)

العـــراق : السيد محمود حلمى - المكتبة العصرية - بغداد

اللاذقيـــــة : السيد نخله سكاف

مكة المكرمة السيد هاشم بن السيد على‌نحاس -ص٠ب ٩٧

البحـــــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد . مكتبة المؤيد

برقـــــــة السيد محمد على بوقعيقيص - بنغازى ص . ب ١٠٤

البـــــرازيل : Snr. Jorge Suleiman Yazigi, Rua Varnhagem 30, Caixa Postal 3766, Sao Paulo, Brazil.

ساحل الذهب : The Queensway Stores, P.O. Box 400, Accra, Gold Coast, B.W.A.

نيجـــــريا Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

انجـــــلترا Arabic Publications Distribution Bureau, 7, Bishopsthorpe Road, Sydenham, London, S.E. 26, England.

هذه الرواية



موضوع هذه الرواية جريمة غامضة وقعت فى العراق أثناء قيام بعثة أمريكية ببحوث أثرية للكشف عن مدينة (اشور) القديمة فى منطقة (تل العرمجة) بالقرب من مدينة الحسينية وكانت ضحية هذه الجريمة زوجة رئيس تلك البعثة الأثرية

وتمتاز هذه الحوادث بالروعة الفنية فى سرد الحوادث ، كما تمتاز بالتصوير البارع لمختلف المشاعر التى تضطرب فى النفس الانسانية ، الموزعة بين أعضاء البعثة الذين اتهموا جميعاً ــ رجالا ونساء ــ بالاشتراك فى هذه الجريمة

ومن الغريب أن يدور الاتهام بالقتل حول أفراد البعثة ما عدا الفاعل ، وأن يترجح الاتهام لأحدهم ، ويكاد القارىء يعتقد أنه القاتل ، ثم يبدو من التحقيق ما يبعد الشبهة، حتى يحار القارىء فلا يدرى من يكون القاتل الحقيقى . وأخيراً تفاجئه الحقيقة المدهشة، فإذا القاتل أبعد الناس عن الاتهام والشبهات

وتلك هى براعة الكاتبة النابغة (أجاثا كريستى) فى رواياتها البوليسية، وفى هذه الرواية بنوع خاص . فقد اشتهرت هذه الرواية العالمية بهذا النوع من القصص الذى يروعك بحوادثه ، ويدهشك بمفاجآته ، ويحملك فى موجات غريبة من الحيرة ، ويدفعك إلى الاستنتاج ، حتى تظن نفسك مصيباً فى استنتاجك ، وأنك وصلت إلى الحقيقه، ثم إذا بينك وبينها بون شاسع، وإذا أنت محتاج إلى التفكير والبحث والاستنتاج من جديد حتى تصل إلى نهاية القصة فتفاجأ بما لم يكن فى بالك، وما لم يكن فى خيالك واستنتاجك، فإذا أنت تلمس الحقيقة ، وترى أن النتيجة التى وصلت اليها هى كل الحق وكل الصواب. فلا يسعك الا أن تعجب ببراعة الكاتبة وإبداعها الممتاز فى هذا الفن الروائى الدقيق